المفاهيم القرآنية

رسالة في تفسير مفاهيم
القرآن الكريم

تأليف
أ. أحمد عبد الرزاق مربوش

التعريف بالمؤلف/

المحامي / احمد عبد الرزاق مربوش سلام العامري

تاريخ ومحل الميلاد / من مواليد ١٩٧٣م بمنطقة حرف الاعمور اعرواق حيفان محافظه تعز اليمن وبها درس الا بتدائيه بمدرسه الشهيد عبد الرحمن مهيوب انعم بالعرين اعرواق ثم درس فى مدينه القاعده مديريه ذى سفال ثم بمعهد مصعب بن عمير بالحديدة ثم درس بمعهد المعلمين العام(مدرسه سباء بمدينة القاعده) ثم التحق بكلية الشريعه والقانون وعمل فى مجال المحاماه

الاقامه / ذى سفال اب الجمهوريه اليمنيه

العمل الحالى / محام مهتم بالفكر الاسلامى ودراسه القران الكريم وعلومه

المؤهل / ليسانس شريعه وقانون

الحاله الاجتماعيه متزوج من ثلاث نساء وله سبعه اولاد ثلاثه ذكور واربع بنات

بسم الله الرحمن الرحيم
بطاقة تعريفية لكتاب "المفاهيم القرآنية من سورة الدخان":
الكتاب من تأليف المحامي احمد عبد الرزاق مربوش العامري
مراجعه وتدقيق الاستاذ الفاضل منير عبده عثمان الصلوى
أولا ً: نبذة تعريفية عن الكتاب ومحتواه

هذا الكتاب هو رحلة تفسيرية موضوعية متعمقة في سورة الدخان، لا يقتصر على شرح المعاني اللغوية والبلاغية، بل يتجاوزها إلى استخراج المفاهيم القرآنية التي تعالج قضايا النفس والمجتمع و الحضارة .يركز الكتاب على كيف يمكن لهذه السورة أن تكون بمثابة "كشاف ضوء" يخرج الإنسان من ضبابية المادية والغفلة إلى نور اليقين والهدف .ينقسم الكتاب إلى محاور أربعة كبرى، يمثل كل منها جرعة علاجية لداء من أدواء العصر، ويُختتم كل مبحث بتطبيقات عملية مباشرة.

ثانياً: منهجية العمل في الكتاب والأساليب التي يعتمدها المؤلف

يعتمد الكتاب منهجية "التنزيل على الواقع"، وهي منهجية تهدف إلى جعل النص القرآني حياً وفاعلا ً في حياة القارئ، وتتلخص في:

· التفسير الموضوعي: تحليل الآيات في سياقها الواحد والمتشابه، وربطها بالمحاور الكبرى للسورة.
· التحليل النفسي والتربوي: استخراج الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من كل آية، وتفكيك الأ مراض الروحية والفكرية التي تعالجها.
· التطبيق العملي المباشر: تقديم "تطبيقات عملية" و"دروس تقريبية") أمثلة من الحياة الواقعية (بعد كل تحليل، لضمان تحويل المعرفة إلى سلوك.
· أسلوب الحوار والمخاطبة: الكتاب يخاطب القارئ مباشرة بضمير المخاطب) "أنت"(، مما يخلق حالة من التفاعل الشخصي والجلسة الروحية، ويدعوه للتأمل والمحاسبة الذاتية.
· الجمع بين التذكير والتربية: يجمع بين الأسلوب الوعظي المؤثر الذي يهز الوجدان، والأسلوب التربوي المنهجي الذي يعلم القارئ خطوات عملية للتغيير.

ثالثاً: أبرز المحاور والقضايا التي يعالجها الكتاب

يعالج الكتاب أربعة محاور أساسية، هي بمثابة الداء والدواء:

.1من الترفيه السطحي إلى الحياة الهادفة) الغفلة واللعب(: يعالج داء تضييع الوقت في المشتتات و اللهو، ويدعو لاستعادة الشعور بالمسؤولية والجدية في التعامل مع العمر كاستثمار طويل الأمد.
.2من التفكير قصير المدى إلى الاستثمار طويل الأمد) السطحية(: يعالج النظرة المادية للنجاح والتي تقتصر على جمع المال والمنصب، ويعيد تعريف السعادة والفوز الحقيقي بأنه الفوز بالآخرة، محذراً من عاقبة الإعراض عن الحق.
.3من غفلة القلب الميت إلى إيقاظ الإيمان) الغفلة القلبية(: يعالج داء تبلد الإحساس بالظلم والغفلة عن سنن الله، مستخدماً اسم "الدخان" كرمز للغشاوة التي تغشي البصائر، ويدعو إلى إيمان اليقين الثابت لا الإيمان العارض.
.4من تجاهل الظلم إلى إدراك السنن الإلهية) الظلم والاستبداد(: يعالج قضية التبلد تجاه الظلم والا ستبداد، من خلال نماذج تاريخية) فرعون (ليؤكد أن للكون سنناً وقوانين تحكمه، وأن الطغيان مصيره الزوال الحتمي.

رابعاً: ما يميز هذا الكتاب عن التفاسير التقليدية

.1التركيز على "المفاهيم" لا "المفردات": لا ينشغل بشرح الكلمة لغوياً فقط، بل يركز على المفهوم القرآني الكبير وما يحدثه في النفس والمجتمع.
.2التطبيق العملي المعاصر: هو كتاب "كيف نعيش"، يقدم خطوات عملية وتدريبات يومية، وكأنه دليل حياة أكثر منه كتاب تفسير.
.3التشخيص النفسي والاجتماعي: يتعامل مع القرآن كطبيب نفسي واجتماعي، يشخص أمراض العصر)الفراغ، القلق، السطحية، العبث (ويصف الدواء القرآني لها.
.4ربط السور بالسياق الإنساني: يربط بين سورتي "الدخان" و"الزخرف" كعلاج متكامل، ويصورهما كرحلة من الغفلة إلى اليقظة.
.5اللغة التقريرية المؤثرة: يستخدم أمثلة تقريبية) كالمريض، الطالب، المسافر (لتقريب المعاني، مما يجعله في متناول جميع القراء، بعيداً عن المصطلحات العلمية المعقدة.

خامساً: أغراض وأهداف المؤلف من هذا الكتاب

1.إعادة تشكيل النظرة للحياة: الهدف الأساسي هو تغيير جذري في كيفية نظر المسلم لحياته، من نظرة سطحية مادية إلى نظرة هادفة روحية.
2.الشفاء من "دخان" المادية: مساعدة القارئ على الخروج من ضبابية الفكر المادي الذي يحجب رؤية الحقائق الكبرى) الغاية من الخلق، اليوم الآخر، المسؤولية.(
3.بناء اليقين الراسخ: تحويل الإيمان من شعار وراثي إلى يقين نابض في القلب، يدفع للعمل و الثبات.
4.تزويد القارئ ب-"كشاف ضوء") وهو الكتاب المبين (ليضيء له طريقه في ظلمات الفتن والشبهات.
5.استعادة الشعور بالرسالة والقيادة: إحياء دور المسلم ك-"مرسل" و"سفير" لهذا الدين في محيطه، محملا ً بالمسؤولية والأمانة.

سادساً: دور هذا الكتاب في استعادة الأمة لفاعليتها ودورها القيادي

يرى الكتاب أن أمة الإسلام فقدت فاعليتها حينما استبدلت الإيمان ب-"اليقين النظري" وغرقت في زخرف الحياة المادية واللهو .ولإعادة دورها القيادي، يقدم الكتاب وصفة علاجية تتمثل في:

· إيقاظ الوعي: عبر قراءة التاريخ) كقصة فرعون (وفهم سنن الله في الإهلاك والتمكين، مما يمنح الأ مة بصيرة في الواقع.
· تربية جيل الرسالي: بإحياء مفهوم "الرسالية" في كل مسلم، ليكون مبيناً للحق، قائداً بالقدوة، لا تابعاً منقاداً للفكر المادي الغربي.
· بناء الحضارة على "الحق": يربط بين خلق الكون بالحق وبين ضرورة أن تقوم الحضارة الإسلامية على أساس العدل، التوحيد، والأخلاق، لا على القوة والمال فقط.
· التخطيط الواعي: إدراك أن النهضة تحتاج إلى "محطات" إيمانية) كليلة القدر (تغذي الروح وتجدد العزيمة، وتنظيم الوقت على أساس الأولويات، وهذا هو أساس أي حضارة فاعلة.

سابعاً: الجمهور المستهدف من هذا الكتاب

1.الفرد المسلم الباحث عن الهدف: الشباب والكبار الذين يشعرون بالفراغ والضياع في زخرف الحياة المادية.
2.الدعاة والمربون: الذين يبحثون عن منهجية قرآنية عملية في التربية والتزكية والدعوة، تعتمد على التطبيق لا الوعظ النظري.
3.طلاب العلم الشرعي: الذين يريدون رؤية جديدة للتفسير الموضوعي تربطه بالواقع والنفس البشرية.
4.القراء غير المتخصصين: الكتاب بلغة سهلة وأمثلة تقريبية، مما يجعله في متناول كل من يريد أن يغير نظرته للحياة.
5.المشتغلون بالإصلاح الاجتماعي والحضاري: من يبحثون عن جذور الأزمة الحضارية للأمة، ويستلهمون من القرآن رؤية للنهضة الحقيقية.

ثامناً: لماذا يجب أن أقرأ هذا الكتاب؟

1.لأنك قد تكون في "دخان" دون أن تشعر: الكتاب يقدم لك تشخيصاً دقيقاً لداء الغفلة التي قد تكون مصاباً بها في حياتك اليومية.
2.لأنه يجيب عن السؤال المصيري: "لماذا نحن هنا؟" ويقدم لك إجابة عملية عن هدفك في الحياة.
3.لأنه يعيد تعريف النجاح: يقدم لك مفهوماً آخر للنجاح غير المال والمنصب، وهو "الفوز العظيم" الذي لا يخسر بعده شيء.
4.لأنك ستجد نفسك في كل آية: الكتاب يخاطبك شخصياً، ويسألك، ويدفعك للمحاسبة، وكأنه جلسة تأمل ومراجعة ذاتية.
5.لأنه يمنحك أداة: يضع في يدك "كشاف الضوء") القرآن (ليس فقط لتقرأه، بل لتعيش به وتضيء به دروبك المظلمة.
6.لتحويل حياتك من "لعب ولهو" إلى "جد ومسؤولية"، ومن عشوائية التخطيط إلى حياة هادفة مبنية على بركة الوقت وتقدير السنن.

تاسعاً: ثمار قراءة هذا الكتاب

.1اليقين القلبي: سيزداد يقينك بأن الحياة ليست عبثاً، وأن لك رباً حكيماً لهذا الوجود هدف.
.2تحرر النفسي: ستتحرر من عبودية المادة والخوف من المخلوقين، وتشعر بعزة النفس وطمأنينة القلب.
.3الوعي التاريخي: ستتعلم قراءة التاريخ قراءة واعية لفهم سنن الله، بدلا ً من قراءته كقصص للتسلية.
.4ضبط الأولويات: ستعيد ترتيب حياتك، وتجعل العمل للآخرة هو المحرك الأول لقراراتك اليومية.
.5الجدية والإنتاجية: ستتخلص من داء التسويف واللهو، وتصبح أكثر إنتاجية وفاعلية في وقتك وعملك.
.6الصلابة أمام الفتن: ستمتلك صلابة نفسية وعقلية تمكنك من الثبات أمام عواصف الفتن والشبهات، لأنك تملك "الخريطة الواضحة".
.7فقه التعامل مع المخالف: ستتعلم منهجية القرآن في التعايش مع غير المؤمنين، مع الحفاظ على براءة الدين وثوابته) قاعدة فاعتزلون.(
.8الاستعداد ليوم الفصل: ستعيش حياتك وأنت مستعد للقاء الله، لا خوفاً، بل رجاءً وطمعاً في رحمته.

خلاصة: رحلة من "الدخان" إلى "اليقين"

"المفاهيم القرآنية من سورة الدخان" ليس مجرد كتاب يُقرأ، بل هو برنامج حياة يُعاش .إنه يقدم لك خريطة طريق تبدأ من تشخيص داء الغفلة المادية) الدخان(، مروراً بإشعال نور الكتاب المبين في قلبك، وصولا ً إلى مواجهة الفتن، وتحديد الهدف الأسمى) يوم الفصل .(أخيراً، يختتم رحلتك بدعوة عملية لتكون من "المتقين" الذين نالوا "الفوز العظيم"، ويزودك بآخر وصية وهي "فارتقب"، الصبر و الثقة بوعد الله.

هذا الكتاب هو بمثابة "صدمة يقظة" في زمن الضياع، و"مولد جديد" للروح والعقل، يدعوك لتصبح نسخة أخرى من نفسك؛ أكثر وعياً، وأكثر إيماناً، وأكثر قيادةً لتكون أنت الفرق في هذا الزمن المليء ب-"الدخان".
المولف

بسم الله الرحمن الرحيم
اهداء

إلى كل نفسٍ تاهت في ضباب "الدخان"...

إلى كل قلبٍ أثقلته زخارف الدنيا، وأرهقته متاهات المادة،
إلى كل عقلٍ حائر يبحث عن نورٍ في ظلمات الشك واللعب،
إلى كل روحٍ تاقت للطيران في فضاءات اليقين والطمأنينة...

أهدي هذا الجهد المتواضع،
رجاءً أن يكون "كشاف ضوء" ينير دربك،
ويقودك من غفلة "الزخرف" إلى يقظة "الدخان"،
ومن سطحية التفكير إلى عمق التدبر،
ومن لهو العمر إلى جدية الاستثمار،

فتكون من "المتقين" الذين نالوا "الفوز العظيم".

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المولف احمد عبد الرزاق مربوش

بسم الله الرحمن الرحيم
بطاقة تعريفية لسورة الدخان

١.عدد الآيات

) ٥٩تسع وخمسون (آية، باتفاق جميع القراء والعدّادين.

٢.ترتيب السورة

أ .من حيث الترتيب في المصحف المرتل

السورة رقم ٤٤ في المصحف الشريف، وذلك في ترتيب المصحف الذي استقر عليه الصحابة رضوان الله عليهم، وتأتي بعد سورة الزخرف وقبل سورة الجاثية، في القسم الأخير من القرآن) المفصل.(

ب .من حيث ترتيب النزول

السورة الرابعة والستون في ترتيب النزول) وقيل الخامسة والستون(، وذلك وفق الترتيب المشهور الذي يعتمد على روايات السيرة ومواضع نزول السور.

نزلت بعد سورة الزخرف مباشرة وقبل سورة الجاثية، وهذا الترتيب النزولي مهم جداً لفهم السياق، فقد نزلت سورة الزخرف للتحذير من زخرف الدنيا وفتنتها، ثم جاءت سورة الدخان كعلاج لهذه الغفلة ، ثم الجاثية لتقرير الحساب والجزاء.

٣.مكان نزول السورة

مكية بإجماع أهل العلم والتفسير، وذلك للأدلة التالية:

· أسلوبها الشديد في مخاطبة المشركين وتحديهم.
· تركيزها على قضايا العقيدة الأساسية) التوحيد، البعث، النبؤة.(
· عدم ورود أي تشريع عملي فيها كالحدود أو المعاملات، مما يدل على مرحلتها المكية.
· ورود القصص القرآني فيها بأسلوب الإنذار والتذكير، وهو سمة السور المكية.
· إجماع المفسرين كالطبري والقرطبي وابن كثير على أنها مكية.

٤.الأجواء التي نزلت فيها السورة

نزلت سورة الدخان في مرحلة مكية متأخرة جداً، وتحديداً قبل الهجرة النبوية بفترة ليست بالطويلة، وهي مرحلة تتميز بأجواء خاصة:

أ .أجواء الصراع الفكري والعقائدي

كان المشركون في قمة عنادهم واستكبارهم، وقد بلغوا ذروة التحدي للنبي ﷺ وللقرآن، فكانوا يسخرون من آيات الله ويستهزئون بالوعد والوعيد، ويقولون: "متى هذا الوعد إن كنتم صادقين"، في جوّ من السخرية والاستهزاء.

ب .أجواء القحط والمجاعة

ورد في سبب نزول بعض آياتها أن النبي ﷺ دعا على قريش بالقحط لما آذوه، فأصابهم جوع شديد حتى أكلوا العظام والجلود، ورأوا في السماء كهيئة الدخان من شدة الجوع والعطش، فنزل قوله تعالى: "فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ".

ج .أجواء التكذيب بالبعث

كان المشركون ينكرون البعث والنشور أشد الإنكار، ويقولون: "إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ"، فأتت السورة لتدحض هذه الشبهة بأدلة عقلية وتاريخية.

د .أجواء التحدي بالإعجاز

نزلت السورة في جوّ من التحدي القرآني، حيث كان العرب يتفاخرون بفصاحتهم وبيانهم، فأتتهم هذه السورة بحروف مقطعة) حم (لتلفت انتباههم، ثم تعلن عن إعجاز الكتاب المبين الذي لا يستطيعون الإ تيان بمثله.

.٥أسباب نزول السورة وبعض آياتها

أ .السبب العام لنزول السورة

نزلت السورة ككل للاستجابة للتحدي المشركي، ولتقديم العلاج القرآني لداء الغفلة عن ذكر الله واليوم الآخر، ولتثبيت النبي ﷺ وأصحابه على الحق في وجه الطغيان القرشي.

ب .أسباب نزول آيات محددة

.١آية الدخان) الآيات١٠ -(١١:
"فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ"

· السبب: روي أن قريشاً لما اشتد أذاهم للنبي ﷺ، دعا عليهم، فأصابهم قحط وجوع شديد، حتى صاروا يرون كالدخان بين السماء والأرض من شدة العطش والجوع .فنزلت الآيات تخويفاً لهم وتبشيراً بالنصر للمؤمنين.
· تفسير آخر: قال بعض المفسرين إن الدخان هنا من علامات الساعة الكبرى التي لم تأتِ بعد، والآية إنذار عام للكافرين.

.٢آية شجرة الزقوم) الآيات٤٣ -(٤٦:
"إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ"

· السبب: نزلت رداً على استهزاء المشركين عندما سمعوا وصف شجرة الزقوم في الجحيم، فقال أبو جهل مستهزئاً: "يا قوم، أتدرون ما الزقوم؟ إنه تمر الزبد والزيت!"، فجاءت هذه الآيات لتصدق وعد الله ووعيده، وتبين حقيقة هذا العذاب الأليم.

.٣آية الفصل والتمييز) الآيات٣٨ -(٣٩:
"وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ"

· السبب: نزلت رداً على قول المشركين الذين قالوا: "مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ"، فنفت الآية عن الله صفة العبث، وأكدت أن للخلق غاية وحكمة.

.٤آية التحدي بالآباء) الآية(٣٦ :
"فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ"

· السبب: نزلت رداً على المشركين الذين طلبوا من النبي ﷺ أن يحيي لهم آباءهم الموتى كدليل على صدق دعوته، وهذا التحدي يكشف عن عنادهم وعدم جديتهم في طلب الحق.

.٥آية فاعتزلون) الآية(٢١ :
"وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ"

· السبب: نزلت في موسى عليه السلام وقومه، ولكنها درس للمسلمين في التعامل مع المخالفين، وقد استنبط منها العلماء قاعدة التعايش السلمي مع الحفاظ على ثوابت الدين.

٦.أسماء السورة وسبب التسمية

أ .الاسم المشهور

"سورة الدخان" وهو الاسم الذي اشتهرت به، وتُعرف به في المصاحف وكتب التفسير.

ب .سبب التسمية

سُميت بهذا الاسم لورود لفظ "الدخان" فيها صراحة في قوله تعالى:
"فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ") الآية(١٠

وهذه الآية هي المحور الأساسي الذي تدور حوله السورة في جانب الإنذار والتخويف، فجعلت السورة تُعرف بهذا الاسم المميز، وهو اسم يحمل دلالة قوية على شدة العذاب والبلاء الذي ينتظر المكذبين.

ج .أسماء أخرى للسورة

- "سورة حم الدخان": لأنها تبدأ بالحروف المقطعة) حم.(
- "سورة الدخان" فقط: وهو الاسم الأغلب والأشهر.
- "سورة التي يذكر فيها الدخان": كما كان الصحابة يعرفون السور بأبرز موضوعاتها.

٧.خصائص السورة

تتميز سورة الدخان بعدة خصائص تميزها عن غيرها من السور:

أ .كونها من "الحواميم"

هي السورة الخامسة من سور "الحواميم" السبع التي تبدأ بـ) حم(، وهي:) غافر - فصلت - الشورى - الزخرف - الدخان - الجاثية - الأحقاف(، وتشكل معاً وحدة موضوعية تتحدث عن التوحيد والوحي و الجزاء.

ب .افتتاحها بالكتاب المبين

افتتحت السورة بقوله: "حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ" ، وهو قسم عظيم بالقرآن الذي يوضح كل شيء، وهذا يمنح السورة طابعاً من الجدية والإنذار منذ بدايتها.

ج .وحدة الموضوع

تتميز سورة الدخان بوحدة موضوعية مذهلة، إذ أن جميع آياتها تدور حول محور واحد: "الانتقال من الغفلة عن الدنيا إلى اليقين بالآخرة" ، فتجدها تبدأ بالإنذار، ثم تذكر أدلة التوحيد، ثم القصص التاريخي، ثم مشاهد يوم القيامة، وكلها تصب في هذا المحور.

د .الإيقاع القوي والقصير

فواصل آياتها قصيرة ومتقارنة، مما يعطيها إيقاعاً قوياً وسريعاً، يهز المشاعر ويحرك الوجدان، وهذا من خصائص السور المكية التي تخاطب العقول والقلوب في آن واحد.

هـ .الجمع بين الترهيب والترغيب

جمعت السورة بين الترهيب الشديد في وصف عذاب المجرمين، والترغيب العظيم في وصف نعيم المتقين، وهذا هو أسلوب القرآن الفريد في تربية النفوس.

و .الاعتماد على القصص التاريخي

استخدمت قصة فرعون وموسى كنموذج تاريخي حي لبيان سنة الله في إهلاك الظالمين ونجاة المؤمنين، وهذا يُعد من أقوى أساليب التربية والتذكير.

٨.ما انفردت به السورة

تضمنت سورة الدخان عدة ميزات انفردت بها عن غيرها من السور:

أ .آية الدخان

انفردت بذكر "الدخان" كآية أو علامة من علامات الساعة الكبرى) أو كعذاب نزل على المشركين(، وهذه الآية لم ترد في أي سورة أخرى بهذه الصيغة، وهو ما جعل السورة تُعرف بهذا الاسم.

قال تعالى: "فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ" . وقد اختلف المفسرون: هل هو دخان مضى) كـ القحط الذي أصاب قريشاً (أم هو من علامات الساعة التي لم تأتِ بعد؟

ب .ليلة القدر في السورة

انفردت السورة بذكر تنزيل القرآن في "ليلة مباركة" وهي ليلة القدر، بصيغة واضحة جلية في سياق الحديث عن الوحي:
"إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ".
وهذا تصريح قرآني بأن القرآن نزل في ليلة القدر، وهي من أعظم الليالي وأبرهاك.

ج .البطشة الكبرى

ذكرت السورة "البطشة الكبرى" وهي يوم بدر أو يوم القيامة، قال تعالى:
"يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ".
وهذا الوصف لم يرد في سورة أخرى بهذه التسمية الصريحة، مما يعطي السورة خصوصية في الحديث عن النقمة الإلهية.

د .مقارنة الموتة الأولى بالآخرة

انفردت السورة بلفتة عجيبة في قوله تعالى عن المتقين:
"لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ".
وهذه المقارنة بين "الموتة الأولى" وخلود الجنة، لها دلالة خاصة لم ترد في سورة أخرى بهذه الصياغة.

٩.أهداف وأغراض السورة

تسعى سورة الدخان إلى تحقيق مجموعة من الأهداف الكبرى:

أ .الهدف الأول: إيقاظ القلب البشري من الغفلة

الهدف الأساسي للسورة هو هز القلوب الغافلة وإيقاظها من سباتها، فهي تخاطب الإنسان الذي يعيش في غمرة المادة واللّهو، وتدعوه إلى التفكر في مصيره ومآله.

· تُذكر السورة بأن الحياة ليست لهواً وعبثاً، بل هي دار ابتلاء واختبار.
· تُحذّر من أن تنشغل بالدنيا عن الآخرة، فتصبح حياة الإنسان بلا هدف.

ب .الهدف الثاني: تثبيت عقيدة التوحيد

تكرس السورة عقيدة التوحيد الخالص لله، وتدعو إلى إفراده بالعبادة:

· تذكر الناس بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى.
· تدعو إلى التحرر من عبادة المادة والطغاة، والانصراف إلى عبادة الله وحده.

ج .الهدف الثالث: تقرير البعث والجزاء

تثبت السورة حقيقة البعث والنشور، وتجيب على شبهات المنكرين:

· تفنّد حجج المشركين الذين أنكروا البعث.
· تذكر أن الخلق لم يكن عبثاً، بل لغاية عظيمة هي الجزاء والعدل الإلهي.
· تبيّن أن هناك يوماً للفصل والحساب، سيجازى فيه المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

د .الهدف الرابع: الترهيب والترغيب

تقدم السورة لوحتين متقابلتين:

· لوحة الترهيب: وصف دقيق ومفصل لعذاب المجرمين في النار، من شجرة الزقوم إلى الحميم و الغليان.
· لوحة الترغيب: وصف بديع لنعيم المتقين في الجنان، من المقام الأمين إلى الحور العين والفاكهة الآ منة.

هـ .الهدف الخامس: تسلية النبي ﷺ والمؤمنين

تقدّم السورة عزاءً للنبي ﷺ والمؤمنين، وتبشرهم بالنصر على المكذبين:

· تذكرهم بقصة موسى وفرعون، وكيف نجّى الله موسى وأغرَق فرعون وجنوده.
· تؤكد أن سنة الله في إهلاك الظالمين ونصر المؤمنين مستمرة لا تتغير.
· تختم السورة بالأمر: "فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ" ، أي انتظر نصر الله، فإنهم ينتظرون ما لا يحمد عقباه.

١٠.أبرز موضوعات السورة مرتبة وفقاً لبنائها الموضوعي

المبحث الأول: الافتتاح بالوحي والكتاب المبين) الآيات١ -(٩

· القسم بالقرآن المبين.
· بيان عظمة القرآن وتنزيله في ليلة مباركة.
· الإنذار بالعذاب للذين كذبوا.

المبحث الثاني: مشهد الدخان والإنذار) الآيات١٠ -(١٦

· وصف يوم يأتي السماء بدخان مبين.
· تضرع المشركين عند رؤية العذاب.
· الرد عليهم بأن العذاب سيزول ثم يعودون إلى كفرهم.
· الإشارة إلى البطشة الكبرى يوم بدر أو القيامة.

المبحث الثالث: قصة فرعون وموقف قومه) الآيات١٧ -(٣٣

· وصف إرسال موسى إلى فرعون وقومه.
· عرض الحجج والبراهين على فرعون.
· استكبار فرعون ورفضه الإيمان.
· نداء موسى: "أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ".
· طلب موسى العون من ربه وقوله: "رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ".
· نجاة بني إسرائيل وإغراق فرعون وجنوده.
· إرث بني إسرائيل جنات وعيون.

المبحث الرابع: جدال المشركين في البعث) الآيات٣٤ -(٤٢

· إبطال قول المشركين: "إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى".
· تحدي المشركين بإحياء الآباء الأولين إن كانوا صادقين.
· التأكيد على أن الله خلق السماوات والأرض بالحق.
· بيان أن أكثرهم لا يعلمون.
· إعلان أن يوم الفصل هو ميقاتهم أجمعين.

المبحث الخامس: مشاهد عذاب المجرمين) الآيات٤٣ -(٥٠

· وصف شجرة الزقوم وطعام الأثيم.
· تشبيهه بالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم.
· الأمر الإلهي للملائكة: "خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ".
· صب عذاب الحميم فوق رؤوسهم.
· قولهم: "ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ") بأسلوب التهكم.(

المبحث السادس: مشاهد نعيم المتقين) الآيات٥١ -(٥٧

· وصف مقام المتقين الأمين.
· هم في جنات وعيون، يلبسون السندس والإستبرق.
· زواجهم من الحور العين.
· لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى.
· وعد الله لهم بالفوز العظيم ووقاية عذاب الجحيم.

المبحث السابع: خاتمة السورة) الآيات٥٨ -(٥٩

· تذكير بأن القرآن ميسر بلسان النبي ﷺ ليتذكروا.
· الأمر بالارتقاب وانتظار نصر الله.
· الإعلان بأن الكفار أيضاً مرتقبون، ينتظرون ما لا يحمد عقباه.

.١١مفاهيم السورة

تقدم سورة الدخان مجموعة من المفاهيم الجوهرية التي تشكل رؤيتها للكون والإنسان والحياة:

أ .مفهوم اليقين

اليقين هو روح السورة وجوهرها، فهو نقيض الشك واللعب والغفلة.

· اليقين هو الدرجة الإيمانية التي تجعل القلب مطمئناً لا يتزعزع.
· اليقين بالله ووحدانيته، وبالكتاب المبين، وباليوم الآخر.

ب .مفهوم العبودية والتحرر

· العبودية الحقيقية هي التحرر من عبادة المادة والشهوات والطغاة.
· الدعوة إلى أن تكون العبودية لله وحده، كما دعا موسى: "أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ".
· التحرر من الإذلال والاستعباد البشري إلى عزّة الإيمان.

ج .مفهوم السنن الإلهية

· للكون سنن وقوانين ثابتة لا تتغير.
· سنة الله في إهلاك الظالمين والمجرمين.
· سنة الله في نجاة المؤمنين الصابرين.
· ضرورة فقه هذه السنن لقراءة التاريخ قراءة واعية.

د .مفهوم الجزاء من جنس العمل

· العذاب ليس عشوائياً، بل هو نتيجة حتمية للجريمة.
· لقمة الحرام تتحول إلى زقوم في الآخرة.
· البطون التي لم تشبع من الحلال، تمتلئ بالمهل الحارق.
· الكبر والاستكبار يعاقب عليه بصب الحميم على الرأس.

ه- .مفهوم الفوز العظيم

· النجاح الحقيقي ليس في جمع المال والمنصب.
· الفوز العظيم هو الفوز بالجنة والنجاة من النار.
· هذا المفهوم يعيد تعريف السعادة ومعنى الحياة.

و .مفهوم الأمانة والرسالية

· المؤمنون هم أمة "مُرسَل" إليها رُسُل، وهم مطالبون بالتبليغ.
· مفهوم الرسالية يحوّل المسلم من متلقٍ سلبي إلى فاعل إيجابي.
· حمل الأمانة والتكليف هو مصدر العزة والكرامة.

١٢.مقاصد السورة

أ .المقصد العام

تقرير العقيدة الإسلامية في قلوب الناس، وإخراجهم من ظلمات الشرك والغفلة إلى نور التوحيد و اليقين.

ب .المقاصد التفصيلية

١.الدعوة إلى التوحيد الخالص:

· إفراد الله بالعبادة وترك ما سواه.
· نفي الألوهية عن المخلوقات والطواغيت.
· إثبات أن الخلق والأمر لله وحده.

٢.تقرير النبوة والوحي:

· إثبات أن القرآن وحي من الله، ليس كلام بشر.
· إظهار عظمة القرآن وإعجازه.
· تثبيت النبي ﷺ على دعوته.

٣.تقرير البعث والجزاء:

· إثبات أن الموت ليس نهاية كل شيء.
· بيان أن هناك داراً للجزاء، هي الآخرة.
· الرد على المشركين الذين أنكروا البعث.

٤.بيان سنة الله في الأمم:

· إظهار أن الظلم والاستبداد يؤديان إلى الهلاك.
· إظهار أن النصر للمؤمنين المتقين.
· جعل التاريخ عبرة وعظة لأولي الألباب.

٥.توجيه النفس إلى الاستعداد للآخرة:

· تحذير المؤمنين من الانشغال بالدنيا عن الآخرة.
· حث المؤمنين على العمل الصالح والتقوى.
· دفع المؤمنين إلى المبادرة بالتوبة قبل فوات الأوان.

١٣.رسائل السورة

أ .رسائل توجيهية

١.لا تغتر بقوتك: مهما بلغت قوتك ومالك وجاهك، فأنت ضعيف أمام قدرة الله، وتذكر فرعون الذي كان أقوى منك وهلك.

٢.لا تؤجل التوبة: باب التوبة مفتوح في الدنيا، فإذا جاء العذاب انغلق، ولن تنفع الذكرى بعد فوات ا لأوان.

٣.الجزاء من جنس العمل: ما تزرعه في الدنيا تحصده في الآخرة، فازرع خيراً تحصد خيراً.

٤.القرآن ميسر: لا تظن أن القرآن بعيد المنال، فقد يسره الله للذكر والفهم، فلا تتركه وعد عنه.

ب .رسائل تربوية

١.رَبِّ نفسك على التقوى: التقوى هي الطريق الوحيد للفوز بالجنة والنجاة من النار.

٢.اجعل القرآن منهج حياتك: القرآن ليس كتاباً يُقرأ للتسلية، بل هو دستور حياة يضيء لك الطريق.

٣.اصبر وارتقب: طريق الحق طويل ومليء بالتحديات، ولكن وعد الله بالتمكين والنصر حق، فاصبر واثبت.

٤.حرر عقلك من المادية: لا تقيد عقلك بقيود المادة، وانظر إلى الحياة بعين اليقين والبصيرة.

ج .رسائل إيمانية

١.الله عزيز رحيم: هو عزيز في انتقامه من المجرمين، رحيم بعباده المؤمنين، فخف من عزته وارج رحمته.

٢.يوم الفصل آتٍ لا محالة: سيأتي يوم يفصل الله فيه بين الحق والباطل، فاستعد له.

٣.لا ينفع المال والبنون: في ذلك اليوم، لا ينفع الإنسان ماله ولا ولده، ولا قريب ولا نصير، إلا من أتى الله بقلب سليم.

٤.الجنة والنار حق: هما داران أعدتا للجزاء، فاختر لنفسك أي الدارين تكون.

خلاصة البطاقة

سورة الدخان هي سورة مكية، عدد آياتها٥٩ ، نزلت في المرحلة المكية المتأخرة، وتعرف باسمها هذا لورود لفظ "الدخان" فيها .تدور أبرز موضوعاتها حول: الإنذار بالدخان والعذاب، قصة موسى وفرعون، جدال المشركين في البعث، مشاهد عذاب المجرمين، ومشاهد نعيم المتقين .تهدف السورة إلى إيقاظ القلوب من الغفلة، وتقرير التوحيد والبعث والجزاء، وتربية النفوس على التقوى واليقين، وتثبيت النبي ﷺ والمؤمنين على الحق .وتقدم مفهوماً جديداً للنجاح بأنه الفوز العظيم بالجنة والنجاة من النار، وتؤكد على سنن الله في إهلاك الظالمين ونصر المؤمنين.

خاتمة: هذه السورة هي دعوة مكثفة لكي تعيش حياتك بوعي وهدف وإيمان، لا كمن يعيش في غفلة ولهو، فتكون من الخاسرين في الدنيا والآخرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

رساله سورة الدخان : من غفلة "الزخرف" إلى يقظة "الهدف"**
تأتي سورة الدخان كرسالة ربانية حازمة لانتشال النفس الإنسانية من شراك "المادية" التى فصلت سورة الزخرف ذمها محذرةً من الاغترار بزخرف الدنيا والنظر إليها بعين التعظيم والإجلال، ورسمت بآياتها الأخيرة صورةً بليغةً لخطورة الاستغراق في الملذات؛ كيف تفسد التصورات، وتصيب العقول بـ السطحية، وتبلد الإحساس بالمسؤولية، حتى يصبح المرء غافلا ً لاهياً:) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ...(تأتي سورة الدخان
لتبني البديل الإيماني، وترسم معالم الطريق لمن أراد النجاة من داء الغفلة.
فتتمحور رسالة السورة حول الآخرة، وإعادة تعريف النجاح والاستثمار**، لتؤكد لنا أن التحذير من الرفاهية والحث على الإيمان باليوم الآخر لا يهدفان أبداً إلى اعتزال الحياة اليومية أو تحريم مباهجها وزينتها، بل يهدفان إلى تغيير جذري في نظرتنا للحياة.

إنها تغيير يصوغ وعينا، وينتقل بنا نقلةً نوعية في أربعة محاور أساسية:

1/من الترفيه السطحى الى الحياه الهادفة:
في عصرنا الذي يعج بالمشتتات، حيث تبتلع وسائل التواصل والترفيه الرقمي أوقاتنا في متاهات لا طائل منها، تأتي السورة لتعالج داء السطحية في التفكير وانعدام الجدية .إنها تصرخ فينا أن الوقت أغلى من أن يُقتل بلا هدف، لتغرس في نفوسنا شعوراً عميقاً بالغاية والمسؤولية في كل خيار يومي انها .تخبرنا بان الحياة ليست نزهة عابرة، بل هي ميدان لمسؤولية كبرى تتطلب جدية في التعامل مع الأوقات والقدرات.
2/ من التفكير قصير المدى الى الاستثمار طويل الأمد::
يواجه الناس أزمات حقيقية عند اتخاذ القرارات المصيرية، لأن مقياس النجاح لديهم يختزل في ملذات الدنيا العاجلة؛ فيسعى الكثيرون لجمع المال والمنصب بأي ثمن، حلالا ً كان أم حراماً .وهنا تعالج السورة هذا الداء عبر إعادة تعريف "السعادة الحقيقية" بأنها الفوز بالآخرة، وتصحيح مفهوم "الخسارة" بأنها خسارة الآخرة .تذكرنا بطعام أهل النار من شجرة الزقوم، ومذلتهم، ثم تقابل ذلك بنعيم المتقين في الجنة، لتختم بالقول الفصل:) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.(
3/من غفله القلب الميت الى يقظه الايمان الحى :
اسم السورة "الدخان" بذاته قادر على طرق جدران القلب الغافل، ليشعر بهول ما هو مقبل عليه .إن ع لامات الساعة التي تذكرها السورة هي بمثابة "أدوات إحياء" للقلوب الميتة، كما تفعل إبر الوخز للجلد المُخدّر .لكنها لا تنفع إلا من لديه استعداد حقيقي للحياة ويطلب العلاج بيقين .السورة تعلمنا أن الإ يمان العارض الذي يزول بزوال المؤثر ليس هو المطلوب، بل المطلوب هو "الإيمان باليقين" الذي يستمر ويثبت، إيمان من يبصر مصدر النار، لا من يرى الدخان العابر فينخدع به.
4/من تجاهل الظلم الى. ادراك السنن الإلهية::
الاستبداد، والظلم، وطول زمن الرفاهية، وتعاقب الأجيال في غفلة؛ كلها عوامل تجعل الناس يتبلد إحساسهم تجاه الجور ويفقدون الشعور بالمسؤولية .تعالج السورة هذا عبر ضرب نموذج فرعون، لترينا نهاية الظلم الحتمية .إنها تعلمنا فقه السنن وكيفية قراءة الأحداث، لنوقن بأن مجريات الكون ليست عشوائية، بل تحكمها قوانين وتدبير إلهي، مما يشحذ هممنا لمقاومة الطغيان، ويرفض الانبهار بقوة الطغاة، إيماناً بأن باطلهم إلى زوال لا محالة.

ختاماً، سورة الدخان هي بمثابة العلاج الأمثل لسطحية الحياة المعاصرة .إنها لا تحارب مباهج الدنيا ولا زينتها، بل تشترط أن تتوافق هذه المباهج مع أوامر الله ونواهيه، ومع الغاية العظمى من الوجود . إنها تذكرنا بأن وقتنا قصير، وهدفنا عظيم، ومسؤوليتنا حتمية، لنعيش حياة نابضة بالهدف، بعيدة عن اللعب والمرح المذموم، ومستعدة دوماً للقاء اليوم الموعود
القسم الاول
تفسير الآيتين الكريمتين (حم، وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ) من سورة الدخان، تعال معى فى هذه الرحله التفسيرية لنجعل من هذا التفسير رحلة إيمانية تعيد تشكيل نظرتك للحياة.
هيا بنا نبدأ، متسلحين بفهمنا لرسالة السورة: الانتقال من الترفيه السطحي إلى الحياة الهادفة، ومن التفكير قصير المدى إلى الاستثمار طويل الأمد، ومن غفلة القلب الميت إلى يقظة الإيمان الحي، ومن تجاهل الظلم إلى إدراك السنن الإلهية.

تحليل الآيتين (حم (1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (2))

تخيل أنك واقف على أعتاب سورة الدخان، وقد أنهيت للتو رحلتك في سورة الزخرف التي هزت

أعماقك وحذرتك من فتنة زخرف الحياة الدنيا. أنت الآن تحمل سؤالا ً كبيرا: كيف لي أن أعيش هذه الحياة الهادفة؟ كيف أحمي نفسي من هذا "الدخان" الفكري والمادي الذي يغشى البصائر؟ في هذه اللحظة، يأتيك النداء الإلهي واضحا جليا. إنها ليست مجرد كلمات، بل هي مفاتيح للخروج من الضبابية إلى الوضوح.

دعنا نقف مع كل حرف وكل كلمة في هاتين الآيتين الكريمتين، لنستخرج معا الدلالات والمقاصد والأ هداف التي ستكون بمثابة "كشاف الضوء" الذي سنمشي به في هذه السورة وفي حياتنا كلها.

اولا

الأمر الأول - تحليل (حم)

لنبدأ بتأمل هذين الحرفين النورانيين: (حم).

.١ما هو المقصود ب) حم (في بداية السورة؟
هذه حروف مقطعة، استأثر الله بعلم كنهها الكامل. لكننا نعلم أنها ليست حروفا عابرة، بل هي جزء من إعجاز القرآن. إنه خطاب من الله، يبدأ به ليوقظ كل غافل، ويشد انتباه كل لاهٍ. إنها كجرس الإ نذار الذي يقرع بقوة ليُسكت ضجيج الحياة المادية من حولك.

.٢لماذا بدأت السورة بحروف مقطعة؟
اسمع معي جيدا، ففي هذا سر عظيم. بدأت السورة بها لسببين جليلين:

· لبيان عظمة القرآن: إنها تشير بجلاء إلى عجز الكفار، بل البشرية جمعاء، عن الإتيان بمثل هذا القرآن .يا ترى، لماذا يقفون عاجزين؟ لأن هذا الكلام منظم من نفس الحروف التي يتحدثون بها، "حاء" و"ميم"، ومع ذلك يعجزون عن تأليف سورة من مثله .هذا هو التحدي الصارخ الذي يعلن منذ اللحظة الأولى: أنتم أيها الغارقون في المادة، عاجزون عن خلق كلمة واحدة من هذا النور.
· لافت الانتباه: الأذن العربية اعتادت بداية الكلام الفصيح والبليغ، فإذا فوجئت بهذه الحروف المقطعة ، تتنبه كل الحواس .هي أشبه بوميض ضوء ساطع في غرفة مظلمة، يجعل كل من فيها يلتفت وينصت .هذا الافتتان هو لتهيئة قلبك وعقلك لما سيأتي بعده من آيات عظام.

.٣كيف يؤثر معرفة عجز المشركين عن الإتيان بمثل القرآن في يقينك؟
والآن، دعنا ننقل هذا مباشرة إلى قلبك. فكر معي: كيف يؤثر هذا في يقينك أنت بأن القرآن ليس كلا م بشر؟
تأمل! هؤلاء المشركون هم أصحاب اللغة، وأساطين البلاغة والفصاحة. استخدم الله نفس حروفهم ونفس لغتهم، وأخرج لهم هذا الكلام المعجز. عندما تدرك أنهم عجزوا عن الإتيان بمثله رغم توفر كل الأدوات والمادة الخام لديهم، يتزعزع في قلبك أي شك، وينمو يقين راسخ كالجبال بأن هذا ليس كلا م بشر، بل هو كلام الخالق العظيم. هذا الإدراك يحول إيمانك بالقرآن من مجرد شعار ورثته، إلى واقع حي نابض في قلبك، يدفعك للعمل به والاحتكام إليه في كل صغيرة وكبيرة.

أهم الرسائل النفسية والتربوية والعقلية والدروس العملية من (حم):

· تعظيم القرآن: يجب أن يتغير نظرك للقرآن تماما .لا تنظر إليه أبدا ككتاب عادي تضعه على الرف للزينة أو للقراءة الموسمية .إنه كلام الله الذي يغير القلوب، والذي حين تمسك به، فإنك تمسك بحبل متين طرفه عند رب العالمين.
· اليقين بحقيقة الإيمان: تريد أن تحول الإيمان في قلبك من شعار إلى واقع حي في تعاملاتك؟ الآية تقول لك: ابدأ من هنا .يقينك بأن هذا الكلام معجز هو الوقود الذي سيحرق شكوكك وكل ما يضيع به عمرك من لهو ولعب .إنه يحول العلاقة مع القرآن من مجرد تعبد لفظي، إلى منهج حياة كامل.
· الطمأنينة في الشدائد: عندما تمر بضائقة، خوف، مرض، أو فقدان وظيفة ...هل تستحضر أن الله على كل شيء قدير؟ هذه الآية تمنح قلبك هذه الراحة) .حم (ليست مجرد أحرف، بل هي إشارة إلى أن الذي أنزل هذا الكتاب هو القادر على كل شيء، وهو من بيده ملكوت السماوات والأرض . استحضار هذا المعنى يورث القلب طمأنينة وسكينة عجيبة لا تجدها في أي مكان آخر.

تطبيق عملي لك الآن:
اسأل نفسك بصدق: عندما تمر بحالة شك أو ضعف إيمان، أين تذهب أولا ً؟ هل تعود إلى القرآن الكريم بحثا عن يقين وإجابات، أم أنك تبحث في مواقع الإنترنت أو آراء شخصيات قد تزيدك حيرة وشتاتا؟
الرسالة هنا واضحة: التأثر اليقيني الحقيقي يجعلك تلجأ فورا إلى القرآن، فهو وحده الذي فيه الدواء

لكل ما تعانيه. فاجعل هذا هو تطبيقك العملي الأول.
الأمر الثاني - تحليل (وَالكِتَابِ)

ننتقل إلى المقطع الثاني من القسَم الإلهي: (وَالكِتَابِ).

١.ماذا يعني القسَم بـ) الكتاب(؟
عندما يقسم الله العظيم، خالق الكون وما فيه، بشيء، فاعلم أن لذلك دلالة عظمى. هنا يقسم ربك ب ـ "الكتاب". هذا القسَم هو تشريف وتفخيم لقدر هذا الكتاب، ورفع لمكانته ومنزلته.

٢.لماذا أقسم الله تعالى بالكتاب في بداية هذه السورة تحديداً؟
لاحظ الربط الاعجازى ، يا صاحب الفطنة. إنه يربط بين عظمة الخالق وعظمة المنهج. الله العظيم الذي يبدأ سورة الدخان، التي تحذر من غفلة المادة، يقسم بكتابه ليقول لك: "هذا هو الحل". إذا كان التحذير من الرفاهية والظلم سيأتيك، فاعلم أن المنطلق والمرجع الذي ستنير به طريقك هو هذا الكتاب. القسَم هنا دليل على أن ما سيأتي بعد ذلك هو حق وصدق لا مرية فيه، وهو أمر جلل وخطير يستوجب منك كامل الانتباه.

٣.إلى ماذا يهدف قسم الله بالكتاب؟
الهدف واضح وصريح: إيقاظ القلوب الغافلة. السورة مكية، تخاطب قوماً غارقين في الماديات، عُبّاداً لـ لأصنام، لاهين بالملذات. القسَم بالكتاب يأتي كالصاعقة التي تنزل على قلب كل غافل لتصرخ فيه: "انتبه! استمع! هناك أمر عظيم في طريقك، ولن تجد النجاة منه إلا بالتمسك بما أقسمتُ به الآن". إنها دعوة لشد الانتباه لخطورة هذه المرحلة من تاريخ الدعوة أو خطورة ما سيواجهه البشر، ولإعلاء قيمة الكتاب كقبلة للنجاة.

٤.ما الذي يورثه هذا القسم في نفسك من إجلال وتعظيم للقرآن الكريم؟
هل تسمع صوت هذا القسم يهز أعماقك؟ إنه يورثك شعوراً بالهيبة والجلال وأنت تقرأ القرآن. تشعر أن الذي بين يديك ليس كلاماً عادياً، بل هو موضع قسم رب العالمين. هذا الشعور يغير من طريقة تعاملك مع المصحف، مع تلاوته، مع العمل به.

الرسائل النفسية والتربوية والفكرية من هذا القسم والدروس العملية:

· اكتشاف أهمية الوحي: عليك أن تقف مع نفسك وقفة صادقة، وتسأل: هل يستشعر قلبي حقاً أهمية هذا الوحي ودوره في توجيه حياتي؟ أم أنني أقرأه كنص روتيني لا تأثير له في واقعي؟ القسم هنا هو صفعة إيقاظ لقلبك لتعيد النظر في علاقتك بالقرآن.
· التطبيق العملي: اسأل نفسك مباشرة: هل أجد في قراءتي للقرآن درعاً واقياً منيعاً لي أنا شخصياً وثباتاً أمام الفتن والمحن التي تعصف بالعالم من حولي؟ إذا كان الجواب لا، فاعلم أن ثمة خللا ً في طريقة تدبرك وتفاعلك مع الكتاب الذي أقسم الله به.
· التدبر والعمل: قسم الله بشيء هو دليل مطلق على جلالته وقدره، وبرهان على صدق ما يأتي بعده .هذا يعني ببساطة أن القراءة الواعية والتدبر العميق هو المطلوب .ليس مجرد هدّ للآيات، بل فهم واستيعاب ثم عمل.
· الرجوع الدائم: يجب أن تصبح هذه الآية محفورة في ذهنك: في كل شأن من شؤون حياتك، ارجع إلى الكتاب .إن كنت حائراً في أمر، مقدم على قرار، تعاني من مشكلة، الكتاب هو مرجعك الأول والأ خير.

: الامر الثالث- دلالة وصف الكتاب بـ (المبين)

والآن نصل إلى الوصف الذي يكمل الصورة: (المُبِين). إنه ليس أي كتاب، بل هو "الكتاب المبين".

١.ماذا يعني وصفه بـ) المبين(؟
أقسم الله بالقرآن ووصفه بأنه "المبين". أي أنه واضح في نفسه، وموضّح لغيره. لاحظ عظمة الوصف، يا طالب الهداية. إنه لا يتركك في حيرة أو تيه، لا يرميك في متاهات فلسفية لا أول لها ولا آخر. بل هو النور الذي يبين لك طريق الحق من الباطل، وطريق السعادة من الشقاء، بكل وضوح وبيان. إذا كانت الحياة مليئة بـ"الدخان" الذي يعمي الأبصار، فهذا "المبين" هو الذي يبدده ويكشف الطريق أمامك.

٢.لماذا وصف الله الكتاب بـ "المبين"؟

· هل هو مبين للحق من الباطل؟ نعم، وبكل جلاء .إنه يفرق بينهما كما يفرق النور بين الظلام.
· هل هو واضح في أحكامه؟ نعم، أحكامه تقوم على جلب المصالح ودرء المفاسد، وهي واضحة لمن تدبرها وسأل أهل العلم.
· هل يبين عظمة الله؟ دون أدنى شك، كل آية فيه تنطق بعظمة الخالق وبديع صنعه وأسمائه وصفاته.
صفة "الإبانة" هذه هي طمأنة كبرى للعقل البشري، تؤكد له أن الهداية ليست لغزاً معقداً، ولا طلاسم لا تفهم، بل هي طريق واضح المعالم، سهل ممتنع، لمن أراد بصدق سلوكه.

.٣كيف يمثل القرآن "مبيناً" في ظل كثرة الشبهات والإدعاءات في عصرنا الحالي؟
في عصر التشتت الرقمي، حيث تقذف الشبهات على عقولنا كل ثانية، وتتزاحم الأفكار الهدامة، يأتي وصف "المبين" ليكون بمثابة مرساة النجاة. كل شبهة، كل ادعاء، كل فكر دخيل، ما عليك إلا أن تعرضه على هذا الكتاب المبين. ستجده يبين زيغه وانحرافه، لأنه يقدم لك المبادئ والمعايير الواضحة التي تكشف زيف الباطل من أول نظرة.

.٤ما دلالة وصف الكتاب بـ "المبين" في سياق الحديث عن الدخان والمحن؟
هذه هي النقطة الجوهرية في سورة الدخان. تخيل معي المشهد: "الدخان" يغشى الناس، رمز الفتن و المحن والظلم والغفلة، ويأتي الوصف من الله لكتابه بأنه "المبين". ألا ترى معي أن هذا هو الترياق؟! الدلالة واضحة: هذا الكتاب هو الذي سيخرجك من ظلمات ذلك الدخان. بينما الناس تائهون في ضباب المادية، أنت معك كشاف الضوء الذي يبدد كل هذا الغمام. إنه المرجع الآمن الوحيد وقت الأزمات. عندما تلتبس عليك الأمور، وترى الظلم والطغيان، وتشعر بالغفلة تغطي كل شيء، تمسك بالكتاب المبين ليُريك الحق حقاً والباطل باطلا ً.

أهم الرسائل النفسية والعقلية والفكرية من الآية:

· أهمية تدبر القرآن ككتاب مبين: يجب أن تتعامل مع القرآن على هذا الأساس العملي .إنه ليس كتاباً غامضاً أو خاصاً بفئة معينة، بل هو كتاب مبين وواضح لك أنت .اقرأه بنية الفهم والاستهداء، ستجده يكلمك ويجيب عن تساؤلاتك.
· الرجوع إليه في كل مسألة: لماذا تبحث عن إجابات في مصادر مشوشة ومليئة بالتناقضات، بينما لديك "المبين"؟ في حيرتك الدينية والدنيوية، في التباس الأمور الإيمانية، ارجع إلى القرآن والسنة النبوية، فهما اللذان يضيئان لك الطريق المبين.
· منهج واضح للحياة: اجعل من هذا "الإبانة" منهجاً لحياتك .في تربية أبنائك، كن واضحاً معهم، بين لهم الصح من الخطأ كما بينه الله لك .في تعاملاتك المالية، كن واضحاً وصريحاً، بعيداً عن الغش و الخداع .في تحديد أهداف حياتك، اجعلها واضحة منطلقة من هدي هذا الكتاب المبين.
ثانيا ً: المفاهيم والقيم وأبعاد الآية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

والآن، بعد أن غصنا في تحليل الكلمات، دعنا نستخرج الطاقة الكامنة في هاتين الآيتين، وكيف يمكن أن تكونا وقوداً لصناعة إنسان قوي، وبناء مجتمع متماسك، وإعادة إشعال شعلة الحضارة.

المحور الأول: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية

· المفهوم التربوي: القدوة بالمنهج:
الآية تربيك على أن القيمة ليست في الغموض، بل في الإبانة والوضوح .تخيل مربياً يأمر طالباً بفعل شيء دون أن يبين له سببه وهدفه! التربية القرآنية هنا تقوم على الوضوح الصارم .فلا يُطلب منك كمتربٍّ أو كمربٍّ فعل شيء دون بيان علته وهدفه.
· المفهوم النفسي: الاستقرار الذهني:
أتعلم ما هو مصدر القلق النفسي الأكبر؟ إنه العيش في الضباب، في غياب اليقين .عندما يحيط بك "الدخان" المادي، تضطرب نفسك وتبحث عن إجابة .هنا يأتي وصف "المبين" ليمنحك الطمأنينة اليقينية التي تحميك من التشتت النفسي .إنه ينهي حالة القلق المعرفي، لأنك تعرف أن الحق واضح، والباطل واضح، وهذا كافٍ لراحة بالك.
· المفهوم الفكري: العقلانية المؤمنة:
لفظ "المبين" هو دعوة صريحة لنبذ الفكر السطحي والخرافة .الإيمان ليس انغلاقاً، بل هو تعزيز للفكر القائم على البرهان والوضوح .إنه يبني فيك عقلا ً ناقداً لا يقبل الزخرف الخادع، ولا تنطلي عليه شعارات المادة الزائفة، بل يبحث دوماً عن الحقيقة الجلية التي لا لبس فيها.

المحور الثاني: أبعاد الآية وآفاقها نفسياً وفكرياً وعقائدياً

· البعد العقائدي: ربط السماء بالأرض: القسَم بـ "الكتاب المبين" هو ربط مباشر وفريد بين حياتك اليومية على الأرض وبين الوحي الإلهي من السماء .العقيدة هنا ليست مجرد نظريات جامدة ومحفوظات، بل هي منهج حياة معاش يتضح في كل تفاصيلها .فمن أهم مقاصد هذا الربط أن يتحول إيمانك إلى طاقة عمل يومية تتعامل بها مع الناس والأحداث.
· الأفق الفكري: شمولية الرؤيا: هذه الآية تفتح لعقلك أفقاً واسعاً، ليفهم أن هذا العالم الذي تعيش فيه محكوم بقوانين وسنن واضحة، وهي التي في "الكتاب" .الأحداث، صعود الأمم وسقوطها، الفتن و المحن، ليست مجرد صدف عشوائية، بل هي جزء من نظام كوني محكم، بينه الله لنا في كتابه المبين.
· البعد النفسي: الانعتاق من أسر المادة: الوضوح الذي يمنحه "المبين" هو الحرية بعينها .إنه يحررك من عبودية الشيء والمادة، إلى حريّة المعنى والروح .عندما تعرف هدفك في الحياة بوضوح، ولِمَ خلقت، ولمَ أنت هنا، تتحرر من قلق الجمع والاستهلاك، وتصبح المادة مجرد وسيلة، لا غاية تعبدها . إنه الانعتاق من قوقعة الذات الضيقة إلى رحابة الكون الهادف.

المحور الثالث: القيم المستنبطة من الآية

· قيمة الوضوح والشفافية: هي القيمة الأولى التي تنادي بها الآية .ضد الغموض والمداهنة والخداع . حياتك، أهدافك، علاقاتك، يجب أن يسودها الوضوح المستمد من منهج الله.
· قيمة المرجعية: ضرورة وجود معيار ثابت وواضح للحق والباطل، لا يتغير حسب الأهواء والمصالح . هذا المعيار هو الكتاب المبين .بدونه، يضيع الإنسان في متاهة النسبية الأخلاقية.
· قيمة الصدق: الإبانة تقتضي الصدق مع النفس ومع الخلق .لا يمكنك أن تكون "مبيناً" في حياتك وأنت تخفي النوايا أو تزيف الحقائق .الصدق هو روح الوضوح.
· قيمة الوقت والهدف: بما أن المنهج واضح، وبما أنك تملك "مبيناً" يرشدك، فلا مجال لإهدار العمر في اللعب والعبث .الوقت يصبح أثمن ما تملك، لأنك تريد استثماره فيما يوصل إلى الهدف الواضح: رضا الله والفوز بالآخرة.

المحور الرابع: مفاهيم البناء والتنمية في الآية

· التنمية القائمة على العلم: وصف الكتاب بـ "المبين" هو إشارة عظمى إلى أن أي نهضة أو تنمية حقيقية يجب أن تقوم على بيانات واضحة، وعلم راسخ، وبصيرة نافذة، وليس على تخمينات أو اتباع للظن .إنها دعوة للمجتمع كي يبني اقتصاده وسياساته على الحقائق والمعرفة الواضحة.
· بناء الإنسان المعياري: الإنسان الذي يستمد معايير نجاحه من "الكتاب المبين" هو إنسان معياري بطبعه .إنه لا يتحرك عشوائياً، بل يتحرك وفق خطة إلهية واضحة، تهدف إلى عمارة الأرض وإقامة الحق والعدل .هذا هو الإنسان القادر على البناء.
· الشفافية المؤسسية: "الإبانة" هي أساس الشفافية .في العمل الإداري، القانوني، والمالي، وفي جميع ا لأعمال، تطبيق مفهوم الشفافية المستمد من القرآن هو الأساس المتين لمكافحة الفساد وتنمية المجتمعات .تخيل مؤسسة تسودها الشفافية، كيف ستكون ثقة الناس بها؟ وكيف سيكون إنتاجها؟ هذا ما تهدف إليه هذه القيمة القرآنية.

المحور الخامس: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة
والسؤال الكبير الآن: كيف تحول هاتين الآيتين إلى طاقة حضارية هائلة تغير واقعك؟

· على مستوى بناء الإنسان: أنت، كمسلم، كيف تتحول من مجرد مستهلك للمتعة إلى صانع للقيمة؟ السر هنا .عندما تدرك بعمق أن المنهج "مبين"، يصبح لديك دافع ذاتي هائل للإنجاز، لأنك تفهم دورك في الوجود بدقة .إيمانك يتحول من مجرد طقوس تعبدية إلى طاقة عمل يومية .أنت لا تعيش عشوائياً، بل لك هدف، ولك رسالة، وهذا الشعور هو أقوى محرك لإنسانيتك.
· على مستوى بناء المجتمع: تخيل مجتمعاً يتبنى قيم "الإبانة" .ماذا سيحدث؟ ستسود الثقة بين أفراده، لأن التعاملات تقوم على الوضوح .وتختفي الممارسات الملتوية كالرشوة والخداع والغش، لأن مرجعية "الكتاب المبين" تفرض الوضوح في كل المعاملات .هذا يقوي النسيج الاجتماعي ويجعله متماسكاً في وجه كل "دخان" يحاول تمزيقه.
· على مستوى بناء الحضارة: انظر إلى التاريخ: قامت الحضارة الإسلامية وسادت العالم عندما كان "الكتاب المبين" هو المحرك للعلوم والآداب والسياسة .تحويل هذه المفاهيم اليوم يعني ثلاثة أمور رئيسية:

1. توطين المعرفة: جعل العلم متاحاً وواضحاً للجميع .هذه هي "إبانة العلم" .لا احتكار للمعرفة، بل نشر لها.
2. الحوكمة الأخلاقية: إخضاع القوة والمادة لمعايير الكتاب الأخلاقية .فلا تكون المادة هدفاً في ذاتها، بل أداة للبناء والعمران.
3. الرسالية: أن تصبح هذه الحضارة الإسلامية "مبينة" لبقية الأمم، تقدم نموذجاً واضحاً للحياة المتزنة التي تجمع بين الروح والمادة، وتوازن بين الدنيا والآخرة.

الخلاصة:
الآيتان تدعوانك الآن، في هذه اللحظة، لتحويل الوضوح القرآني إلى وضوح حياتي عملي. إنها دعوة لإنهاء عصر "الدخان" الفكري والمادي الذي تعيش فيه شخصياً، وبدء عصر "الإبانة" في السلوك والعمل والإنتاج، لتكون أنت بنفسك البرهان الحي على عظمة هذا الكتاب.

ثالثا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآية، وكيف نطبقها في واقعنا

والآن، وبعد هذه الرحلة العميقة، ماذا بقي؟ بقي أن نحول هذا كله إلى برنامج عمل يومي.

المحور الأول: إلى ما تدعونا إليه الآية؟
دعنا نلخص نداءات الآية المباشرة لك:

· الثقة التامة في وضوح القرآن وهدايته: أن تمتلك يقيناً راسخاً بأن هذا الكتاب حجة قائمة لا لبس فيها.
· تربية العقل على اليقين: الآية تدعوك أيها المسلم ألا تبني قناعاتك وأفكارك على "الدخان") الأوهام و الظنون والشائعات(، بل على "الكتاب المبين") الحقائق واليقين والبراهين.(
· الاعتزاز بالمنهج: تشعر بالفخر، نعم الفخر، لأنك تملك هذه المرجعية الواضحة التي تخرجك من ظلمات الحيرة إلى نور البصيرة، بينما يضيع غيرك في متاهات فكرية لا تنتهي .ولهذا فعليك أن تقرأ القرآن قراءة واعية لتفهم منه عيوب نفسك وطريق إصلاحها.
· ترتيب الأولويات: لاحظ، الآية بدأت بالوحي) والكتاب المبين (قبل ذكر أي شيء آخر .هذا يعلمك أن إصلاح التصورات والأفكار يسبق إصلاح العمل والسلوك .لا جدوى من تعديل سلوك دون تعديل الأ ساس الفكري والعقائدي.
· الاستشفاء بالوضوح: إن أكثر ما يتعب الإنسان المعاصر هو "الضبابية النفسية" .أن تشعر أن حياتك بـ لا معنى، وأن أهدافك مشوشة .التدبر في "الكتاب المبين" يمنحك هدوءاً نفسياً عجيباً، لأن خطواتك ورؤيتك تصبح واضحة، وأنت تعرف أين تضع قدمك التالية.

خلاصة الرسالة: إذا كانت سورة الدخان تحذر من غفلة المادية و"دخانها"، فإن أول آيتين فيها تقدمان لك "كشاف الضوء" الذي ستمشي به في هذا الدخان، وهو القرآن. التطبيق العملي هو أن تجعل الوضوح شعار حياتك، والقرآن ميزان قراراتك.

المحور الثاني: كيف نطبق هذه الآية؟ وماذا نتعلم منها في حياتنا العملية؟
التطبيق العملي يتجلى في الوضوح والمنهجية. ويمكنك تلخيصه في هذه النقاط العملية جداً:

1.محاربة التشتت والسطحية بالوضوح: بما أن الكتاب مبين، فعليك أن تكون في حياتك مبيناً وواضحاً.
· التطبيق: حدد أهدافك بدقة .لا تعش حياة عشوائية تتقاذفها وسائل التواصل الاجتماعي .اسأل نفسك: ما هو كتاب حياتي؟ هل أهدافي واضحة ومبينة، أم أنها غامضة ومشوشة؟ اكتب أهدافك الروحية والدنيوية، واجعلها واضحة أمام عينيك.
2.المرجعية في اتخاذ القرار: الآية تعلمك أن القرآن هو المعيار الذي تتضح به الأمور.
· التطبيق: عندما تحتار بين مكسب مادي سريع لكنه حرام أو فيه شبهة، وبين استثمار طويل المدى حلال بعائد أقل ...ارجع إلى "الكتاب المبين" وحكمه .سيبين لك أن لذة الحرام زائلة، وخسارتها دائمة، وأن البركة في الحلال هي الفوز الحقيقي .في كل قرار، اسأل نفسك: ما حكم الكتاب المبين في هذا؟
3.الجدية والمسؤولية: بدء السورة بقسم وبحروف مقطعة يوحي بالجدية العالية .هذا ليس كتاب تسلية.
· التطبيق: انتقل من حالة اللعب والعبث إلى الجد والمسؤولية .تعامل مع وقتك كأمانة غالية . "الكتاب المبين" يعلمنا أن لكل عمل نتيجة، ولكل قول أثراً .أنت مسؤول، فكن عند مستوى المسؤولية.

.4تربية النفس على تقدير الحقائق لا المظاهر: القسم هنا كان بـ "الكتاب" وليس بالعرش أو السماوات) رغم عظمتها .(هذا يشير إلى أن العلم والمنهج هما المحرك الحقيقي للتغيير.
· التطبيق: في تربية نفسك وتربية أبنائك، نتعلم أن تغيير السلوك يبدأ بتغيير المنظومة الفكرية و القيمية التي نستمدها من "الكتاب المبين" .لا تنشغل بإصلاح المظهر وإهمال المخبر.
.5الثبات أمام عواصف الفتن: عندما ترى "الدخان") الفتن، الظلم، تبلد الناس، الفساد(، فلا تجزع ولا تتراجع.
· التطبيق: تمسكك بـ "الكتاب المبين" هو سبب ثباتك .فأنت الوحيد الذي يملك الخريطة الواضحة في زمن الضياع، والنور الساطع في زمن الغمام .ثقتك بوضوح هذه الخريطة تجعلك لا تشك ولا تخاف، بل تمضي قدماً ثابتاً متوكلا ً على الله.

ختاماً، لن أقول لك وداعاً، بل سأقول: أمسك بكشاف النور هذا، "الكتاب المبين"، وابدأ رحلتك في سورة الدخان، مستعداً أن ترى كيف ستتبدد سحب الدخان الكثيفة واحدة تلو الأخرى، لتخرج إلى فضاءات الرحمة والهداية واليقين.

المبحث الثانى

بكل شغف، نكمل رحلتنا مع سورة الدخان، التي بدأناها بامتلاك "كشاف الضوء" وهو الكتاب المبين . كنا قد وقفنا متأملين في قوله تعالى:) حم (1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ((2) ، وشعرنا كيف أيقظت هذه البداية قلوبنا، وأكدت لنا أننا نملك خريطة واضحة في زمن "الدخان" المليء بالغفلة والتشتت.

والآن، يأتي النداء الإلهي الثالث ليكمل لنا الصورة، وليزرع في قلوبنا الطمأنينة، ويحول "الكتاب المبين" من مجرد خريطة نظرية إلى منهج حي ومحدد بزمان وهدف .يقول الله تعالى:

)إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ((3)

دعنا نقف مع هذه الآية الكريمة لنستخرج كنوزها ودلالاتها، ولنرى كيف تربط بين عظمة المنهج وقدسية الزمان، وكيف تخرجنا من عشوائية الحياة إلى انضباط الحكمة.
اولا :تحليل أجزاء الآية وربطها بالسياق

أنت الآن تقف بين يدي الله، وقد أيقنت أن "الكتاب المبين" هو ملاذك ومرجعك .هنا تأتي هذه الآية لتثبت حقيقة هذا الكتاب، وتجيب عن السؤال الذي قد يدور في ذهنك: "كيف وصلني هذا النور؟ وما مصدره؟ وما قصته؟"

لنبدأ بتحليل كل مقطع في الآية:

الأمر الأول: تحليل جملة) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ(

.1لماذا ذكر ضمير المتكلم "إنا" الذي يلحقه الفعل "أنزلناه"؟
تأمل معي عظمة هذا المقطع! "إنّا" هو ضمير العظمة والجلال .الله العظيم، ذو القدرة المطلقة، هو الذي يتكلم .لم يقل: "نزّلَ" بصيغة الغائب، بل قال "أنْزَلْنَاهُ" .في هذا إعلان مباشر من المهيمن على الكون بأن هذا القرآن هو من عنده مباشرة، نزل بعنايته وحفظه وتدبيره .اشعر بهالة العظمة وأنت تتخيل أن هذا الكلام خرج من المَلِك الأعلى، ليكون هذا الشعور رادعاً لك عن أي تساهل في حقه . هذه الصيغة تمنحك يقيناً راسخاً بأن ما بين يديك هو وحي إلهي صرف، ليس فيه شائبة بشَرية.

.2كيف تثبت هذه الآية حقيقة القرآن؟
بملاحظة الفعل "أنْزَلْنَاهُ"، ستجد أنه يثبت حقيقة القرآن عبر ثلاثة أمور جلية:

· إثبات المصدر الإلهي: القرآن ليس من فكر بشر، ولا من تأملات الحكماء، بل هو "تنزيل" من عليم حكيم .النزول يعني الانتقال من العلو المطلق إلى الأرض.
· إثبات الحفظ والعناية: فعل الإنزال يدل على تدبير وإحكام .فالله لم يلقِ به جزافاً، بل أنزله بقدر، وفي زمان ومكان مختارَين، وهذا ما ستكشفه بقية الآية.
· إثبات السلطان والقدرة: "أنزلناه" تعني أن له سلطاناً يعلو على كل سلطان، لأنه من لدن من له الخلق والأمر .هذا يربطنا بما بدأت به سورة الزخرف من التحذير من تعظيم المادة، لأن المادة لا تنزل من السماء، أما هذا الكتاب فهو الروح الذي نزل من السماء لتحيي القلوب.

الأمر الثاني: تحليل جملة) فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ(

.1لماذا يخبرنا الله بتوقيت النزول ووصفها بالبركة؟
الله الذي خلق الزمان والمكان، يختار ليالي وأوقاتاً يخصها بفضله .إخباره لنا بأنه أنزل القرآن "في ليلة مباركة" هو درس عملي عظيم في قيمة الزمان .إنه يعلمك أن الزمان ليس مجرد ساعات تمر فارغة، بل هو وعاء للبركات .تخيل أن الله يصف هذه الليلة بأنها "مباركة"، أي كثيرة الخير، دائمة النماء، متناهية الفضل .لماذا؟ لأنها ظرف الزمان الذي اختير لنزول أعظم كتاب، للقرآن "المبين" .هذا الربط بين "الكتاب" و"الليلة المباركة" يعلمك أن تعظم الأوقات التي تزداد فيها قرباً من الكتاب والعلم والهدى.

.2ما هي هذه الليلة المباركة التي نزل فيها القرآن؟
جمهور المفسرين على أنها ليلة القدر، في شهر رمضان المعظم، لقوله تعالى في سورة القدر:) إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ .(إنها الليلة التي قال الله عنها) خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ .(تأمل! ليلة واحدة، جعلها الله خيراً من عمر طويل .لماذا؟ لأنها الليلة التي شهدت نزول النور الأعظم .هذا يعلمك أن قيمة الزمان ليست بطوله، بل بما يُملأ به من الأحداث الجليلة والأعمال الصالحة.

.3هل معنى ذلك أن القرآن نزل كله في ليلة القدر؟
وهنا سؤال عظيم يطرأ على ذهنك .كيف نزل القرآن كله في ليلة واحدة بينما نعلم أنه نزل مفرقاً على النبي صلى الله عليه وسلم؟ الجواب يزيدك يقيناً وفهماً: نزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، وهذا هو الذي تشير إليه الآية بإثبات قصة النزول دفعة واحدة تأكيداً لعظمته الإجمالية .ثم نزل بعد ذلك مفرقاً على قلب النبي صلى الله عليه وسلم على مدى ثلاث وعشرين سنة، ليساير الحوادث ويجيب عن الأسئلة ويعالج المشكلات .إنه تدبير محكم في النزول، يناسب إثبات عظمة القرآن في الملأ الأعلى دفعة واحدة، ثم يثبته في قلب النبي وأمته على مهل وتدرج.

الأمر الثالث: تحليل جملة) إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ(

.1لماذا ختمت الآية بهذه الجملة؟
هذا هو المقطع الذي يربط كل شيء ."إنا كنا منذرين" تعني أن الحكمة من هذا الإنزال هي الإنذار، أي التحذير والتخويف .وهذا يضع أمامنا حقيقة مهمة جداً لفهم سورة الدخان: الكتاب المبين لم ينزل للتسلية، بل هو أداة إنذار .إنه كاشف الضوء الذي صُمم ليُريك المخاطر القادمة في "دخان" الفتن و المحن، ولينذرك من الغفلة، ومن السطحية، ومن التفكير قصير المدى .إنه دليل على أن الحياة ليست لعباً ولهواً، بل هي مسؤولية جسيمة.

.2كيف تؤثر هذه الجملة في قلبك؟
إنها تملأ قلبك هيبة وخشية من جهة، وسكينة من جهة أخرى .هيبة لأنك تدرك أنك أمام كلام الله الذي أنزل لإنذارك لا لإمتاعك فقط .وسكينة لأنك تعلم أن ربك لم يتركك هملا ً، بل هو "منذر" يريد لك النجاة، أرسل لك الإنذار كرحمته قبل عقوبته .إنه القائل "إنا كنا منذرين" بصيغة الاستمرار، أي أن صفة الإنذار هي من شأنه سبحانه على الدوام، لئلا يكون للناس على الله حجة.
ثانيا: المفاهيم والقيم وأبعاد الآية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

الآن، وقد استقرت المعاني في قلبك، دعنا نستنبط الطاقة التغييرية من هذه الآية، لنحولها إلى قوة دافعة لبناء نفسك ومجتمعك.

المحور الأول: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية

· المفهوم التربوي: قيمة الزمان واغتنام المحطات الفاصلة: هذه الآية هي مدرسة في إدارة الوقت . إنها تعلمك أن من الحكمة أن تحدد لنفسك "محطات تحول" في حياتك .فالله اختار ليلة مباركة لينزل فيها أعظم كتاب، ليعلمك أن تجعل لنفسك أوقاتاً فاصلة تنظر فيها إلى ماضيك وتخطط لمستقبلك كشهر رمضان، أو العشر الأواخر، أو حتى نهاية كل يوم وبداية آخر.
· المفهوم النفسي: استحضار الرقابة الإلهية:"إنا كنا منذرين" تملأ نفسك شعوراً دائماً بالرقابة .أنت تعلم أن ربك يراقبك، يحذرك، ويهديك .هذا الشعور يمنحك رادعاً داخلياً يمنعك من الانغماس في "الدخان" المادي.
· المفهوم الفكري: الانتهاء من العشوائية إلى انضباط الحكمة: الآية تقدم منهجاً متكاملا ً يربط بين الهدف والوسيلة والزمان .الهدف هو الإنذار، والوسيلة هي الكتاب المبين، والزمان هو الليلة المباركة . هذا يعلمك أن أي مشروع ناجح في حياتك يحتاج إلى هدف واضح، ووسيلة صحيحة، وتوقيت

مناسب .لا عشوائية بعد اليوم!

المحور الثاني: أبعاد الآية وآفاقها نفسياً وفكرياً وعقائدياً

· البعد العقائدي: ربط ارتباط النعمة بالشكر: كون القرآن نزل في ليلة مباركة يجعلك تستشعر أن هذه الهداية هي أعظم نعمة تستوجب الشكر .فشكر هذه النعمة يكون بتعظيم هذا الزمان والمكان الذي وعائها.
· الأفق الفكري: الزمان طاقة: تفتح الآية لك أفقاً لتدرك أن الزمان ليس مجرد أرقام، بل هو طاقة هائلة .ليلة مباركة خير من ألف شهر، فما بالك بعمر كامل تستثمره في طاعة الله؟
· البعد النفسي: الطمأنينة في زمن الاضطراب: إذا أردت النجاة من القلق والاضطراب، فتمسك بهذه الآ ية .أنت تعرف أن الله الذي اختار هذه الليلة لرحمة العالمين، هو الذي سيدبر أمرك ويرعاك .هذا هو ا لاستقرار الذهني الذي تمنحه لك العقيدة.

المحور الثالث: القيم المستنبطة من الآية

· قيمة البركة: تعلم أن تبحث عن البركة في الزمان والمكان والعمل، والبركة هي الزيادة والنماء من الله .إنها ليست مجرد كلمة، بل هي حقيقة يلمسها من يتصل قلبه بالله.
· قيمة التخطيط والتوقيت: فلا تقوم بأي عمل جليل دون أن تخطط له وتختار له الوقت المناسب، كما اختار الله ليلة القدر.
· قيمة المسؤولية: "إنا كنا منذرين" تعني أنك مسؤول .لأن الله أنذرك، فقامت عليك الحجة، وعليك أنت الآن أن تكون منذراً لغيرك، حاملا ً لهذا النور.

المحور الرابع: مفاهيم البناء والتنمية في الآية

· التنمية القائمة على المحطات: أي نهضة للأمة تحتاج إلى "محطات تحول" توعوية كبرى .تماماً كما كانت ليلة القدر محطة نزول الوحي، يجب أن نصنع محطات تربوية وتعليمية نركز فيها على بناء الإ نسان، كدورات مكثفة، أو برامج إيمانية في رمضان.
· بناء الإنسان الرقيب: أن نبني إنساناً يستشعر دائماً أنه منظور إليه من الله، وهذا هو أساس كل إص لاح خلقي ومجتمعي.

المحور الخامس: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

· على مستوى بناء الإنسان: حوّل حياتك إلى سلسلة من "محطات القدْر" .مثلا ً، اجعل لك في كل أسبوع محطة تراجع فيها نفسك وتتلو فيها القرآن بتدبر .اجعل من شهر رمضان "ليلة قدْرك" السنوي لتغيير عاداتك السيئة.
· على مستوى بناء المجتمع: عندما يقدس المجتمع قيم "البركة" و"التوقيت"، سيزدهر .تخيل مجتمعاً يخطط لمشاريعه التنموية بناء على قيم وأخلاق مستمدة من القرآن، ويعمل على أن تكون كل خطواته مباركة بإخلاص النية وإتقان العمل.
· على مستوى بناء الحضارة: الحضارة التي تريد أن تنهض يجب أن يكون "الإنذار" فيها هو الدافع للعمل .إنذار من الجهل، من الفقر، من الفساد .عندما يصبح المجتمع في حالة "يقظة" دائمة، فإنه يتحول إلى مجتمع حي، يصنع الحضارة.
ثالثا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآية وكيف نطبقها في واقعنا

المحور الأول: إلى ما تدعونا إليه الآية؟

· تدعوك لليقين: أن توقن يقيناً جازماً بأن هذا القرآن هو تنزيل رب العالمين.
· تدعوك للتخطيط: أن تحدد لنفسك "محطات تحول" في حياتك، تجعل لها وقتاً معيناً، وهدفاً واضحاً.
· تدعوك للشعور بالمسؤولية: أن تحيا حياة الجادين، لا حياة اللاعبين، لأنك تعلم أن ربك أنزل الكتاب لإنذارك، لا لتضييع وقتك.

المحور الثاني: كيف نطبق هذه الآية؟ وماذا نتعلم منها في حياتنا العملية؟

.1صناعة المحطات الفارقة: التطبيق المباشر هو أن تسأل نفسك الآن: "ما هي ليلة القدْر الخاصة بي هذا العام؟" .سواء في شهر رمضان، أو في غيره، حدد ليلة، أو يوماً، أو حتى ساعة، تعتزل فيها

وتتفرغ لمراجعة علاقتك بالكتاب المبين، وتحديد أهدافك الروحية والدنيوية بوضوح، كما علمتنا الآية السابقة .أكتب أهدافي بوضوح، وأجعلها "مبينة".
.2استحضار الرقابة الإلهية: في كل عمل "أنت" تفعله، تذكر أنك تحركت لأن الله "أنذرك" أن تفعل وإ لا فالعقاب، و"بشرك" أن تفعل فتنال الثواب .استحضر جملة) إنا كنا مُنذِرِينَ (في قراراتك اليومية.
.3وضوح المنهج والهدف: إن كنت تعاني من العشوائية، فالآية تعطيك جدول التنفيذ .الهدف النهائي)الإنذار لتحقيق النجاة .(الوسيلة) الكتاب المبين .(الزمان المناسب) ليلة مباركة .(طبق هذا في حياتك: لكي أنجح في مشروعي) هدفي(، أحتاج إلى التخطيط والعلم) وسيلتي(، وأحتاج إلى تحديد وقت مناسب للانطلاق) زماني.(
.4إدراك معنى البركة: لا تنظر إلى قلة ما تملك من وقت أو مال، بل ابحث عن البركة فيهما .البركة تأتي من اتباع منهج الله .ركعتان في جوف الليل قد تكونان خيراً لك من ألف شهر من الغفلة .هذا هو منطق الآية .تذكر هذا وأنت تدير وقتك.

ختاماً، هذه الآية ليست مجرد خبر عن حدث ماض، بل هي إعلان عن قواعد اللعبة .لقد حصلت على الخريطة المبينة، وعرفت قصتها وقيمتها، وعرفت أنها نزلت في رحم مباركة محددة لهدف عظيم هو إنذارك لتنجو .والآن، آن لك أن تنهض من غفلتك، وتحدد محطات تحولك، وتبدأ رحلتك الهادفة التي تقودك للفوز العظيم.

المبحث الثالث

نواصل رحلتنا في آيات سورة الدخان بنفس الروح المتأملة، ونحن نقف الآن على عتبة آيتين عظيمتين، تقدمان لنا البرهان العملي على أن "الكتاب المبين" ليس مجرد كلام نظري، بل هو جزء من نظام إلهي دقيق ومحكم .كنت قد أيقنت أن القرآن نزل في ليلة مباركة، والآن تأتي الآيتان لتكشفا لك سر هذه الليلة، وكيف تحولت إلى مركز قيادة كوني لشؤون الخلق.

يقول الله تعالى:
)فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (4) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ((5)

لندخل معًا إلى أعماق هاتين الآيتين، ولنستخرج منهما اليقين، والنظام، والدور الذي ينتظرك أنت في هذه الحياة.

اولا: تحليل أجزاء الآيتين وربطها بالسياق

كنت تسأل: "ماذا حدث في تلك الليلة المباركة تحديدًا؟" .ها هو الجواب يشرق عليك، ليغير مفهومك عن الزمان والأحداث من حولك.
ذ
الأمر الأول: تحليل جملة) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ(

.١ما معنى) يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ(؟
تأمل معي! "يُفرَق" تعني يُفْصَل ويُقْضى ويُبَيّن ويُقدّر .في تلك الليلة العظيمة، ليلة القدر، تُعرض على الملائكة الأقدار السنوية: الآجال، والأرزاق، والحوادث، وكل ما هو كائن في العام القادم .كل هذه الأ مور موصوفة بأنها "حكيم"، أي محكمة في تدبيرها، متناهية في حكمتها، لا نقص فيها ولا عبث.

· الرسالة النفسية: أن تشعر بالطمأنينة المطلقة .حياتك ليست فوضى! كل ما يحدث لك، كل رزق يصيبك، كل أجل يكتب، هو جزء من "أمر حكيم" فُرِق في ليلة مباركة بتدبير عليم خبير .هذا يزيل القلق الوجودي والخوف من المستقبل.
· الرسالة العقلية: أن تدرك أن خلف هذا الكون عقلا ً مدبراً .ليس هناك مجال للصدف العشوائية . العقل المؤمن يفهم أن الأحداث تجري بمنطق إلهي دقيق، مما يجعلك تتعامل مع الحياة بوعي، لا كريشة في مهب الريح.
· الرسالة التربوية: أن تتعلم النظام والدقة .كما أن الله يدبر شؤون خلقه بفرقان وحكمة، فعليك أن تدبر حياتك بفرقان وحكمة .لا تترك أمورك هملا ً، بل خطط، ونظم، ورتب أولوياتك، مستلهماً ذلك من صفة "الحكيم".

.٢كيف يؤثر هذا الفرقان في يقينك بالآخرة والمسؤولية؟
إذا كنت تعلم أن كل أمر حكيم يُفرق، فاعلم أن هذا التفريق هو جزء من خطة الخلق الكبرى التي تنتهي إلى يوم القيامة .ربط هذه الآية بيوم الدين يجعلك تعيش كل يوم وأنت مدرك أن تصرفاتك تُحصى في سجل هذا الأمر الحكيم .تشعر بالمسؤولية، لأن كل عمل تقوم به هو جزء من سلسلة الحكمة الإلهية التي ستجازى عليها.

تطبيق عملي لك الآن:
عندما تستيقظ صباحًا، بدلا ً من أن تعيش يومك كقطعة زمنية عشوائية، استحضر أن ما سيحدث لك اليوم هو جزء من "أمر حكيم" قُدِّر .اسأل نفسك: كيف يمكنني أن أكون حكيماً في تعاملي مع هذا اليوم، مقتدياً بحكمة خالقي؟ هذا الاستحضار يجعلك تعيش يومك بأمان وهدف لا بعشوائية وقلق.

الأمر الثاني: تحليل جملة) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنا(

.١لماذا أكد الله بقوله) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنا(؟
بعد أن قال "يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ"، أكد أن هذا التقدير والتدبير هو "أمراً من عندنا" .هذا تأكيد للمصدر والسلطان .ليس هناك جهة أخرى تملك هذا الحق .إنها الصيغة التي تخلع على قلبك هيبة وسكينة معًا .هيبة لأن الأمر من عند الله العظيم، وسكينة لأن الذي بيده الأمر هو ربك الرحيم.

· الرسالة النفسية: أن تشعر بعزة الانتساب إلى هذا المصدر .أنت لست تابعًا لنظام مادي بحت، بل أنت عبد لإله يصدر الأمر من عنده .هذا يرفع من روحك المعنوية، ويجعلك تشعر أنك في معية من يملك الأمر كله، فلا يهتز قلبك.
· الرسالة العقلية: أن تفهم أن هناك تسلسلا ً قياديا للوجود .الوحي نزل "أمراً من عندنا"، والأقدار تُفرق "أمراً من عندنا" .هذا يبني في عقلك مفهوم "المرجعية العليا"، التي تحتكم إليها وتثق بها ثقة مطلقة.
· الرسالة التربوية: أن تعود نفسك وأبناءك على احترام الأوامر والنواهي الصادرة من هذه المرجعية . عندما تقول لابنك: "هذا أمر الله"، يجب أن يكون لها في نفسه وقع) أمراً من عندنا .(إنها تربية على قدسية التوجيه الإلهي وعدم مقارنته بأي توجيه بشري.

تطبيق عملي:
عندما تواجهك فتنة الشبهات أو الشهوات، وتتردد، تذكر هذا المقطع .اسأل نفسك: "هل سأطيع هذا الأ مر البشري العارض، أم أطيع) أمراً من عندنا(؟" .هذه المقارنة كفيلة بإذابة التردد.

الأمر الثالث: تحليل جملة) إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ(

.١ما دلالة الانتقال من) مُنذِرِينَ (إلى) مُرْسِلِينَ(؟
في الآية السابقة قال الله:) إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ . (هنا يقول:) إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ . (انتقال عظيم! "الإنذار" هو المهمة وفحوى الرسالة، و"الإرسال" هو فعل إيصالها .إنها تخبرك أن الله لم يكتف بإنذارك من بعيد، بل أرسل إليك رسلا ً من جنس البشر، يحملون هذا الكتاب المبين، ليكون البلاغ أوضح، والحجة أبلغ، و الرحمة أتم.

· الرسالة النفسية: أن تشعر بعمق العناية الإلهية .الله لم يتركك لهذا "الدخان" الكثيف وحيدًا، بل أرسل إليك من يأخذ بيدك .هذا يملأ قلبك حبًا لله، وشكرًا له، وثقة في منهجه .إنه دليل الاهتمام الشخصي بك أنت.
· الرسالة العقلية: أن تفهم أن الدين ليس مجرد أفكار، بل هو منهج حي تنقله الرسل عبر التاريخ .هذا التسلسل في الإرسال يثبت أن الحق واحد، ورسالة السماء واحدة، مما يعطي العقل قاعدة صلبة للفهم.
· الرسالة التربوية: أن تتعلم دورك التبليغي .بما أن الله هو "مرسل"، وأنت من أتباع المرسلين، فقد صرت جزءًا من هذه السلسلة .دورك أن تكون "مرسلا ً" بقدر استطاعتك: تبلغ آية، تنشر علماً، تنهى عن منكر .إنها تنقلك من مجرد متلق سلبي إلى فاعل إيجابي.

.٢كيف تحولك هذه الجملة من التلقي إلى الفعل؟
"إنا كنا مرسلين" هي بمثابة تفويض لك .أنت الآن سفير هذا "الأمر الحكيم"، سفير الكتاب المبين .هذا الشعور بالرسالية هو العلاج الأقوى للسطحية واللامسؤولية التي تحدثنا عنها في المقدمة .فجأة، تصبح حياتك كلها ذات معنى، لأنك تحمل رسالة.

تطبيق عملي:
في محيطك، في عملك، في أسرتك، انظر إلى نفسك كـ "مُرسَل" صغير .ما هي الرسالة التي أحملها اليوم؟ كيف يمكنني أن أجعل من كلمة طيبة، نصيحة، أو مساعدة، تطبيقًا لكوني من أمة "أُرسل" لها رسول؟ هذا يغير تعاملك مع الناس.

ثانيا ً: المفاهيم والقيم وأبعاد الآية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

الآن نستخرج الطاقة البنائية من هاتين الآيتين.

المحور الأول: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية

· المفهوم التربوي: التربية على الحكمة والفرقان: الآية تربي الفرد على أن القيمة ليست في القوة فحسب، بل في الحكمة .كل أمورك يجب أن تُبنى على الحكمة .ربِّ أبناءك على أن يفصلوا بين الحق والباطل) الفرقان (في كل موقف.
· المفهوم النفسي: النظام والانتماء للكون: "يفرق كل أمر حكيم" يمنحك شعورًا نفسيًا عميقًا بأنك جزء من نظام كوني دقيق، لا تعيش خارج السرب .هذا ينهي شعور الاغتراب والضياع، ويمنحك هوية "العبد" المنضو في جند الله.
· المفهوم الفكري: العقلانية المبنية على التفويض: أن تدرك أن التفويض لله بعد الأخذ بالأسباب هو قمة العقلانية .لأنك مؤمن أن "الأمر من عنده"، فأنت تسعى بجد، ثم تكل الأمر إليه، عالمًا أن النتائج جزء من "أمر حكيم".

المحور الثاني: أبعاد الآية وآفاقها نفسياً وفكرياً وعقائدياً

· البعد العقائدي: ليلة القدر كمركز قيادة: تجعل الآية من ليلة القدر حدثًا ضخماً، وليس مجرد ليلة عابرة .هذا العقيدة تربطك بالغيب، وتجعلك تستشعر حجم التدبير الإلهي في كل عام.
· الأفق الفكري: التدبير الإلهي لا النسخ العشوائي: تفتح الآية أفقًا لتدرك أن كل ما يحدث في العالم، سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا، هو جزء من تدبير حكيم .ليست الأمور ردود أفعال عشوائية .هذا يشحذ همتك لفهم السنن.
· البعد النفسي: الأمان في زمن الخوف: إذا كان كل شيء مقدرًا بأمر من عنده، فمم الخوف؟ هذا البعد النفسي يجعلك صلبًا أمام الأزمات، لأنك تعلم أن الأزمة ذاتها جزء من الأمر الحكيم، ولها حكمة وغاية.

المحور الثالث: القيم المستنبطة من الآية

· قيمة النظام والترتيب: ضد العشوائية.
· قيمة الحكمة: وهي وضع الشيء في محله، أن تكون حكيمًا في أفعالك.
· قيمة المسؤولية: شعورك بأنك مُرسِل يجعلك تتخلى عن التواكل.
· قيمة القدسية: احترام الأوامر الإلهية لأنها "أمور من عند الله".

المحور الرابع: مفاهيم البناء والتنمية في الآية

· تنمية مؤسسية قائمة على الفرقان: أي مؤسسة ناجحة يجب أن يكون لها "فرقان" في إدارتها، أي تفصل بين الخطط طويلة وقصيرة المدى، وتوزع المهام) تفرق (بحكمة.
· بناء الإنسان الرسالي: تنمية الإنسان الذي يعمل وكأنه مُرسَل، وهذا أسمى أنواع التحفيز .موظف يشعر أن عمله رسالة، معلم يشعر أنه رسول علم، طبيب يشعر أنه رحمة مرسلة .هذا هو سر النهضة.

المحور الخامس: تحويل المفاهيم إلى طاقة

· على مستوى بناء الإنسان: حول ليلة القدر في حياتك الشخصية إلى محطة سنوية تراجع فيها "الأ مر الحكيم" الذي تعيش من أجله، وتخطط لعامك القادم بحكمة، وتشعر أنك مُرسَل من جديد بإيمان متجدد.
· على مستوى بناء المجتمع: مجتمع يؤمن أن "الأمر من عند الله" وحده، لا يخضع لأي طاغية أو نظام مستبد، لأنه يعلم أن الأمر الحقيقي فوق كل شيء .هذا يبني مجتمعًا حرًا عزيزًا.
· على مستوى بناء الحضارة: الحضارة تقوم عندما يتحول أفرادها إلى "مرسلين" للعلم والنور .كل اختراع، كل كتاب، كل مشروع حضاري، يتم بروح "إنا كنا مرسلين" ليخرج الناس من الظلمات إلى النور.

ثالثا ً: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآية وكيف نطبقها في واقعنا

المحور الأول: إلى ما تدعونا إليه الآية؟

· تدعوك للثقة في تدبير الله:) فيها يفرق كل أمر حكيم.(
· تدعوك لمعرفة مصدر الأوامر:) أمراً من عندنا.(
· تدعوك للعمل بروح الرسالة:) إنا كنا مرسلين.(

المحور الثاني: كيف نطبق هذه الآية؟ وماذا نتعلم منها في حياتنا العملية؟

.1التطبيق العملي للنظام:) فيها يفرق كل أمر حكيم .(تعلم أن تقسم أهدافك السنوية والشهرية والأسبوعية) تفرقها (بوضوح .في كل ليلة جمعة، أو بداية شهر، اجلس مع نفسك "لتفرق" مهامك القادمة بحكمة، مستلهماً هذه الآية .هذا يحارب التشتت الذي تعاني منه.
.2التطبيق العملي للثبات:) أمراً من عندنا .(عندما تواجه قراراً مصيرياً أو معضلة أخلاقية، قل لنفسك: "الأصل عندي هو أمر الله" .هذا يعيدك إلى الكتاب المبين وإلى معيار الحق، ويجعلك لا تنجرف وراء أوامر البشر المتناقضة.
.3التطبيق العملي للرسالية:) إنا كنا مرسلين .(في كل صباح، حدد "رسالة يومك" .ما الأثر الطيب الذي ستتركه اليوم في محيطك؟ كن منذراً، كن مبشراً، كن مرسلاً بالخير حيثما كنت .بهذا يتحول روتينك اليومي من "لعب ولهو" إلى "تطبيق لأمر حكيم".

ختاماً، هاتان الآيتان تختزلان لك فلسفة الحياة من منظور السماء .لم تعُد مجرد فرد تائه في دخان المادية، بل أنت جزء من نظام كوني محكم) يفرق فيه كل أمر حكيم(، تستمد عزيمتك من المصدر الأعلى) أمراً من عندنا(، وتتحرك في الأرض برسالة سامية) إنا كنا مرسلين .(إنها دعوتك لتنتقل من العشوائية إلى النظام، ومن التلقي إلى الفعل، ومن الغفلة إلى الرسالة.

المبحث الرابع

ها نحن نواصل الغوص في أعماق سورة الدخان، وقد ترسخ في قلوبنا أن "الكتاب المبين" هو كشاف النور في زمن الدخان، وأنه نزل في ليلة مباركة بتدبير حكيم، وأننا نحمل رسالة هي امتداد لإرسال الله لرسله. والآن، تأتي الآيات لتكشف لك عن الوجه الآخر لهذا التدبير الإلهي، الوجه الذي يفيض بالحنان والعطف، وتدعوك إلى يقين لا يتزعزع، وإلى إدراك أن القوة المطلقة ليست في المادة، بل في رب السماوات والأرض.

دعنا نقف مع الآيات الكريمة:
(رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (6) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (7) لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (8))

تخيل أنك بعد كل ما سمعته من إنذار ورسالة، يأتيك هذا النداء العذب: "رحمة من ربك". إنها الآيات التي ستحول خوفك من الإنذار إلى سكينة في رحاب الرحمة، وتنقلك من الشك إلى اليقين، وتزرع فيك عقيدة التوحيد كقوة محررة من كل ما تظنه عظيماً في هذه الدنيا الفانية.

اولا : تحليل أجزاء الآيات وربطها بالسياق

نحن هنا أمام صفات الجلال والجمال، وأمام إعلان التوحيد الذي هو المخرج الوحيد من "دخان" المادية والغفلة.
الأمر الأول: تحليل قوله تعالى (رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ)

.١ما دلالة وصف الإنذار والرسالة بأنها) رَحْمَةً(؟
تأمل في هذا التحول العجيب! بعد أن قال: (إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ) و (إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) ، يأتي هنا ليبين أن كل هذا، الإنذار والإرسال، ما هو إلا (رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) . لم يقل: "عذاباً" أو "إهانة"، بل رحمة. لأنه لولا هذا الإنذار لهلك الناس في غفلتهم. إنها رحمته سبحانه بعباده أن أرسل إليهم من ينقذهم من "الدخان" قبل أن يقع العذاب. هذا يعلمك أن شرع الله كله رحمة، حتى ما نظنه تشديداً هو عين الرحمة، لأنه يمنع من الوقوع في المهالك.

· الرسالة النفسية: أن تمتلئ بالحب والرجاء .عندما تسمع آيات الوعيد، لا تنظر إليها بعين الخوف المجرد، بل بعين الرحمة التي تريد لك النجاة .هذا الشعور يبدد القنوط، ويملأ قلبك أملاً ويقيناً بأن ربك أرحم بك من أمك.
· الرسالة العقلية: أن تعيد تعريف مفاهيمك .الحرام ليس حرماناً، بل هو رحمة، لأنه يمنعك من سم قاتل .الأمر ليس مجرد أوامر ونواهٍ، بل هو وصفة طبية إلهية للشفاء.
· الرسالة التربوية: أن تتعامل مع الناس برحمة .إذا كنت أباً أو مربياً، فعليك أن تبين لمن تربيهم أن

توجيهاتك وتنبيهاتك هي "رحمة من عندك" تنبع من محبتك لهم، لا من رغبة في التسلط .هذا الأ سلوب التربوي يفتح القلوب ويجعلها مقبلة على الخير.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: كل أوامر الله ونواهيه، حتى أشدها، هي رحمة بك.
· المثال التقريبي: تصور طبيباً جراحاً يمسك بمشرط حاد ليبتر عضواً فاسداً من جسدك .أنت تتألم، لكنك تعلم أن هذا الألم هو "رحمة من طبيبك"، لأنه يريد إنقاذ حياتك كلها .هذه هي أوامر الله ونواهيه تماماً، قد تشعر بضيق مؤقت في ترك الحرام، لكنها رحمة تمنع عنك هلاك الروح والضمير.
· المثال التقريبي الثاني: الأم التي تمنع طفلها من اللعب في الشارع .هذا المنع قد يبكي الطفل، لكنه ليس قسوة، بل هو "رحمة من أمه" خوفاً عليه من الموت .هكذا هي حدود الله، سياج رحمة يحميك من السقوط في هاوية الغفلة.

الأمر الثاني: تحليل قوله تعالى (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ)

١.لماذا جاء هذان الاسمان بعد ذكر الرحمة؟
"السميع" أي الذي يسمع كل الأصوات، دقيقها وجليلها، سمع إجابة وإغاثة ."العليم" الذي يعلم كل شيء، ظاهره وباطنه .مجيئهما هنا يمنحك طمأنينة مضاعفة: هذه الرحمة الربانية صادرة عن إله سميع لأ نينك وشكواك، عليم بحاجتك وما يصلحك .هو يعلم أنك بحاجة إلى هذا الكتاب المبين، وهو يسمع دعاءك وتضرعك إليه .لا تخف، فأنت بين يدي من يسمع ويعلم.

· الرسالة النفسية: أن تشعر بالأمان التام .أنت لست وحيداً! الله يسمع همس قلبك، ويعلم حيرتك وضيقك .هذا يجعلك تلجأ إليه بالدعاء بيقين، لأنه "السميع"، وتعيش مطمئناً، لأنه "العليم" بما ينفعك، حتى لو لم ترَ أنت الخير فيما قدره لك .إنها ترياق ضد الاكتئاب والقلق.
· الرسالة العقلية: أن تؤمن بإحكام التدبير .إذا كان الله "سميعاً عليماً"، فإن كل ما قدره لك في تلك الليلة المباركة هو قمة الحكمة .فقد سمع قبل أن يخلق، وعلم ما سيكون، فقدر على قدر ذلك .هذا يمنح عقلك القناعة واليقين بعدالة الأقدار.
· الرسالة التربوية: أن تكون سميعاً للحق، عليماً به .أن تنصت للقرآن سمع إجابة، وأن تتعلم من العلم ما ينفعك .تربية النفس على حسن الإصغاء والبصيرة.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الله يراك ويسمعك ويعلم حالك، فلا تحزن ولا تقلق.
· المثال التقريبي: تخيل أن لديك مشكلة عويصة، وتذهب بها إلى أعلى مسؤول، خبير حكيم، يسمع شكواك باهتمام، ويعلم تفاصيل مشكلتك أكثر منك .كيف سيكون شعورك؟ بالطبع ستخرج مطمئناً . فكيف برب العالمين الذي قال عن نفسه "إنه هو السميع العليم"؟! إنه أعظم من ترفع إليه حاجتك، فاطرحها بين يديه واثقاً أنه يسمعك وسيختار لك ما هو خير.
· المثال التقريبي الثاني: كالطفل الذي أصابه ظلام الليل وخاف، فنادى والده .لمجرد أن سمع الطفل صوت أبيه يجيبه: "أنا هنا يا بُني"، شعره بالخوف تبدد .صوت "السميع" الذي يجيبك في القرآن هو أمانك الأعظم.
الأمر الثالث: تحليل قوله تعالى (رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ)

١.ما دلالة وصف الله بأنه "رب السماوات والأرض وما بينهما"؟
هنا يأتي التحدي الأكبر للمادية والرفاهية التي تركت الناس مبهورين بحطام الدنيا. كأن الله يقول لك: كيف تنبهر بملك مليم، وتغفل عن ملك السماوات والأرض؟! إنه ربُّ كل هذا الكون الفسيح، خالقه ومليكه ومدبره. عندما تشعر بعظمة "رب السماوات والأرض"، تتصاغر في عينك كل زخارف الدنيا، ويصبح "الدخان" المادي مجرد سراب.

· الرسالة النفسية: أن تتحرر من رهبة المخلوقين ومن الخوف من الفقر أو المستقبل .رزقك بيد رب السماوات والأرض، فمن تخاف؟ ولمن ترجو؟ هذا الشعور يمنحك عزة نفسية لا توصف.
· الرسالة العقلية: أن تنتقل من التفكير في حدود الغرفة الضيقة إلى آفاق الكون الفسيح .عقلك الآن يفكر في ملكوت الله، فيصغر عنده كل تفاهة، وتسمو أفكاره عن السطحية.
· الرسالة التربوية: أن تزرع في الأبناء عظمة الخالق قبل عظمة المخلوقين .علمهم النجوم والكواكب و الجبال والبحار، واربطها كلها بـ "رب" هذه المخلوقات، ليكبروا ولديهم مقياس صحيح للعظمة.

.٢ما معنى تعليق ذلك على) إنْ كُنتُمْ مُوقِنِينَ(؟
هذا هو الشرط. اليقين هو المفتاح. لا يكفي أن تعلم أن الله رب السماوات والأرض، بل يجب أن تصل إلى درجة "اليقين" التي لا يتطرق إليها شك. هذا هو علم اليقين الذي تحدثنا عنه في المقدمة، الإيمان الذي يثبت ولا يزول بزوال المؤثر. إن كان عندك يقين، فلن تهتز للمادة، ولن ترتعد للطغيان.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: اليقين بعظمة الله يصغر الدنيا في عينيك ويمنحك القوة.
· المثال التقريبي: تخيل أنك تحمل جوهرة صغيرة وتظنها كل شيء، وفجأة يدخل بك أحدهم إلى خزينة ضخمة مليئة بالذهب والألماس .جوهرتك الصغيرة ستسقط من نظرك تلقائياً .هكذا عندما يدخل اليقين بـ "رب السماوات والأرض" إلى قلبك، تسقط من عينيك كل زخارف الدنيا ومتعها الفانية تلقائياً، وتصبح لا قيمة لها أمام ما عند الله.
· المثال التقريبي الثاني: لو كنت واقفاً أمام جبل شاهق، هل تخشى أن يصيبك حجر صغير يرميه ولد؟ كلا! وقوفك مع "رب السماوات والأرض" يجعلك لا تخاف من مخلوق مهما عظم شأنه.
الأمر الرابع: تحليل قوله تعالى (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ)

.١ما دلالة "لا إله إلا هو"؟
هذا هو الإعلان النووي الذي ينسف كل ألوهية مزيفة. في سورة تحذر من الرفاهية التي تجعل الناس يعبدون المادة، تأتي كلمة التوحيد لتكون القنبلة المدوية في وجه كل طاغوت. لا يوجد إله يستحق العبودية إلا الله، لا المال، ولا المنصب، ولا الشهوات، ولا الهوى. أنت حر بهذه الكلمة.

· الرسالة النفسية: أن تتحرر من العبوديات المتفرقة .قلبك لم يعد مشتتاً، بل استقر على إله واحد، فاستقرت نفسه ."كلمة لا إله إلا الله" تخلع من قلبك الخوف من كل شيء إلا من الله، وتزرع فيه حب من يستحق الحب وحده.
· الرسالة العقلية: أن توحد رؤيتك للكون .كل شيء يصدر عن إله واحد، وهذا يعطي عقلك اتساقاً وانسجاماً في فهم الحياة .لا تناقض، لا فوضى.
· الرسالة التربوية: أن تعيد صياغة حياتك كلها على أساس هذه الكلمة .لتكن هي ميزانك: ما يوافقها فعل، وما يخالفها ترك.

.٢لماذا خص صفة) يُحْيِي وَيُمِيتُ (هنا؟
في سياق الحديث عن المادية التي تعبد الدنيا، يأتي التذكير بأن الحياة والموت بيده وحده. هو الذي يحيي ليمتحن، ويميت ليجازي. هذا ينسف التفكير قصير المدى. أنت لا تعيش لتجمع المال ثم تموت، بل هناك إله يحييك ويميتك على أساس خطة محكمة، وهدف عظيم. إنها دعوة للاستثمار طويل المدى في الآخرة.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: التوحيد يحررك من الخوف، وإدراك أن الموت والحياة بيد الله يريحك من قلق الرزق والأجل.
· المثال التقريبي: عبد كان في سوق النخاسة، ينتقل من سيد لآخر، يضربه هذا ويشتمه ذاك، لا يعرف الراحة .فجأة، أتى رجل كريم فاشتراه وأعتقه وقال له: "أنت حر، وستعيش معي في قصري" . هل يلتفت هذا العبد بعدها لأحد؟ كلمة "لا إله إلا الله" هي صك حريتك من عبودية المادة والناس و الهوى.
· المثال التقريبي الثاني: موظف يعمل في شركة ويعلم أن المدير هو الذي يمتلك قرار تعيينه وفصله . لمن سيتقرب؟ للمدير طبعاً .حين تؤمن أن الله "يحيي ويميت"، وهو الذي يملك أمرك كله، ستوجه كل عبوديتك وطاعتك له وحده، ولن تخش أحداً سواه.
الأمر الخامس: تحليل قوله تعالى (رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ)

.١ما فائدة إضافة "رب آبائكم الأولين"؟
هذا يقصف كل شبهة افتخار بالحضارة المادية الموروثة. الماديون يقولون: "نحن على ما وجدنا عليه آباءنا". يأتي الرد: أهؤلاء الآباء من خلقهم؟ إنه الله "ربهم وربكم". إنه يمتد بالسياق ليقول لك: الحضارة المادية، مهما بلغت وامتدت في التاريخ، فهو رب الجميع. لا تجعل من تاريخ أسلافك المادي صنماً. ربك الذي خلقهم هو الذي يخاطبك الآن، فاستجب له، ولا تغتر بتراث المادة.

· الرسالة النفسية: أن تنتمي إلى الأمة الواحدة عبر التاريخ .أنت لست فرداً بلا جذور، بل أنت حلقة

في سلسلة بشرية ربها واحد .هذا يعطيك شعوراً بالانتماء الحضاري الصحيح.
· الرسالة العقلية: أن تقطع دابر التقليد الأعمى .التاريخ المادي مهما طال فهو إلى زوال، والحق هو ما أنزله رب الأولين والآخرين.
· الرسالة التربوية: أن تعلم الأبناء احترام التاريخ، ولكن مع التمييز بين الموروث الحق والباطل، لأن رب آبائهم الأولين هو نفسه ربهم، فالمعيار هو وحي الله لا عادات الناس.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: وحدة البشرية تحت ربوبية الله تعني أن القيمة بالتقوى لا بالمادة، ويجب ألا نغتر بموروث مادي بحت.
· المثال التقريبي: تخيل أن ملكاً عظيماً له قصر فخم، وكان له خدم قدامى وآخرون جدد .الجدد يعملون بجد، بينما القدامى تكاسلوا لأنهم يرون أن لهم فضل القدم .يأتي الملك ويقول: "أنا رب الجميع ، القديم والجديد، وسأحاسبكم جميعاً" .هذا يعيد كل واحد إلى حجمه الطبيعي، فلا فضل لأحد إلا بعمله .هكذا الآية، تجعلك لا تنبهر بحضارة آبائك المادية، بل تنظر إلى ماذا قدمت أنت لربك.
ثانياً: المفاهيم والقيم وأبعاد الآية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

المحور الأول: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآيات

· المفهوم التربوي: الرحمة أساس التوجيه: تعلم أن التربية تقوم على الرحمة، حتى في العقوبة . مفهوم "رحمت من ربك" يجعلك تربي الناس على أن التشريع رحمة قبل أن يكون تكليفاً.
· المفهوم النفسي: سيكولوجية اليقين كمولد للأمان: "إن كنتم موقنين" تمنحك صيغة شرطية، فإذا حققت اليقين تحقق الأمان .فكلما زاد يقينك بـ "رب السماوات" قل خوفك.
· المفهوم الفكري: العقلانية التوحيدية: "لا إله إلا هو" تنبذ التفسيرات المادية البحتة للكون، وتقدم تفسيراً موحداً متماسكاً للوجود، يقضي على التناقض الفكري الذي يعانيه الماديون.

المحور الثاني: أبعاد الآية وآفاقها نفسياً وفكرياً وعقائدياً

· البعد العقائدي: الربوبية تقود للألوهية: الآيات تبني عقيدتك: من الإيمان بأن الله هو الرحمن السميع العليم رب السماوات والأرض، تصل إلى أن لا إله إلا هو .هذه رحلة عقلية وروحية من الإقرار بـ الربوبية) الخالقية (إلى توحيد الألوهية) العبادة.(
· الأفق الفكري: التاريخ محكوم بالتوحيد: "ربكم ورب آبائكم الأولين" يعني أن التاريخ ليس صراع طبقات أو تطوراً مادياً، بل هو سلسلة بشرية موحدة يرسل الله إليها الرسل .الرؤية التوحيدية هي وحدها التي تمنح التاريخ معنى.
· البعد النفسي: التحرر من عقدة الماضي والمستقبل: "رب آبائكم الأولين" يحررك من هيمنة موروث الأجداد الخاطئ ."السميع العليم" يحررك من قلق المستقبل .أنت تقف في منطقة الأمان بين ماضٍ يعلمه الله ومستقبلٍ بيده.

المحور الثالث: القيم المستنبطة من الآيات

· قيمة الرحمة: وهي القيمة العليا الحاكمة لكل شيء.
· قيمة اليقين: ضد الشك والتذبذب.
· قيمة التوحيد: وهي أم القيم كلها.
· قيمة التحرر: التحرر من عبودية المادة والمخلوقين.

المحور الرابع: مفاهيم البناء والتنمية في الآيات

· بناء إنسان متوازن: بإيمانه بـ "السميع العليم"، يشعر بالأمان النفسي، وبيقينه بـ "رب السماوات"، يشعر بالعزة والتحرر من الخوف.
· التنمية بالأمل لا بالخوف: عندما تتحول فكرة "الإنذار" إلى "رحمة"، يصبح الدافع للعمل هو الأمل في رحمة الله، لا مجرد الخوف من العقاب .وهذا أكثر فاعلية للتنمية.
· إحياء الضمير الحي: اسم "السميع العليم" هو مصنع لإنتاج الضمير الإنساني الحي .الإنسان الذي يعمل وتحت جلده رقيب "السميع العليم" لا يمكن أن يفسد أو يظلم.

المحور الخامس: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

· على مستوى الإنسان: استخرج طاقة "لاإله إلا الله" لتحرير نفسك من كل عبودية معاصرة: عبودية ا لاستهلاك، عبودية الترند، عبودية المظهر .قل هذه الكلمة بوعي لتستعيد حريتك.
· على مستوى المجتمع: إذا آمن المجتمع بأن الله "السميع العليم"، ستختفي آفة الظلم .لأن الظالم سيعلم أنه لا يخفى على الله شيء، وسيشعر أنه محاط بـ "اسمع واسمع".
· على مستوى الحضارة: حضارة تقوم على أساس أن الله رب الأولين والآخرين، ستكون حضارة إنسانية عالمية، لا عنصرية فيها ولا طبقية، لأن رب الجميع واحد .هذا هو سر الحضارة الإسلامية التي احتضنت الجميع.
ثالثاً: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآيات وكيف نطبقها في واقعنا

المحور الأول: إلى ما تدعونا إليه الآيات؟

· تدعوك لاستقبال أوامر الله على أنها رحمة.
· تدعوك لليقين المطلق بعظمة الخالق وتصغير الدنيا في قلبك.
· تدعوك للتحرر بتوحيد الله وحده.

المحور الثاني: كيف نطبق هذه الآيات؟ وماذا نتعلم منها في حياتنا العملية؟

.1تطبيق "رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ":
· عندما يأمرك الله بأمر، قل لنفسك: "هذه رحمة بي".
· عندما تنهى ابنك عن شيء، اشرح له الرحمة الكامنة في هذا المنع.
.2تطبيق "السَّمِيعُ العَلِيمُ":
· تطبيق عملي: قبل أن تشكو همك لأي مخلوق، ارفع يديك وقل: "اللهم إنك سميع عليم" .ستجد راحة عجيبة.
· في الخلوات، استحضر أنه السميع العليم، لتترك المعاصي حياءً وخوفاً.
.3تطبيق "رَبِّ السَّمَاوَاتِ":
· عندما تشعر بالخوف من مستقبل مجهول أو من طاغية، انظر إلى السماء وقل: "ربي هو رب السماوات والأرض" .كبرها في صدرك لتصغر المشكلة في عينيك.
.4تطبيق "لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ":
· اجعلها وردك اليومي بوعي .كلما قاطعك إلحاح على معصية، أو وسوسة شيطان، فقلها بقوة تخلع بها هذا المعبود المؤقت من قلبك.
.5تطبيق "رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ":
· عند مناقشة قضية خلافية، لا تقل: "هكذا وجدنا آباءنا"، بل قل: "ما الذي يريده ربنا ورب آبائنا ا لأولين؟".

ختاماً، هذه الآيات الثلاث هي وصفة متكاملة من السماء لقلبك في زمن الدخان. لقد لُففت لك الرحمة ، وغُمرت بالسمع والعلم الإلهي، وأُحيطت بربوبية الكون، وشُحنت بطاقة التوحيد. لم يعد هناك مجال للخوف من عظمة زائفة، ولا للحيرة في ظلمات المادة، ولا للعبث بلا هدف. أنت الآن تحمل عقيدة كاملة، تحميك وتحررك وتقودك للفوز العظيم. انطلق بها!

القسم الثاني

المبحث الأول

نحن الآن في رحلة متواصلة مع سورة الدخان، حيث تترسخ في قلوبنا رسالتها الأساسية: الانتقال من غفلة "الدخان" المادي إلى وضوح "الكتاب المبين". لقد تذوقنا معنى أن هذا الكتاب (رَحْمَةً مِن رَبِّكَ) وأنه صادر عن (السميع العليم)، وأن اليقين بعظمة (رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) هو مفتاح التحرر.

والآن، بعد كل هذا البيان الإلهي الواضح، تأتي الآية التاسعة لتشخّص الداء الحقيقي الذي يجعل الناس لا ينتفعون بهذا النور. إنها تصف الحالة التي تفسر غفلتنا وسط هذا الوضوح. يقول الله تعالى:

(بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ (9))

هذه الآية القصيرة هي بمثابة مرآة تعكس لك دواخل النفس البشرية حين تنحرف عن المنهج، وهي وصفة دقيقة للمرض الذي يحذرنا منه القرآن. دعنا نقف معها وقفة فاحصة، لنرى أين نحن منها.

اولا ً: تحليل الآية وربطها بالسياق

لقد سمعت للتو حديثًا عظيمًا عن صفات الله، وعن رحمته، وعن يقينه بأنه (لا إله إلا هو). كان

المتوقع أن يقال: "فآمنوا واهتدوا". ولكن تأتي كلمة (بَلْ) الصادمة. إنها أداة إضراب وانتقال، كجدار يقطع الطريق، لتخبرك أن هناك مفاجأة غير متوقعة! فما هي هذه المفاجأة؟

الأمر الأول: تشخيص الداء بكلمة واحدة (شَكٍّ)

١.لماذا وصف الله حالتهم الأساسية بأنها) شَكٍّ(؟
لم يقل "بَلْ هُمْ فِي كُفْرٍ" أو "فِي عِنَادٍ"، بل قال (فِي شَكٍّ). هذا تشخيص دقيق ومؤلم. المشكلة ليست في وضوح الدليل، فالدليل منير وواضح (الكتاب المبين)، والمصدر رحيم عليم، والأفق واسع (رب السماوات والأرض). المشكلة في المتلقي! إنهم يعيشون في حالة "شَك". الشك هنا هو حالة نفسية مرضية من القلق المعرفي وعدم الاستقرار. إنه ليس بحثًا عن الحقيقة، بل هو غرق في الحيرة ، واتباع للظنون والأوهام. إنه تذبذب لا يثبت على حق ولا باطل.

· الرسالة النفسية: الشك ليس قوة أو علامة ذكاء، بل هو مرض مؤلم للروح. الإنسان الشاك يعيش في عذاب نفسي مستمر، لا استقرار له ولا قرار. فهو يتقلب بين الظنون كما تتقاذفه الأمواج، بخلاف المؤمن الذي اطمأن قلبه باليقين. هذا يجعلك تنظر إلى اليقين على أنه نعمة عظيمة تستحق أن تسعى لها.
· الرسالة العقلية: الآية تقول لك أن المشكلة ليست عقلية بحتة بمعنى نقص الأدلة، بل هي مرض يصيب القلب ويشوش على العقل. العقل السليم يبني على اليقين ويصل إلى نتائج حازمة، أما العقل الذي يسيطر عليه الشك فهو عقل معطل، لا يستطيع البناء لأنه لا يقف على أرض صلبة.
· الرسالة التربوية: تربية النفس والأبناء على محاربة الشك المذموم. الشك المنهجي المدمر يختلف عن السؤال البحثي البناء. يجب أن نربي على الثبات على المبادئ، وأن نقدم الأجوبة الواضحة للأسئلة حتى لا يتحول السؤال إلى شك مزمن.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: خطورة الشك في إضاعة العمر وتعطيل الطاقات. إنه يحرمك من لذة اليقين وطمأنينة الإ يمان.
· المثال التقريبي: تخيل رجلا ً يقف على مفترق طرق، وقد وُضعت له لافتات واضحة جداً: "هذا الطريق إلى المدينة الآمنة" و"هذا الطريق إلى الهاوية". لكنه يقف في حيرة وقلق، يقول: "هل هذه اللا فتات صادقة؟ ربما هناك خدعة؟ ربما العكس هو الصحيح؟" إنه لا يتحرك، يضيع وقته وعمره في الشك، بينما الطريق واضح. هذه هي حالة الشاكين، يرون آيات الله الواضحة ومع ذلك يظلون حائرين لا يتقدمون.
· المثال التقريبي الثاني: كطالب أعطي إجابات الامتحان كاملة وواضحة، لكنه بدلا ً من أن يكتبها، يظل يشك: "هل هذه الإجابات حقيقية؟ ربما يريدون إسقاطي؟" فيضيع الوقت وينتهي الامتحان وهو لم يفعل شيئاً.

الأمر الثاني: تحليل وصف الفعل (يَلْعَبُونَ)

١.لماذا ربط الله الشك باللعب؟
قال (فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ). لم يقل "يترددون" أو "يتفكرون"، بل "يلعبون". هذا هو لب المشكلة. الشك الذي يعيشون فيه ليس شكاً جاداً يبحث عن الحقيقة، بل هو شك مصحوب باللهو والعبث والا ستهتار. إنهم لا يأخذون الأمر على محمل الجد. المشكلة مركبة: هم في شك من جهة، وهم في لعب وغفلة عن حقيقة هذا الشك من جهة أخرى. لو كانوا جادين في شكهم لبحثوا عن الحقيقة بصدق، لكنهم يلعبون! هذا يذكرنا بمقدمة السورة عن (فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا). إنها حالة من التبلد وعدم الشعور بالمسؤولية.

· الرسالة النفسية: "اللعب" هنا ليس لعب الأطفال البريء، بل هو استغراق في اللهو والسطحية يغطي على أزمة الشك الداخلية. كثير من الناس اليوم يهربون من قلقهم الوجودي وشكوكهم بالاستغراق في الملهيات، في الألعاب الإلكترونية، في وسائل التواصل، في الترفيه السطحي. إنه تخدير مؤقت، لكنه يزيد المرض عمقاً.
· الرسالة العقلية: الجمع بين الشك واللعب هو تدمير مزدوج للعقل. الشك يعطل التفكير الجاد، واللعب يمنع حتى محاولة الخروج من هذا التعطيل. يصبح العقل في حالة جمود تام، لا هو مؤمن فيرتاح، و لا هو باحث جاد فيصل. إنها أسوأ حالة يمكن أن يكون عليها الإنسان.
· الرسالة التربوية: التنبيه على خطر ثقافة الترفيه السطحي. إنها ليست مجرد تضييع وقت، بل هي

حجاب كثيف يمنع الإنسان من مواجهة أسئلته المصيرية بجدية. إنها تجعل الشك داء مزمناً بلا علاج.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الجمع بين الشك واللعب هو دليل على انعدام الجدية والمسؤولية، وهو أسلوب حياة مدمر.
· المثال التقريبي: تخيل رجلا ً في بناية، وقد أخبره مهندس ثقة أن البناية على وشك الانهيار ويجب أن يخرج فوراً. هذا الرجل في شك من كلام المهندس، فماذا يفعل؟ بدلا ً من أن يبحث عن أدلة بنفسه، أو يسأل مهندساً آخر، يجلس في إحدى الغرف و"يلعب" بألعاب الفيديو! هذا هو حال من يعيش في شك ويلعب. الخطر محدق، لكنه غافل لاهٍ. إنه يلعب بينما البناية على وشك السقوط.
· المثال التقريبي الثاني: طالب يعرف أن لديه امتحاناً مصيرياً بعد شهر، وهو يشك في قدرته على النجاح. بدلا ً من أن يبدأ بالمذاكرة الجادة لحل هذا الشك، يقضي وقته في اللهو مع أصدقائه. هذا "الشك مع اللعب" هو وصفة مضمونة للفشل.

ثانياً: المفاهيم والقيم وأبعاد الآية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

المحور الأول: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية

· المفهوم التربوي: التربية على الجدية. الآية تعلمك أن أخطر ما يواجه الإنسان هو أن يعيش بلا قضية، بلا جدية. التربية الإسلامية تقوم على ترسيخ الشعور بالمسؤولية، واعتبار الحياة مزرعة للآخرة ، لا ساحة للعب.
· المفهوم النفسي: خطر الشك والقلق الوجودي. الشك يولد القلق، والقلق يدفع للهروب. والهروب يكون غالباً إلى اللعب والترفيه. إنها حلقة مفرغة مدمرة. القرآن يشخص المشكلة ليقدم العلاج: اليقين القلبي المبني على وضوح الأدلة (الكتاب المبين).
· المفهوم الفكري: التمييز بين الشك المنهجي والشك المرضي. هناك شك منهجي هو أداة بحث ونقد للوصول لليقين، وهناك شك مرضي هو حالة تسليم بالجهل ورفض للحق. الآية تتحدث عن الثاني، وتعاقب أصحابها لأنهم جعلوا الشك مبرراً للعب، لا دافعاً للبحث الجاد.

المحور الثاني: أبعاد الآية وآفاقها نفسياً وفكرياً وعقائدياً

· البعد العقائدي: خطورة التسويف وعدم الإقرار بالحق. الآية تظهر أن الكفر ليس دائماً جحوداً عنادياً، بل قد يكون شكاً مقترناً باللعب. هذا يعمق فهمك للإيمان، فأنت حين تتيقن وتعمل، تخرج من هذه الدائرة المذمومة.
· الأفق الفكري: اكتشاف جذور السطحية المعاصرة. الآية تكشف أن سر تفشي السطحية في العصر الحديث ليس فقط كثرة وسائل الترفيه، بل هو وجود (شَكّ) عميق في المعنى والقيم والغاية، يدفع الناس للهروب منه إلى (اللعب). إنه تشخيص دقيق لواقعنا.
· البعد النفسي: الشعور بالأمان عبر اليقين. اليقين راحة، والشك عذاب. الآية تجعلك تعيش شاكراً لنعمة اليقين، وتجعلك تجاهد للحفاظ عليه، لأن ضده هو هذه الحالة المأساوية من العذاب النفسي المتخفي بغطاء اللهو.

المحور الثالث: القيم المستنبطة من الآية

· قيمة الجدية: في مواجهة أسئلة الحياة الكبرى.
· قيمة اليقين: في مقابل الشك المدمر.
· قيمة المسؤولية: في مقابل اللعب والعبث.
· قيمة الصدق مع النفس: لأنهم لو كانوا صادقين في شكهم لبحثوا بجد، لكنهم اختاروا اللعب.

المحور الرابع: مفاهيم البناء والتنمية في الآية

· بناء الشخصية الجادة: النهضة تحتاج إلى شخصية جادة، تتعامل مع التحديات بمسؤولية، ولا تهرب إلى اللهو. الآية تنفي صفة "اللاعبين" عن بناة الحضارة.
· تنمية مجتمعية قائمة على الحقيقة لا الوهم: مجتمع ينتشر فيه الشك واللعب هو مجتمع مفكك، لا يثق أفراده ببعضهم، ولا يثقون بقياداتهم، ولا يحملون هموم النهضة. علاجه هو العودة لليقين والجدية اللذين يبثهما الكتاب المبين.

المحور الخامس: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

· على مستوى الإنسان: حوّل هذه الآية إلى إنذار داخلي كلما راودك الشك في ثوابت دينك، وكلما وجدت نفسك تنجرف للهو. قل لنفسك: "لا أريد أن أكون من الذين قال الله عنهم (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلعَبُون)". لتكن هذه الآية سوطاً يدفعك للتعلم والبحث.
· على مستوى المجتمع: مجتمع يدرك مغبة "الشك واللعب" سيسعى لتوفير بيئة جادة، في مدارسه، في إعلامه، في مؤسساته. سيعمل على نشر ثقافة اليقين والعمل، لا ثقافة الشك والترفيه المفرغ.
· على مستوى الحضارة: حضارة المسلمين قامت على الإيمان واليقين، وحين تسلل إليها الشك، ودب في أوصالها حب اللعب والترف، ضعفت وانهارت. إعادة بناء الحضارة تبدأ من إعادة بناء النفس على الجدية واليقين الذي ينفي عنها هذا الوصف القرآني الخطير.

ثالثاً: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآية وكيف نطبقها في واقعنا

المحور الأول: إلى ما تدعونا إليه الآية؟

· تدعوك لتشخيص نفسك: هل تجد في قلبك شكاً في موعود الله، في حكمته، في شرعه؟ وكيف تتعامل مع هذا الشك؟ بالبحث الجاد أم بالهروب واللعب؟
· تدعوك إلى الفرار من دائرة "الشك واللعب" إلى دائرة "اليقين والعمل".
· تدعوك إلى الجدية في استقبال رسائل القرآن، وعدم التعامل معها بسطحية.

المحور الثاني: كيف نطبق هذه الآية؟ وماذا نتعلم منها في حياتنا العملية؟

.1محاربة الشك باليقين: عندما يخطر ببالك شك في أمر من أمور دينك، لا تلعب .لا تغلق الباب وتتلهى .بل اذهب للعلماء، اقرأ، ابحث، اسأل أهل الذكر بجدية لتصل إلى اليقين.
.2مراقبة النفس في أوقات الترفيه: اسأل نفسك: متى كانت آخر مرة قضيت فيها ساعات طويلة في اللعب لتجد بعدها فراغاً روحياً وشكاً دفيناً؟ هل تستخدم الترفيه للاستجمام واستعادة النشاط للعمل الجاد، أم تستخدمه للهروب من أسئلة لا تريد مواجهتها؟ أعد ترتيب وقتك.
.3تربية الأبناء على الجدية: علم أولادك أن للحق جلالا ً، وأن للدنيا هدفاً، وأن العمر قصير .دعهم يلعبوا، لكن يجب أن يميزوا بين وقت اللعب ووقت الجد .عودهم على المسؤولية، وعلى ألا يواجهوا الشكوك إلا بالبحث واليقين لا اللامبالاة.
.4تطبيق عملي في بيئة العمل والمجتمع: كن عنصراً جاداً .في عملك، في دراستك، في علاقاتك .كن الشخص الذي يبحث عن الحلول بنفسه، ولا يكتفي بالنقد والاستهزاء واللعب على هامش الأحداث .كن أنت صانع اليقين ومبثوث الجدية.

ختاماً، هذه الآية هي صرخة تحذير في صميم السورة. بعد أن رأينا نور الكتاب المبين، وعظمة رب العالمين، تبين أن المعطل الحقيقي للاستفادة من هذا النور هو مرض داخلي. هو حالة "الشك واللعب" المميتة. إن الخروج من الدخان المادي لا يكون فقط بالإيمان النظري، بل باستبدال هذه الحالة بحالة اليقين والعمل الجاد والمستمر. إنها دعوة لأن تكون إنساناً صادقاً مع نفسك، جاداً في حياتك، متيقظاً لهدفك. لا تكن ممن قال الله عنهم: (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلعَبُونَ)، بل كن ممن قال الله عنهم: (الذينَ آمَنُوا وتَطمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكرِ اللهِ ۗ أَلَا بِذِكرِ اللهِ تَطمَئِنُّ القُلُوبُ).

المبحث الثانى

نحن الآن في قلب سورة الدخان، حيث بدأنا نرى بأعيننا ذلك "الدخان" الذي حذرت منه السورة في مقدمتها .لقد انتهينا من تشخيص الداء:) بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلعَبُونَ(، والآن يأتي المشهد المهيب الذي يكشف عاقبة هذا الشك واللعب .إنه مشهد كوني يهز الوجدان، ويجيب على سؤال: "إلى أين يؤدي بنا هذا اللهو والغفلة؟".

دعنا نقف بخشوع أمام هذه الآيات الكريمة التي ترسم لوحة من العذاب، وتخاطب فينا الإنسانية قبل فوات الأوان:
)فَارتَقِبْ يَوْمَ تَأتِي السَمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (10) يَغْشَى النَاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (11) رَبَنَا اكشِفْ عَنَا العَذَابَ إِنَا مُؤْمِنُونَ((12)

تخيل أنك واقف الآن، تنظر إلى السماء، وتسمع هذا الأمر الإلهي: "فَارتَقِبْ" .إنها لحظة فاصلة سترينا كيف أن "دخان" الغفلة المادية الذي نعيشه اليوم، سيتحول إلى "دخان مبين" يحاصرنا، وكيف سيكون رد فعلنا حينها.

أولا ً: تحليل أجزاء الآيات وربطها بالسياق

نحن هنا أمام ثلاثة مقاطع مترابطة، تشكل مشهداً دراميا ً كاملا ً: إنذار بالمرتقب، وقوع العذاب، ثم التضرع الأخير .لنغص في كل مقطع لنرى أنفسنا فيه.

الأمر الأول: تحليل قوله تعالى) فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ(

.١ما دلالة الأمر) فَارْتَقِبْ(؟
"ارتقب" تعني انتظر وترقب باهتمام شديد .لكنها ليست دعوة للخوف المجرد، بل هي أمر للاستعداد و اليقظة .كأن الله يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم، ولكل مؤمن: "كن على أهبة الاستعداد، وتابع الأ حداث بوعي، لأن ما سيأتي عظيم" .إنها دعوة للانتقال من حالة الغفلة واللعب إلى حالة الترقب و الجدية .الفاء هنا للسبب، أي بسبب أنهم في شك يلعبون، ترقب ذلك اليوم العظيم!

· الرسالة النفسية: أن تستبدل قلقك من المستقبل المجهول بترقب واعٍ لوعد الله .الخوف من المجهول يقتل النفس، أما الترقب المبني على الوحي فيمنحك طاقة للعمل والاستعداد .أنت لا تخاف من فزاعة، بل تترقب حدثاً حقيقياً له مقدمات وعلامات.
· الرسالة العقلية: أن تعيش بيقظة ذهنية، وألا تكون غافلا ً عن السنن الإلهية ."الارتقاب" يعني قراءة الأحداث والمتغيرات بعين العاقل الذي يفهم أن ما يجري ليس عبثاً.
· الرسالة التربوية: أن تربي نفسك ومن حولك على عقلية "المرتقب" لا عقلية "اللاعب" .المرتقب دائم الاستعداد، يخطط للمستقبل، ويتوقع التحديات، بينما اللاعب يعيش يومه بلا هدف.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الاستعداد الدائم ليوم القيامة وعلاماته، عبر اليقظة والوعي.
· المثال التقريبي: تخيل أن هيئة الأرصاد الجوية أصدرت تحذيراً من إعصار مدمر قادم خلال أيام . الناس ينقسمون إلى فريقين: فريق "يلعب" ويسخر من التحذير، وفريق "يرتقب" فيخزن الطعام ويعد العدة .أي الفريقين سينجو؟ الأمر الإلهي "فَارْتَقِبْ" هو تحذير أعلى من كل تحذيرات الدنيا، يدعوك لتكون من الناجين.
· المثال التقريبي الثاني: كطالب قيل له: "ترقب يوم الامتحان النهائي" .ترقبه يعني المذاكرة والجد .أما تجاهل هذا الترقب والاستمرار في اللعب فهو طريق الفشل المحتوم.

.٢ما هو) الدُخَانِ (وما دلالة وصفه بـ) مُبِينٍ(؟
"الدخان" هو آية من آيات الله، علامة كونية عظيمة تسبق يوم القيامة، وقد فسرها النبي صلى الله عليه وسلم بأنها دخان يغشى الناس .وصفه بأنه "مبين" أي واضح ظاهر لا شك فيه .تأمل المفارقة العجيبة! كان العلاج الذي قدمناه لك هو "الكتاب المبين") النور والهدى(، أما العذاب فهو "دخان مبين")الضباب والعذاب .(من أعرض عن النور الواضح، ابتلي بالعذاب الواضح .إنه تجسيد مادي لحياتهم: كانوا يعيشون في شك وضبابية) دخان (في الدنيا، فجاءهم ما يجسد هذه الحالة في الآخرة.

· الرسالة النفسية: أن تشعر بهول هذا المشهد .الدخان عادة يعمي البصر ويخنق الصدر .تخيله يأتي من السماء، من كل جهة، ليس له مفر .هذا الشعور بالضيق والاختناق هو ثمرة "الشك واللعب" في الدنيا، يجسد لك عذاباً أليماً.
· الرسالة العقلية: الدخان "مبين" أي لا يحتاج إلى دليل .سيراه الجميع .هذا يعني أنه لا عذر لأحد بعدها .في الدنيا، أعطيناك "كتاباً مبيناً" فإن رفضته، فاعلم أن "الدخان المبين" سيكون بيناً أيضاً، لكنه بينونة عذاب لا بينونة هداية.
· الرسالة التربوية: أن تبين للناس أن الغفلة والضبابية الفكرية التي يعيشونها اليوم هي "دخان" معنوي، نتيجته الطبيعية هي "دخان" حسي يوم القيامة .هذا يربيهم على حب الوضوح والهدى، ونبذ الغموض والتيه.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: من أعرض عن هدى الله الواضح) الدخان المبين (سيعاقب بعذاب واضح) الدخان المبين.(
· المثال التقريبي: رجل يسير في غابة كثيفة الأشجار، أعطي خريطة واضحة ومنيرة) كتاب مبين (لكنه أهملها وسخر ممن استعملها، وظل يسير في الظلام هائماً .فجأة، تشتعل الغابة من حوله، ويملأ الدخان الكثيف المبين الأفق .هذا الدخان هو نتيجة طبيعية لإهماله الخريطة .إنه الآن يرى "الدخان

المبين"، لكن أين هي النجاة؟
· المثال التقريبي الثاني: سائق يرفض ارتداء النظارة الطبية التي تقوي بصره ويراها عائقاً، فيعيش في ضبابية الرؤية .يفاجأ بضباب كثيف حقيقي على الطريق، فيصطدم ويهلك .إهماله علاج الوضوح أهلكه في الوضوح العكسي تماماً.

الأمر الثاني: تحليل قوله تعالى) يَغْشَى النَاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ(

.١ما دلالة) يَغْشَى النَاسَ(؟
"يغشى" تعني يغطي ويحيط بهم من كل جانب، فيعمهم جميعاً .لم يقل "يغشى الظالمين" فقط، بل "الناس"، لأن أثره يشمل الجميع، المؤمن والكافر .لكنه للمؤمنين يكون كالزكام الخفيف) كما في الحديث(، وللكافرين والمكذبين يكون عذاباً وخنقاً شديداً .هذه الآية تذكرنا بأن الفتن والمحن إذا نزلت ، قد تعم الجميع، لكن النجاة الحقيقية تكون لأهل الإيمان .أنت لست بمنأى عن آثار الغفلة العامة، لكنك بالكتاب المبين تنجو من أهوالها.

· الرسالة النفسية: أن تشعر بالشفقة على الناس، وأن تزيد من حرصك على دعوتهم للخروج من هذا المصير .إن مشهد "الدخان يغشى الناس" يجب أن يهز ضميرك، لا أن يجعلك تشمت، فالجميع في خطر وأنت تحمل طوق النجاة.
· الرسالة العقلية: أن تدرك قانون "العقوبات العامة" .عندما يعم الفساد والغفلة، فإن العقوبة قد تعم . لذا فإن إصلاحك لنفسك ولمجتمعك هو ضمان لسلامة الجميع .لا يمكنك أن تعيش في أبراج عاجية بعيداً عن مسؤوليتك.
· الرسالة التربوية: أن تربى الناس على أن أفعالهم الفردية تؤثر في المجموع .فسوق الفرد تزيد من "دخان" المجتمع، كما أن صلاحه يبدده .هذه مسؤولية جماعية.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: عقوبات الأمم إذا نزلت تعم الصالح والطالح، لكن العاقبة تختلف.
· المثال التقريبي: عندما يحدث زلزال مدمر في مدينة، فإنه "يغشى الناس" كلهم، يهدم بيوت الأبرار والفجار .لكن المؤمن الذي استعد بإيمانه يموت شهيداً أو يصبر فيؤجر .الكافر يموت ساخطاً فيعاقب . الألم الجسدي قد يصيب الجميع، لكن الألم النفسي والروحي هو الذي يفرق.
· المثال التقريبي الثاني: سفينة تغرق في البحر، هذا الغرق "يغشى" جميع من فيها .لكن من كان يرتدي طوق النجاة) الكتاب المبين (سينجو، ومن كان يلعب) يلعبون (سيغرق لا محالة.

.٢ما دلالة قولهم) هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ(؟
الضمير "هذا" يشير إلى أنهم حين يرونه، يعرفونه يقيناً .كانوا يشكون في الدنيا ويلعبون، أما الآن فهم يعترفون بأنه "عذاب أليم" .كلمة "أليم" مأخوذة من الألم، وهو أقصى درجات الوجع الحسي و النفسي .ألم الاختناق، وألم الظلمة، وألم الندم، وألم الخوف .إنها لحظة التجلي حيث يتبدد الشك ويحل اليقين، لكنه يقين لا ينفع.

· الرسالة النفسية: أن تعيش الآن ذلك الموقف لتوقظ قلبك .تخيل نفسك وقد غشيك الدخان، واختنقت أنفاسك، وصرخت: "هذا عذاب أليم" .هذا التصور الحي يجعلك تتوب اليوم قبل غد .الخوف هنا وسيلة تربوية للنجاة.
· الرسالة العقلية: أن تفرق بين علم اليقين وعين اليقين .هم الآن وصلوا إلى عين اليقين، رأوا العذاب رأي العين .لكن هذا اليقين لم يعد ينفعهم لأنه جاء بعد فوات الأوان .المطلوب هو علم اليقين في الدنيا الذي يدفع للعمل.
· الرسالة التربوية: أن تعلم أن الاعتراف بالخطأ بعد فوات الأوان لا قيمة له .كم من إنسان يلهو ويلعب، ثم إذا وقع في المصيبة قال: "هذه مصيبة أليمة"! لكن من كان يرتقبها ويعمل، نجا منها.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الاعتراف بالحق بعد رؤية العذاب لا ينفع صاحبه.
· المثال التقريبي: طالب كان يلعب طوال العام، ويشك في صعوبة الامتحان .دخل القاعة، ورأى الأ سئلة، فقال: "هذا امتحان صعب مؤلم!" اعترافه هذا صحيح، لكنه لن ينفعه في الإجابة .كان يجب أن يرتقب الامتحان بجد ومذاكرة.
· المثال التقريبي الثاني: مريض أهمل صحته وأنكر تحذيرات الطبيب، فلما اشتد عليه المرض وأقعده الفراش قال: "هذا مرض أليم!" .قوله حق، لكنه لن يشفيه بعد أن تمكن منه الداء.

الأمر الثالث: تحليل قوله تعالى) رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا العَذَابَ إنَّا مُؤْمِنُونَ(

.١ما دلالة ندائهم) رَبَّنَا(؟
بعد أن رأوا الدخان المبين، تذكروا فجأة أن لهم "ربا"! هذا هو النداء الأخير، نداء الفطرة التي طمستها المادة والشك واللعب .لقد أنكروا رب السماوات والأرض في الدنيا، وكذبوا رسالته، أما الآن وقد أحاط بهم العذاب، عادوا ينادون "ربنا" .لاحظ كم هي عظيمة رحمة الله، حيث ترك لهم باب الدعاء حتى في هذه اللحظة الحرجة!

· الرسالة النفسية: أن تشعر بقيمة أن تقول "ربنا" وأنت في كامل وعيك وقدرتك .لا تنتظر حتى تحيط بك الشدائد لتنادي ربك .أنت تناديه اليوم في الرخاء، فيستجيب لك في الشدة .إنها صلة لا تنقطع، فاجعلها دائمة.
· الرسالة العقلية: إدراك أن الفطرة السليمة تلجأ إلى الله عند الشدائد .هذه حجة على كل ملحد ومتشكك: إذا كان إلهك هو المادة أو الصدفة، فلماذا ناديت "ربنا" عند الخطر؟ إنه دليل على أن الإ يمان بالله مغروس في أعماقك، لكن الشك واللعب يغطيانه.
· الرسالة التربوية: عوّد نفسك وأبناءك على مناداة "ربنا" في السراء والضراء .لا تجعل نداء "ربنا" هو آخر سهم في كنانتك، بل اجعله البداية والنهاية .ربِّ فيهم الفطرة قبل أن تطمسها الشهوات.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الفطرة السليمة تلجأ لله عند الشدة، وهذا دليل على وجوده في ضمير كل إنسان.
· المثال التقريبي: كالطفل الذي يلعب في الحديقة غافلا ً عن أمه، فإذا ما عضه كلب أو تعثر وسقط، صرخ: "أمي!" .هذه الفطرة موجودة في كل الناس .من ينكر وجود الله في الرخاء، يعترف به في الشدة، وهذا الاعتراف هو الحجة عليه.
· المثال التقريبي الثاني: غواص في أعماق البحر، هواؤه ينفذ، يرى الموت أمامه، فيصرخ في قلبه: "يا رب!" حتى لو كان ملحداً طوال حياته .هذا النداء هو شهادة الفطرة التي لا تموت.

.٢ما معنى) اكشِفْ عَنَّا العَذَابَ (وما الذي يكشفه هذا الدعاء عن طبيعة الدنيا؟
"اكشف" أي أزل وارفع .إنهم يتوسلون الآن .هذا الدعاء يكشف حقيقة أن كل متاع الدنيا ولهوها هو "غطاء" مؤقت، تماماً كما يغطي الدخان السماء .إنهم يطلبون الآن أن ينكشف عنهم هذا الغطاء الأليم . في الدنيا، كانوا هم الذين يغطون الحق بالباطل، ويغطون الحقيقة باللعب، أما الآن فالحقيقة هي التي تغطيهم، وهم يريدون كشفها.

· الرسالة النفسية: أن تطلب من الله أن يكشف عنك "دخان" الغفلة والشهوات قبل أن تطلب كشف العذاب .هناك أدعية عظيمة: "اللهم اكشف عني غمة الجهل والغفلة" .هذه الآية توقظ فيك الحاجة الدائمة لكشف الله.
· الرسالة العقلية: الدنيا كلها غطاء ودخان .المال غطاء، الجاه غطاء، الشباب غطاء .كل هذه الحجب ستتكشف يوم القيامة .العاقل هو من يستعد ليوم الكشف العظيم بالإيمان في زمن الحجب.
· الرسالة التربوية: علاج الغفلة يكون بكشف الله .علم أبناءك أن هناك حجباً كثيفة في الحياة) دخان المادة (لا يزيلها إلا نور الإيمان .علمهم دعاء: "ربي اكشف عني ظلمات النفس وفتن الدنيا".

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: مصائب الدنيا وعذابها هي انعكاس لحالة الغطاء والغفلة التي نعيشها.
· المثال التقريبي: رجل نام في غرفة مليئة بالدخان بسبب سيجارة أهملها .استيقظ مختنقاً، وصرخ: "اكشف عني هذا الدخان!" .طلبه الآن هو نتيجة إهماله السابق .الدخان الذي كاد يقتله كان في الأصل سيجارة استمتع بها وغفل عنها! هكذا ملذات الدنيا، هي دخان خفيف نستنشقه بغفلة، يتحول إلى دخان خانق يقتلنا.
· المثال التقريبي الثاني: طالب تراكمت عليه الديون بسبب لهوه وإسرافه، حتى كاد يسجن .حينها صرخ: "اكشف عني هذا البلاء!" .هذا البلاء هو نتاج مباشر لـ "دخان" اللهو الذي كان يغطي عقله.

.٣ما دلالة إعلانهم) إنَّا مُؤْمِنُونَ (في هذا التوقيت؟
هذا هو الإعلان الحزين .يقولون: "الآن آمنا" .لكن هل ينفع إيمان بعد رؤية العذاب؟ لقد أخبرنا الله في

مواضع كثيرة أن الإيمان بعد معاينة العذاب لا ينفع .في الدنيا طلب منهم الإيمان بالغيب فرفضوا ولعبوا، والآن وقد رأوا، آمنوا! لكن زمن الاختبار قد ولى .إنها خاتمة الذين يطلبون الإيمان على حافة الهاوية.

· الرسالة النفسية: أن تبادر الآن .لا تؤجل توبتك، لا تؤجل عودتك إلى الله ."إنا مؤمنون" التي ستقال يوم القيامة لن تنفعك .التي تنفعك هي "إنا مؤمنون" التي تقولها اليوم وأنت قادر على العمل، وأنت تسجد وتصلي وتتلو القرآن.
· الرسالة العقلية: الإيمان اختيار حر في زمن الغيب .إذا زال الغيب وصارت الحقيقة عياناً، لم يعد هناك اختيار، بل اضطرار .الإيمان الاضطراري ليس إيماناً .أنت اليوم في زمن الاختيار، فلا تضيعه.
· الرسالة التربوية: ربِّ في نفسك وفي أبنائك الإيمان الاختياري، الإيمان الذي يقوم على القناعة و الحب، لا إيمان المصيبة والخوف فقط .الإيمان الذي يثبت في زمن الدخان، لا الذي يظهر بعد انكشافه.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: المبادرة إلى الإيمان والتوبة قبل فوات الأوان، فإيمان ساعة الصفر لا ينفع.
· المثال التقريبي: جندي في معركة، أعطاه قائده تعليمات واضحة للنجاة، فرفضها واستهزأ بها .عندما حاصرته نيران العدو من كل جانب، صرخ: "أنا أطيعك الآن!" .هل هذا ينفعه؟ لقد ضاع وقت تنفيذ التعليمات .أنت الآن في ميدان المعركة، وتلقيت تعليمات النجاة، فبادر بتنفيذها.
· المثال التقريبي الثاني: مسافر في قطار، قيل له: "المحطة الفلانية هي محطتك الأخيرة، استعد للنزول" .ظل يلعب ويلهو، حتى تجاوز القطار المحطة، وبدأ يسير في أنفاق مظلمة .حينها صرخ: "أنا نازل!" لكن القطار لا يتوقف .حياتك الدنيا هي محطة النزول إلى الآخرة، فاستعد ولا تلهو.

ثانياً: المفاهيم والقيم وأبعاد الآية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

المحور الأول: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآيات

· المفهوم التربوي: التربية على "الترقب الإيجابي" .الآيات تعلمك أن الخوف من الله وعذابه ليس خوفاً سلبياً يؤدي لليأس، بل هو ترقب إيجابي يدفع للعمل .هذا هو جوهر التربية القرآنية: التوازن بين الخوف والرجاء.
· المفهوم النفسي: "الدخان النفسي" وعلاجه .كما أن هناك "دخاناً" حسياً يغشى الناس، هناك "دخان نفسي" من القلق والاكتئاب والغفلة يغشى قلوبنا اليوم .هذا الدخان سببه الابتعاد عن الكتاب المبين .ا لآيات تنبهك لخطورته، وتدعوك للخروج منه إلى نور اليقين.
· المفهوم الفكري: قانون السببية بين الغفلة والعذاب .الآيات ترسم خطاً بيانياً واضحاً: شك ولعب)سبب = (دخان مبين) نتيجة .(ليست عقوبة اعتباطية، بل هي نتيجة طبيعية محتومة .هذا يعزز في العقل مفهوم المسؤولية: كل فعل له نتيجة، وما تزرعه تحصده.

المحور الثاني: أبعاد الآية وآفاقها نفسياً وفكرياً وعقائدياً

· البعد العقائدي: الإيمان باليوم الآخر كحقيقة مرئية .الآيات تجعل مشهد الآخرة ماثلا ً أمام عينيك، فتزيد إيمانك بها .هذا الإيمان هو الذي يغير سلوكك في الدنيا.
· الأفق الفكري: رؤية المستقبل بعين الوحي ."فارتقب" تفتح لك أفقاً لترى المستقبل ليس كمجموعة احتمالات مجهولة، بل كمسارات واضحة حددها الله في كتابه: إما نعيم وإما جحيم .هذه الرؤية توجه فكرك واستثمارك.
· البعد النفسي: من القلق إلى الاستعداد .معظم قلق الناس اليوم هو خوف من مستقبل غامض .الآية تحول هذا القلق الغامض إلى استعداد واضح .معروف ما هو قادم) الدخان ويوم القيامة(، ومعروف طريق النجاة) الكتاب المبين .(فلماذا القلق إذن؟

المحور الثالث: القيم المستنبطة من الآيات

· قيمة الاستعداد: ضد التواكل والغفلة.
· قيمة الوعي: قراءة علامات التحذير الإلهية في الأنفس والآفاق.
· قيمة الصدق: فإيمان ساعة الصفر ليس صدقاً، بل هو إملاء من الخوف .الصدق أن تؤمن في زمن ا

لاختيار.
· قيمة المبادرة: لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد، فالدخان قادم في موعده.

المحور الرابع: مفاهيم البناء والتنمية في الآيات

· بناء الحس الأمني والإيماني: الآيات تبني فيك جهاز إنذار مبكر روحياً .كما أن الدولة تبني أجهزة إنذار من الزلازل والحرائق، القرآن يبني فيك جهاز إنذار من غضب الله .هذا يجعلك تعيش في أمان نفسي لأنك مستعد.
· تنمية مجتمعية قائمة على "إدارة الأزمات" ."فارتقب" هي دعوة لإدارة الأزمات قبل وقوعها .مجتمع يعلم أن هناك أزمات روحية ومادية) دخان (قادمة، سيسارع إلى تحصين أفراده بالعلم والإيمان.

المحور الخامس: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

· على مستوى الإنسان: حول "الدخان" من مجرد مشهد مخيف إلى حافز يومي .في كل صباح قل لنفسك: "سأعمل اليوم وكأن الدخان سيأتي غداً" .هذا يعطيك دفعة هائلة للجد والعبادة.
· على مستوى المجتمع: مجتمع يؤمن بـ "دخان مبين" قادم، سيكون مجتمعاً متيقظاً، لا تنام له عين، ولا يغتر بماديته، لأنه يعلم أنها كلها إلى زوال كالدخان.
· على مستوى الحضارة: الحضارة الحقيقية تبني للإنسان ليس فقط مساكن من حجر، بل تحصينات من الإيمان تنجيه من أهوال الآخرة .إنها حضارة "الارتقاب" لا حضارة "اللعب".

ثالثاً: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآيات وكيف نطبقها في واقعنا

المحور الأول: إلى ما تدعونا إليه الآيات؟

· تدعوك للارتقاب الواعي: أن تعيش كلحظة استعداد ليوم عظيم.
· تدعوك لاستشعار هول الغفلة: من خلال استحضار مشهد الدخان وهو يغشى الناس.
· تدعوك للمبادرة بالتوبة والإيمان: قبل أن تصرخ "ربنا اكشف عنا العذاب" فلا ينفعك.

المحور الثاني: كيف نطبق هذه الآيات؟ وماذا نتعلم منها في حياتنا العملية؟

.1تطبيق "فَارْتَقِبْ":
· اجعل لك في كل يوم لحظة تتخيل فيها أهوال يوم القيامة، وتسأل نفسك: "كم أنا مستعد؟".
· تعامل مع كل محطة حياتية) عمر، صحة، مال (على أنها "علامة" من علامات الله في حياتك، ترتقب بها لقاءه.
.2تطبيق "بِدُخَانٍ مُبِينٍ":
· حدد "الدخان" في حياتك: ما هي أكثر الملهيات التي تغشى قلبك وتغطي عليه؟ وسائل التواصل ؟ الألعاب؟ الشهوات؟ اكتبها، واعمل على تقليلها تدريجياً.
· إذا وجدت نفسك في حالة اختناق نفسي وقلق، تذكر أن هذا "دخان" نفسي، وعلاجه يكون بـ الرجوع إلى "الكتاب المبين" والصلاة والدعاء.
.3تطبيق "يَغْشَى النَّاسَ":
· لا تكن أنانياً في نجاتك .انشر الوعي بين الناس، وكن داعية نجاة ."يغشى الناس" تعني أن المسؤولية جماعية.
.4تطبيق "رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ":
· ليكن هذا دعاءك في كل صلاة، ليس فقط من عذاب الآخرة، بل من عذاب الدنيا: عذاب الغفلة، عذاب الشك، عذاب القلق.
· ردده الآن: "ربنا اكشف عنا دخان الغفلة، ودخان المادة، ودخان الشهوات، قبل أن يأتي اليوم الذي لا ينفع فيه نداء".

ختاماً، هذه الآيات الثلاث هي تحذير عملي وعلاج جذري .إنها المرآة التي ترى فيها صورة "الدخان" الذي تعيش فيه الآن، وصورة المشهد الأكبر حين يتبدد كل دخان الدنيا ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام .لم يبق لك إلا أن تترقب بالعمل، وتكشف عن قلبك غطاء اللّهو، وتنادي "ربنا" بإخلاص في زمن الإجابة .لا تكن ممن قال الله عنهم:) بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ(، بل كن ممن قال الله لهم:) فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ.)

المبحث الثالث
تنتقل الايات الى. بيان حقيقه ان تأثر هؤلاء المؤقت
يزول بزوال المؤثر الدخان وأنهم بعد ذلك يعودون إلى ما كانوا عليه من العناد والكفر هكذا هو ح ال الماديين الذين لا يؤمنون الابالمحسوس
اولا
نحن الآن في موقف مهيب من سورة الدخان. لقد انتهينا من مشهد "الدخان المبين" الذي يغشى الناس، وسمعنا صرختهم: (رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا العَذَابَ إنَّا مُؤْمِنُونَ). كان هذا نداء الفطرة الأخير، إعلان الإ يمان على حافة الهاوية. والآن، يأتينا الرد الإلهي، ليس بالرفض فحسب، بل بالكشف عن جذور المشكلة وبيان الجريمة التي أوصلتهم إلى هذا المصير، ليكون درسًا لنا ونحن لا نزال في زمن الا ختيار.

دعنا نقف بخشوع وتأمل مع هاتين الآيتين الكريمتين:
(أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ (13) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ (14))

تخيل المشهد: صرخوا "إنا مؤمنون"، فيأتي الرد ليسد عليهم كل منافذ النجاة الوهمية. إنها آيتان تكشفان حقيقة أن باب التوبة ليس مفتوحًا إلى الأبد، وأن الإعراض عن الحق الواضح له عواقب وخيمة.

أولا ً: تحليل أجزاء الآيتين وربطها بالسياق

نحن الآن أمام محاكمة إلهية عادلة، تبين لماذا لا ينفعهم إيمانهم المتأخر. لنغص في كل كلمة من هذه الآيات لنرى صورتنا فيها.

الأمر الأول: تحليل قوله تعالى (أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ)

.١ما معنى) أَنَّىٰ (وما دلالتها هنا؟
"أنّى" هي أداة استفهام إنكاري بمعنى "كيف" و"من أين". إنه سؤال يحمل في طياته التعجب والا ستبعاد والإنكار. كأن الله يقول: "كيف تنفعهم الذكرى والتوبة الآن؟! من أين لهم هذا؟! لقد فات الأ وان!" إنه ليس سؤالا ً يطلب الإجابة، بل هو رد قاطع معناه: لا سبيل لهم إلى الإيمان النافع، ولا طريق لهم إلى التوبة المقبولة. باب الذكرى قد أغلق في وجوههم.

· الرسالة النفسية: أن تشعر بخطورة التسويف. هذه الآية يجب أن ترجف قلبك! أن تصور لك أن هناك لحظة يأتي فيها سؤال "أنّى" ليسد في وجهك باب الأمل. اليوم باب الذكرى مفتوح لك على مصراعيه، فلا تؤجل، ولا تسوّف، لأن الغد قد يأتي وفيه يُسد الباب.
· الرسالة العقلية: أن تدرك أن هناك وقتاً للقبول ووقتاً للرفض. ليس كل وقت مناسباً لكل شيء. العقل الحكيم يعرف أوقات الزراعة وأوقات الحصاد. وقت التوبة والذكرى هو الدنيا، فإذا انقضت، فلا زراعة ولا حصاد.
· الرسالة التربوية: أن تربي نفسك وأبناءك على مبدأ "الفرصة". الفرصة لا تدوم، والتسويف يقتل الفرص. تعليم الأبناء أن يبادروا إلى الخيرات، وأن يتوبوا فوراً من الأخطاء، لأن التأخير قد يعني فقدان فرصة التوبة إلى الأبد.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: التسويف في التوبة قاتل، وهناك لحظة لا تنفع فيها ذكرى.
· المثال التقريبي: تخيل طالباً رسب في الامتحان النهائي، وأغلق باب الجامعة في وجهه. يأتي بعدها بليلة ويقول: "أنا الآن أريد أن أنجح وأتفوق". يُقال له: "أنّى لك هذا؟! وكيف تنفعك هذه الرغبة الآن وقد مضى زمن الامتحان؟". حياتك الدنيا هي زمن الامتحان، والموت هو إغلاق باب القبول.
· المثال التقريبي الثاني: مريض أهمل العلاج حتى تمكن منه السرطان. يأتي في لحظاته الأخيرة ويقول: "أنا الآن أريد الشفاء". يُقال له: "أنّى لك هذا؟! لقد ضاع وقت العلاج". الأمراض الروحية (الشك واللعب) هي سرطانات الروح، ودواؤها بالذكرى والتوبة، فلا تؤجل العلاج.

الأمر الثاني: تحليل قوله تعالى (وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ)

.١ما هي الجريمة التي تكشفها هذه الجملة؟
الجريمة هنا ليست مجرد كفر، بل هي جريمة مزدوجة فظيعة: لقد جاءهم رسول، وهذا دليل العناية والرحمة، لم يتركهم الله هملا ً. وهذا الرسول موصوف بأنه "مبين" أي واضح في رسالته، بلغهم البلا غ المبين، قدم لهم "الكتاب المبين"، أقام عليهم الحجة الواضحة التي لا لبس فيها. فكيف بعد كل هذا الوضوح والبيان يطلبون الذكرى الآن؟!
إنه تأكيد أن العذر قد قام، والحجة قد بلغت. رفضهم لم يكن عن جهل، بل عن إعراض! فكيف لمن أعرض عن "الرسول المبين" أن تنفعه ذكرى ساعة الاحتضار أو العذاب؟

· الرسالة النفسية: إنها طمأنة للمؤمنين. إذا التبس عليك الأمر، تذكر أن الرسالة قد وضحت، والرسول قد بَلَغ. أنت على يقين، فلا تخف من شبهات المشككين.
· الرسالة العقلية: أن تقيس الأمور بمقاييسها الصحيحة. قياس قبول إيمانهم المتأخر يقارَن بوضوح البـ ـلاغ الذي أعرضوا عنه. المقارنة بين "وضوح الرسالة" و"تأخر التوبة" هو الذي ينتج حكم "أنى لهم الذكرى".
· الرسالة التربوية: أن تعظم دور "الرسول المبين" والرسالة المبينة في حياتك. أن تجعلهما مرجعيتك ا لأولى، وأن تُسقط هذا المبدأ على كل من يأتيك بالحق الواضح من العلماء والدعاة والمعلمين، فتحترمه ولا تعرض عنه.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الإعراض عن الحق الواضح بعد بلوغه هو الجريمة التي تستوجب سد باب التوبة.
· المثال التقريبي: رجل ضل طريقه في الصحراء. أرسل إليه رجال الإنقاذ واحداً منهم معه خريطة واضحة وكشاف ضوء قوي (رسول مبين)، يدله على الطريق. لكن الرجل استهزأ به وطرده! فلما أحاطت به العواصف وأشرف على الهلاك، صرخ: "أنا أريد النجاة!"، فيُقال له: "أنّى لك هذا وقد جاءك رسول مبين فأعرضت عنه؟".
· المثال التقريبي الثاني: موظف تلقى تعليمات واضحة من مديره مكتوبة وموقع عليها. أهمل التعليمات عمداً. فلما وقعت الكارثة، قال: "أنا نادم وسأعمل بها الآن!"، فيُقال له: "أنّى لك هذا؟! لقد قامت عليك الحجة من قبل".

الأمر الثالث: تحليل قوله تعالى (ثُمّ تَوَلّوْا عَنْهُ)

.١ما دلالة كلمة) ثمّ (و)توَلّوْا(؟
(ثمّ) هنا للتراخي الزمني والرتبي، وتفيد تفاقم الجريمة. لم يكتفوا بالكفر، بل بعد أن جاءهم الرسول المبين وأقام عليهم الحجة، تولوا. "تولوا" تعني أعرضوا إعراضاً كاملا ً، وأدبروا بوجوههم وقلوبهم، وانصرفوا انصرافاً مصحوباً بالاستكبار. إنه ليس مجرد عدم قبول، بل هو رفض وإدبار فعلي.

· الرسالة النفسية: أن تراجع موقفك من الحق. هل أنت في حالة إقبال أم في حالة "تول"؟ إحساسك بأنك تعيش حالة "تول" عن بعض الحقائق هو جرس إنذار لك قبل فوات الأوان. توليك عن الصلاة، عن القرآن، عن العلم، هو بداية طريق الخطورة.
· الرسالة العقلية: الإعراض ليس حالة محايدة، بل هو فعل سلبي مدمر. المتولي عن الحق ليس واقفاً في منتصف الطريق، بل هو يمشي في الاتجاه المعاكس. هذا يبين لك خطورة اللامبالاة الدينية التي يظن صاحبها أنه في منطقة آمنة.
· الرسالة التربوية: أن تحذر من "التولي" في التربية. إذا تولى المتربي عن مربيه، أو الطالب عن معلمه، فقد انقطع حبل التعلم. واجب المربي أن يغرس في قلوب طلابه الإقبال على الحق، ويجنبهم روح التولي والإعراض.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: التولي عن الحق بعد وضوحه هو إعلان حرب عليه، وليس مجرد حياد.
· المثال التقريبي: طبيب يقدم لمريضه روشتة دواء واضحة، ويشرح له طريقة الاستعمال. يأخذ المريض الروشتة، ثم "يتولى" فيمزقها ويدير ظهره للطبيب. هذا ليس مجرد تردد، بل هو رفض وإعراض متعمد.

· المثال التقريبي الثاني: منارة عالية على الشاطئ، ترسل ضوءها لتنقذ السفن من الصخور. قبطان إحدى السفن يرى النور بوضوح، ولكنه "يتولى" فيدير دفة سفينته بعيداً متجهاً مباشرة إلى الصخور. هذا التولي هو الذي سيهلكه.

الأمر الرابع: تحليل قوله تعالى (وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ)

١.ما دلالة وصفهم للرسول بهذين الوصفين؟
هنا تصل الجريمة إلى ذروتها. لم يكتفوا بالتولي والإعراض، بل شرعوا في الطعن والتشويه. هذه هي كلمتهم التي قالوها في الدنيا.

· (مُعَلَّمٌ): أي ليس رسولا ً، بل إنسان عادي تلقفه بشر آخر فعلمه هذا الكلام. هذه تهمة تنفي صفة الوحي وتجعل القرآن من إنتاج بشري.
· (مَجْنُونٌ): أي ليس عاقلا ً فيما يدعيه، بل به مس من الجنون! هذه تهمة تنفي العقل والحكمة عن النبي صلى الله عليه وسلم.
تأمل في تناقضهم العجيب! "معلم" تعني أنه تلقى علماً، وهذا يحتاج إلى عقل متفتح. "مجنون" تعني أنه فاقد للعقل. كيف يجتمع هذا وهذا؟! إنه اضطراب الحائرين، وتخبطهم دليل على أنهم لا يملكون حجة. هذه التهمة المتناقضة تعكس تماماً حالتهم: (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ). الشاك المتذبذب لا يستقر على قول ثابت.
· الرسالة النفسية: أن تصبر على اتهامات المبطلين. طريق الحق مفروش بالاتهامات. إذا آذتك كلمات الناس، فتذكر أنهم قالوا عن النبي "معلم مجنون". هذا يمنحك الصبر والاحتساب.
· الرسالة العقلية: أن تفحص أي تهمة قبل تصديقها. اتهامهم يدحض بعضه بعضاً. هذا يعلمك أن تفكر تفكيراً ناقداً في كل ما تسمعه من اتهامات ضد أهل الحق.
· الرسالة التربوية: أن تعلم الأجيال أن "شخصنة" الخلاف هي دليل العجز. عندما يعجز المبطل عن مواجهة الفكرة، يلجأ إلى صاحبها بالطعن. ربِّ في أبنائك أدب الخلاف، ومحاربة الاغتياب المعنوي للآ خرين.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الطعن في حامل الحق هو آخر ورقة يستعملها المبطلون.
· المثال التقريبي: عالم فذ يكتشف علاجاً لمرض عضال، فيأتيه المرضى يطلبون الشفاء. بعض الجاهلين يقولون: "هذا ليس طبيباً، بل تلقى الدواء من دجال". هذا هو "معلم". ويقول آخرون: "بل هو مجنون لا يدري ماذا يفعل". هذا هو "مجنون". هكذا يفعل المعرضون عن الحق، يطعنون في الشخص لئلا يتبعوا الهدي.
· المثال التقريبي الثاني: مخترع يخترع آلة عجيبة، فيقول الحاسدون: "تعلمها من غيره" و"إنه أحمق لا يفهم ما صنع". هاتان التهمتان المتناقضتان تكشفان حقيقة أنهم لا يريدون الحق، بل يريدون تبرير إعراضهم وتوليهم.

ثانياً: المفاهيم والقيم وأبعاد الآية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

المحور الأول: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآيتين

· المفهوم التربوي: التربية على تحمل المسؤولية. الآيات تعلم أن الإنسان مسؤول عن قراراته. "أنى لهم الذكرى" لأنهم أضاعوا وقت الاختيار. هذا يبني شخصية تتحمل تبعات أفعالها ولا تلقي اللوم على الظروف.
· المفهوم النفسي: سيكولوجية الإعراض والتبرير. "تولوا وقالوا معلم مجنون" يكشف آلية نفسية خطيرة: عندما يعرض الإنسان عن الحق، يضطر نفسياً لتبرير إعراضه باختلاق الأعذار والتهم. إنها ميكانيزم دفاعي مدمر.
· المفهوم الفكري: وضوح الحجة ينفي العذر. الآيات تؤسس قاعدة فكرية: كلما كان البلاغ أوضح، كانت المسؤولية أكبر، وكان العذر أقل. "رسول مبين" تعني أن الحجة قد بلغت ذروتها، فالعذاب هنا عادل تماماً.

المحور الثاني: أبعاد الآية وآفاقها نفسياً وفكرياً وعقائدياً

· البعد العقائدي: عدالة الله المطلقة. الآيات تبرز عدالة الله، فهو لا يعاقب إلا بعد أن يرسل "رسولا ً مبينا" ويقيم الحجة. هذا يملأ قلبك خشية ومحبة.
· الأفق الفكري: التفريق بين زمن الفرصة وزمن الحساب. تمنحك الآيات رؤية زمنية واضحة: هناك زمن للذكرى يقبل فيه كل شيء، وزمن تغلق فيه الأبواب. هذا يجعلك مستثمراً حكيماً لأيامك.
· البعد النفسي: الطمأنينة للمؤمن. أن تعلم أن الله لا يؤاخذ إلا بعد البيان، يعطيك طمأنينة في رحمته. وأن تعلم أنه سيحاسب المعرضين، يمنحك طمأنينة في عدله.

المحور الثالث: القيم المستنبطة من الآيتين

· قيمة اغتنام الفرصة: الذكرى والتوبة فرصة لا تعوض.
· قيمة احترام "المبين": تقدير العلماء والدعاة الذين يبينون الحق.
· قيمة العدالة: الإيمان بأن الجزاء من جنس العمل.
· قيمة الشجاعة الأدبية: مواجهة الحق دون تبريرات واهية.

المحور الرابع: مفاهيم البناء والتنمية في الآيتين

· بناء الإنسان المبادر: الآيات تبني شخصية المبادرة التي لا تسوّف، والتي تنتهز الفرص قبل فواتها. "أنى لهم الذكرى" صرخة تحذير لكل مسوّف.
· التنمية بالحجة والبيان: "رسول مبين" يؤكد أن النهضة لا تقوم على الخرافة، بل على العلم الواضح والبيان المقنع.

المحور الخامس: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

· على مستوى الإنسان: حول "أنى لهم الذكرى" إلى ساعة منبه في داخلك. كلما راودك شعور بـ التسويف، اسمع هذه الآية ترن في أذنك.
· على مستوى المجتمع: مجتمع يسمع عن "رسول مبين" ولا يتولى عنه، هو مجتمع يتقدم. لأنه يحترم العلم والعلماء، ويقبل النصح والتوجيه.
· على مستوى الحضارة: الحضارة التي تقوم على "الذكرى" والبيان هي حضارة راسخة. أما الحضارة التي تقوم على "التولي" عن الحق ووصم أهله بالجنون، فهي حضارة في طريقها إلى الدخان المبين.

ثالثاً: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآيات وكيف نطبقها في واقعنا

المحور الأول: إلى ما تدعونا إليه الآيات؟

· تدعوك للمبادرة الفورية: لا تؤجل توبتك، فلحظة الموت هي "أنى لهم الذكرى" بالنسبة لك.
· تدعوك للاستماع للرسل المبينين في حياتك: القرآن، السنة، العلماء، كل من يبين لك شيئاً من دينك.
· تدعوك لعدم تبرير أخطائك: لا تقل عن الحق حين تسمعه: "هذا كلام معاد"، أو "صاحبه متشدد" (هذا شبيه بـ معلم مجنون).

المحور الثاني: كيف نطبق هذه الآيات؟ وماذا نتعلم منها في حياتنا العملية؟

1.تطبيق "أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ":
· إذا جلستَ مجلس لهو، أو نويتَ معصية، اسأل نفسك: "إن متُّ الآن، فأنّى لي التوبة والذكرى؟".
· لا تسوّف صلاة، ولا تؤجل استغفاراً. عوّد نفسك على الفورية في الخير.
2.تطبيق "وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ":
· احمد الله أن جعلك على دين واضح. كلما التبست عليك الأمور، عد إلى "الرسول المبين" وسيرته، وإلى "الكتاب المبين" ودروسه.
· اقرأ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم بنية الاستجابة لا مجرد المعرفة. هو "الرسول المبين" الذي سيسألك الله هل اتبعته أم "توليت عنه".

.3تطبيق "ثمّ تولّوا عنه":
· راقب نفسك: هل أنا مُقبِل أم مُدبر؟ هل تثاقلت خطاي عن الطاعة؟ تولي القلب بدايته فتور. استعذ بالله من فتور القلب.
.4تطبيق "وَقالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ":
· احفظ لسانك عن الطعن في أهل العلم والدين. لا تقل عن عالم رباني: "هذا معقد"، أو "هذا أتى بكلام غريب"، إلا بحجة وبيان.
· إذا سمعت اتهاماً لأهل الحق، فاستحضر هذه الآية. واعلم أنها سنة ماضية في أتباع الأنبياء.

ختاماً، هاتان الآيتان هما الحكم النهائي في قضية "الشك واللعب"، إنهما تكشفان أن الذين يرون الدخان ويصرخون "إنا مؤمنون" ليس لهم من الذكرى شيء، لأنهم أغلقوا على أنفسهم بابها حين "تولوا" عن "الرسول المبين" و"قالوا معلم مجنون". إنها الآية التي تقول لك: "تذكر الآن قبل أن لا تنفع الذكرى"

ثانيا

نحن الآن في قلب الحدث، حيث تتجلى السنن الإلهية بوضوح. لقد انتهينا من المشهد المهيب: الكفار يصرخون (رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا العَذَابَ إنَّا مُؤْمِنُونَ)، ويأتيهم الرد القاصم: (أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ) فقد أعرضوا وتولوا عن الرسول المبين. والآن، تأتي آيتان تكشفان حقيقة ما حدث بعد ذلك، وإلى أين سينتهي المطاف. إنهما آيتان ترسمان منحنى الغفلة البشرية، وتؤسسان لأعظم سنن الابتلاء والعقاب.

دعنا نقف بخشوع مع هاتين الآيتين الكريمتين:
(إنَّا كاشِفُو العَذَابِ قَلِيلًا ۚ إنَّكُمْ عَائِدُونَ (15) يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرَىٰ إنَّا مُنْتَقِمُونَ (16))

تخيل المشهد الآن: الدخان المبين قد كشف عنهم استجابة لدعائهم، ليكون هذا الكشف هو الاختبار الأخير. إنها آيتان تحملان في طياتهما قانوناً إلهياً: الإمهال لا يعني الإهمال، وتأخر العقاب ليس دليلاً على العفو، بل ربما كان مقدمة لعقاب أشد.

أولاً: تحليل أجزاء الآيتين وربطها بالسياق

نحن أمام مرحلتين في مشهد واحد: مرحلة الإمهال والاختبار، ثم مرحلة العقاب النهائي. لنغص في كل مقطع لنرى صورتنا فيه.

الأمر الأول: تحليل قوله تعالى (إنَّا كاشِفُو العَذَابِ قَلِيلًا)

.١ما معنى) كاشِفُو العَذَابِ (وما دلالة نسب الكشف إلى الله؟
بعد أن صرخوا (رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا العَذَابَ)، جاء الرد مباشرة: "إنا كاشفو العذاب". نعم، سيُكشف عنهم. لكن لاحظ من هو الفاعل! إنه الله "إنا" بصيغة العظمة. هذا يعني أن كشف العذاب ليس لأنهم يستحقون، ولا لأن إيمانهم المتأخر صادق، بل هو فعل إلهي خالص، لحكمة يعلمها. إنه كشف للإمهال والابتلاء، لا للإكرام والنجاة.

· الرسالة النفسية: أن تشعر بأن كل راحة تأتيك بعد شدة هي من الله وحده. لا تغتر بذكائك أو قوتك، بل قل: "اللهم أنت كاشف الضر". هذا الشعور بالفقر إلى كشف الله يملأ القلب توكلاً وخضوعاً.
· الرسالة العقلية: أن تدرك قانون "الاستدراج". كشف العذاب ليس دائماً علامة رضا! قد يكون مقدمة لعذاب أكبر. العقل الحكيم يفرق بين دفع النقمة وبين رفعها؛ فدفعها قد يكون مؤقتاً، أما رفعها فهو نهائي. هنا الكشف مؤقت، وهو أشد خطراً.
· الرسالة التربوية: أن تعلم أن إمهال الله للعاصي ليس دليلاً على رضاه. كم من إنسان يغتر بإمهال الله له ويظن أنه على خير! هذه الآية تربي فيك الخوف الدائم من عاقبة الذنب، حتى لو تأخرت عقوبته.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: إمهال الله للظالمين والعاصين ليس رضا، بل قد يكون استدراجاً.
· المثال التقريبي: طبيب يعالج مريضاً مدخناً، فأصيب المريض بنوبة اختناق حادة (دخان مبين). أعطاه الطبيب دواءً مسكناً (كشف العذاب قليلاً) ليس لأنه شفي، بل ليمنحه فرصة أخيرة. لكن

الطبيب يعلم أن المريض سيعود للتدخين، وحينها ستكون النوبة القاتلة. كشف الألم المؤقت هو اختبار ، وليس علاجاً.
· المثال التقريبي الثاني: أب حنون رأى ابنه يلعب بآلة حادة، فأخذها منه وعاقبه. بكى الطفل وقال: "أعدها لي ولن أعود للعب بها". أعادها الأب ليرى صدقه (كشف العذاب قليلا ً). لكن الطفل عاد للعب (إنكم عائدون). حينها سيكون العقاب النهائي.

.٢ما دلالة كلمة) قلِيلًا (هنا؟
كلمة "قليلا ً" هي المفتاح الخطير في هذه الآية. القلة هنا تحتمل معنيين وكلاهما مرعب: قلة في المدة، أي أن كشف العذاب مؤقت لفترة قصيرة. أو قلة في النوع، أي أن العذاب المكشوف ليس هو العذاب الأكبر، بل هو مجرد عينة تحذيرية. الدنيا كلها قليلة، فمهما طال الأمد فيها فهو قليل. هذه الكلمة تجعلك تعيش قلقاً إيجابياً، وتعلم أن زمن الإمهال قصير جداً، وأن البطشة الكبرى قادمة.

· الرسالة النفسية: أن تستثمر لحظات الراحة والفرج. كل فرج يأتيك هو "قليل" مقارنة بما قد يأتي. هذا يدفعك للشكر والعمل، لا للغفلة والركون للدنيا.
· الرسالة العقلية: أن تدرك أن كل متاع الدنيا مؤقت. الصحة، الشباب، الفرج بعد الشدة، كله "قليل". العاقل لا يركن إليه، بل يعمل لما هو دائم.
· الرسالة التربوية: تربية النفس على ألا تغتر بفترات الراحة والرخاء. الفترات الصعبة تأتي لتذكرنا، ثم تأتي فترات السكون، وهنا تكون التربية الحقيقية: هل سنظل على العهد؟ أم سنعود لما كنا عليه؟

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: كل فرج في الدنيا هو "قليل" ونعمة مؤقتة، فلا ينبغي الاغترار بها.
· المثال التقريبي: مسافر في طريق جبلي وعر، هبت عاصفة ترابية حجبت الرؤية تماماً (دخان مبين). توقف ورجا الله أن تنكشف. انكشفت العاصفة قليلا ً (كشف العذاب قليلا ً) بما يكفي ليرى الطريق لمسافة قصيرة. هذا الكشف القليل هو فرصة ليواصل السير بحذر ويصل لبر الأمان. لكن إن ظن أن الخطر زال واسترخى، فإن العاصفة ستعود أشد، أو سيسقط في الهاوية.
· المثال التقريبي الثاني: مذنب حكم عليه بالإعدام، خفف الحكم مؤقتاً للمراقبة (قليلا ً). هذا التخفيف ليس عفواً، بل هو اختبار. فإن صلح، عفي عنه، وإن عاد لجرمه، نفذ الحكم. حياتك كلها فترة "قليل"، والموت هو نهاية هذا القليل.

الأمر الثاني: تحليل قوله تعالى (إنكمْ عَائِدُونَ)

.١ما دلالة وصفهم بأنهم) عَائِدُونَ(؟
هنا يكشف الله علمه الأزلي بحالهم. "عائدون" أي إلى كفركم، إلى شككم، إلى لعبكم. هذه الجملة القصيرة هي تشخيص دقيق للطبيعة البشرية المريضة: الإنسان ينسى سريعاً، ويعود لطبعه بعد زوال الخطر. لقد صرخوا "إنا مؤمنون" حين رأوا الدخان، لكن الله يعلم أن هذا الإيمان سطحي مؤقت، سيزول بزوال المؤثر. إنهم سيعودون إلى اللعب فور أن ينكشف العذاب قليلا ً.

· الرسالة النفسية: أن تراجع قلبك. هل أنت من "العائدين"؟ كم مرة تبت ثم عدت؟ كم مرة دعوت عند الشدة ثم نسيت عند الرخاء؟ هذه الآية مرآة لنفسك، تجعلك تخاف من هذه الصفة، وتجاهد لئلا تكون من أهلها.
· الرسالة العقلية: إنذار من خطورة "إيمان الشدة". الإيمان الذي يأتي مع المصيبة ويذهب معها ليس إيماناً حقيقياً. الإيمان الحقيقي هو الذي يصمد في السراء والضراء. الله لا يخدع بالمظاهر المؤقتة.
· الرسالة التربوية: أن تربي نفسك على الثبات. لا تكن كالذي ينكسر عند الشدة فيلجأ لله، فإذا انكشفت الشدة نسي! هذه هي التربية بالابتلاءات؛ أن تثبت ولا تعود. إنها دعوة لتربية الجيل على الوفاء بالعهد مع الله.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الإنسان بطبعه ينسى وينكث العهد، والمؤمن الحق هو من يثبت.
· المثال التقريبي: قبطان سفينة هاجمته عاصفة كادت تغرقه. نذر لله إن نجاه أن يتوب ويصلح. هدأت العاصفة (كشف العذاب قليلا ً)، فعاد إلى لهوه وشربه ونسي نذره (إنكم عائدون). هكذا يفعل الكثيرون. المصيبة توقظ، والرخاء يغفل.

· المثال التقريبي الثاني: طالب رسب في الامتحان، فاجتهد وبكى وتعهد بالمذاكرة. أعطاه معلمه فرصة إضافية (قليلا ً) للنجاح. بمجرد أن شعر بالأمان، عاد إلى اللعب والإهمال (إنكم عائدون). هذا هو نموذج النفس البشرية التي لم تتربَ على المسؤولية الحقيقية.

الأمر الثالث: تحليل قوله تعالى (يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرَى)

.١ما هو) يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرَى(؟
بعد الحديث عن الكشف القليل والعودة للكفر، يأتي الوعيد باليوم الأعظم. "البطشة" مأخوذة من البطش، وهو الأخذ بالقوة والعنف والشدة. و"الكبرى" أي العظمى التي لا بطشة بعدها ولا أعظم منها. إنه يوم القيامة، يوم الحساب، يوم تتحقق فيه العدالة المطلقة. قيل إن "البطشة الكبرى" هي يوم بدر بالنسبة لمشركي قريش، ولكن العبرة بعموم اللفظ، فكل بطشة في الدنيا هي مصغرة عن بطشة الآ خرة.

· الرسالة النفسية: أن تشعر بهول هذا اليوم. استحضار "يوم نبطش" يملأ القلب خوفاً وخشية. هذا الخوف ليس سلبياً، بل هو طاقة تدفعك لتجنب أسباب هذه البطشة. إنه وقود العمل الصالح.
· الرسالة العقلية: أن تفرق بين بطش الدنيا وبطش الآخرة. بطش الدنيا محدود ومؤقت (قليل)، أما بطش الآخرة فهو مطلق وأبدي. العقل الحكيم يحسب هذه المقارنة ويعمل للنجاة من البطشة الكبرى.
· الرسالة التربوية: أن تربي الناس على أن هناك "بطشة كبرى" تنتظر كل ظالم ومستكبر. هذا يعطي عزاء للمظلومين، وردعاً للظالمين. إنها غرس لعقيدة العدالة الإلهية التي تطمئن القلوب.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: يوم القيامة هو البطشة الكبرى التي لا ينجو منها أحد إلا بالإيمان والعمل الصالح.
· المثال التقريبي: أب يهدد ابنه المشاغب ويقول: "احذر، فسيأتي يوم أحاسبك فيه حساباً عسيراً لم تفعل فيه واجباتك". هذا اليوم هو يوم الامتحان النهائي. هو "البطشة الكبرى" التي لا مجال فيها للتراجع أو الدعاء ليكشف العذاب قليلا ً.
· المثال التقريبي الثاني: موظف فاسد يسرق ويختلس، ويماطل في محاكمته لأنه يعيش في (كشف العذاب قليلا ً). لكنه حينما يعلم أن هناك محكمة عليا (البطشة الكبرى) لا يفلت منها أحد، وفيها سيسقط كل تزوير وتدليس. لابد أن يفكر فى هذه النهاية قبل الفعل

الأمر الرابع: تحليل قوله تعالى (إنّا مُنْتَقِمُونَ)

.١ما دلالة ختم الآية بـ) إنّا مُنْتَقِمُونَ(؟
إذا كان "البطشة الكبرى" هو اسم الحدث، فإن "إنا منتقمون" هو الإعلان عن صفة الفاعل الدائمة. الا نتقام هنا ليس تشفياً، بل هو العدل الإلهي المطلق، وإعادة الحق لأصحابه. إنه إعلان أن الله لا يظلم أحداً، وأن كل من ظلم أو كفر فسينال جزاءه. "إنا منتقمون" بصيغة الجمع للعظمة، وبصيغة اسم الفاعل (منتقمون) تدل على الثبات والاستمرار، أي أن صفة الانتقام من المجرمين هي من صفاته سبحانه.

· الرسالة النفسية: أن تشعر بالطمأنينة والثأر للمظلومين. إذا قتل الأبرياء، وظلم الضعفاء، وخرج الطغاة بلا عقاب في الدنيا، فاعلم أن "إنا منتقمون" ستتحقق في البطشة الكبرى. هذا يعطي راحة نفسية عظيمة.
· الرسالة العقلية: أن تدرك أن لهذا الكون إلهاً عادلا ً. انتقام الله هو ضمانة بقاء المجتمع، لأنه لولا العقاب الإلهي لشاع الفساد. العلم بوجود يوم للانتقام هو رادع أخلاقي هائل للعقول.
· الرسالة التربوية: تربية النفس على كراهية الظلم، وعلى عدم الخوف من الطغاة. الظالم مهما طال ظلمه، فإن الله منتقم. هذه التربية تجعل الإنسان يقف مع الحق بثبات.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: العدالة الإلهية حتمية، والانتقام من الظالمين آتٍ لا محالة.
· المثال التقريبي: شاهد الجميع مجرماً كبيراً يفلت من أحكام القضاء في الدنيا، ويتبختر في نعمه.

لكن وراء الكواليس، المدعي العام الأعلى (الله) يقول: "إنا منتقمون"، وقد أعد له بطشة كبرى لا محامي فيها ولا قاض غيره. هذا هو العزاء الحقيقي.
· المثال التقريبي الثاني: مباراة رياضية يلعب فيها فريقان، أحدهما يغش ويعتدي باستمرار، لكن الحكم الميداني لا يراه أو يتغاضى عنه. الجمهور غاضب. لكن هناك لجنة عليا (يوم القيامة) تراقب وتقول: "نحن سنعاقب (منتقمون) بعد نهاية المباراة، وسيعرف الجميع النتيجة الحقيقية".

ثانياً: المفاهيم والقيم وأبعاد الآية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

المحور الأول: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآيتين

· المفهوم التربوي: التربية على هشاشة العهد البشري وضرورة الثبات. الآيات تربي فيك دروساً من عودة الكفار لكفرهم. إنها تعلمك أن تربي نفسك على عدم الاغترار بلحظات الصحوة العاطفية، وبناء التزام دائم.
· المفهوم النفسي: سيكولوجية الخوف من "القليل". الإحساس بأن الوقت "قليل" هو المحرك الأكبر للإنجاز. عندما تشعر أن فترة الاختبار قصيرة، يزيد تركيزك. هذه الآية هي من أقوى المحفزات النفسية لإدارة الوقت.
· المفهوم الفكري: قانون "الإمهال". الآيات تؤسس لفكرة قانونية إلهية: الجريمة تستوجب العقاب، الإمهال ليس إلغاء.

المحور الثاني: أبعاد الآية وآفاقها نفسياً وفكرياً وعقائدياً

· البعد العقائدي: الجمع بين صفتي الحلم والانتقام لله. الله حليم يمهل (كاشفو العذاب قليلا ً)، لكنه أيضاً منتقم (إنا منتقمون). هذا يعطيك صورة متوازنة عن الله، فتحبه وترجوه، وتخافه وتخشاه.
· الأفق الفكري: التاريخ يتحرك نحو "البطشة الكبرى". كل ظلم في التاريخ له نهاية، وكل طاغية له يوم. هذه النظرة الفكرية للتاريخ تمنح الأمل.
· البعد النفسي: إحياء مبدأ "ما بعد الظلم إلا العدل". هذه الآية هي سلوى لكل مظلوم، وترياق لليأس.

المحور الثالث: القيم المستنبطة من الآيتين

· قيمة الوفاء بالعهد.
· قيمة عدم الاغترار بالفرج المؤقت.
· قيمة الإيمان بالعدالة الإلهية.

المحور الرابع: مفاهيم البناء والتنمية في الآيتين

· بناء مجتمع يخشى "البطشة". هذا هو أساس الأخلاق الاجتماعية.
· تنمية الشعور بمراقبة الوقت. "قليلا ً" هي صفعة للمسوّفين.

المحور الخامس: تحويل المفاهيم إلى طاقة

· على مستوى الإنسان: حول "إِنَّكُمْ عَائِدُونَ" إلى سؤال يومي: "هل عدت إلى ذنوبي؟". واجعل "يَوْمَ نَبْطِشُ" حافزاً للاستقامة.
· على مستوى المجتمع: مجتمع يؤمن بـ "إِنَّا مُنتَقِمُونَ" سيردع ظلمته تلقائياً.
· على مستوى الحضارة: حضارة تبنى على الإيمان بيوم العدالة الكبرى.

ثالثاً: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآيات وكيف نطبقها في واقعنا

المحور الأول: إلى ما تدعونا إليه الآيات؟

· تدعوك للثبات: لا تكن ممن يعود لغفلته بعد الشدة.
· تدعوك لاستثمار زمن الإمهال: "قليلا ً" تعني أن وقتك قصير.
· تدعوك للإيمان بالعدالة الإلهية: لا تحزن على ظلم الظالمين.

المحور الثاني: كيف نطبق هذه الآيات؟ وماذا نتعلم منها في حياتنا العملية؟

.1تطبيق "إِنَّا كَاشِفُو العَذَابِ قَلِيلًا":
· إذا أصابتك شدة، فاعلم أنها فرصة للرجوع. وإذا انكشفت، فتذكر أنها "قليلا ً" وأن عليك ألا تغتر.
· في الرخاء، قل لنفسك: "هذا هو الكشف القليل، فكيف سأستغله؟".
.2تطبيق "إِنَّكُمْ عَائِدُونَ":
· حلل توباتك السابقة. هل كنت ممن يعود؟ ضع خطة للثبات هذه المرة، كالرفقة الصالحة، تغيير البيئة.
.3تطبيق "يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرَى":
· إذا رأيتَ ظلماً عظيماً يملأ الدنيا، قل: "البطشة الكبرى هي الفصل". هذا يمنع اليأس من نفسك.
.4تطبيق "إِنَّا مُنْتَقِمُونَ":
· عفوك عمن ظلمك ليس ضعفاً، بل هو تفويض لله "المنتقم". اعفُ وقل: "حسبي الله، إنه هو المنتقم".

ختاماً، هاتان الآيتان هما تلخيص لمعركة الخير والشر، ولطبيعة النفس البشرية. إنهما تقدمان نموذجاً عن الغافلين، الذين يعيشون على إمهال الله، يظنون أن الدنيا قد صفت لهم. والحقيقة أن ما هم فيه هو "قليل" زائل، وأن العودة إلى الغفلة هي طبعهم، وأن المصير المحتوم هو "بطشة كبرى" لا مرد لها، لأن الله "منتقم" لا يفلت من عدله أحد.
.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع الثاني

المبحث الاول

ها نحن في رحلة جديدة مع سورة الدخان، وقد وقفنا في الآيات السابقة على مشهد "البطشة الكبرى" و"الانتقام" الإلهي من المكذبين .وكأن السؤال يتبادر إلى ذهنك الآن: "هل هذا وعيد جديد؟ أم أن لهذا سوابق في التاريخ؟" .من هنا تأتي هذه الآية لتفتح لك مختبر التاريخ، وتجيبك عن سؤالك بنموذج بشري حي، رأى الناس أثاره بأعينهم.

دعنا نقف بتأمل مع هذه الآية الكريمة:
)وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ((17)

إنها الآية التي ستنتقل بك من التنظير إلى التطبيق، ومن الوعيد المجرد إلى مشاهدة النموذج .إنها تفتح أمامك سجلات التاريخ لتقول لك: "انظر في ما حدث لفرعون وقومه، واختر لنفسك مثلا ً ترى به نهايتك في هذه الحياة".

أولا ً: تحليل أجزاء الآية وربطها بالسياق

لقد أنهينا الآية السابقة بقوله تعالى:) إِنَّا مُنتَقِمُونَ (في مشهد "البطشة الكبرى" .والآن، يأتي هذا القسَم الإلهي ب) وَلَقَدْ (ليؤكد لك أن هذه ليست المرة الأولى التي تقع فيها هذه السنة .فالتاريخ يعيد نفسه ، وسنة الله ثابتة لا تتبدل.

الأمر الأول: تحليل قوله تعالى) وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ(

.١ما معنى) فَتَنَّا (هنا؟ وما دلالة مجيئها بصيغة المتكلم؟
"فتنّا" من الابتلاء والاختبار والامتحان .الأصل اللغوي لكلمة "الفتنة" مأخوذ من "فتن الذهب والفضة"، أي أدخلهما في النار ليظهر الخالص من الزيف .فالله سبحانه وتعالى يبتلي عباده ليمتحنهم، وليميز الخبيث من الطيب، وليظهر معادنهم الحقيقية .مجيء الفعل بصيغة المتكلم "فتنّا" يضفي على المشهد هيبة وجلالا ً، فهو ابتلاء صادر عن العليم الحكيم .ليست الفتنة هنا والتسلط والقوة التي أعطيت لفرعون وقومه دليل كرامة ومحبة، بل هي "أداة فحص" تهيئ للحساب.

· الرسالة النفسية: أن تغير نظرتك تماما للمال والجاه والسلطان والقوة .حين ترى عظمة فرعون وملكه لا تنبهر، بل تدرك فورا أنها "فتنة" وامتحان .هذا يريحك من عقدة النقص أمام أهل الدنيا، ومن الحسد على ما عندهم.
· الرسالة العقلية: أن تدرك قانون "الامتحان بالخير والشر" .الابتلاء لا يكون بالفقر والمرض فقط، بل إن الابتلاء بالغنى والقوة أشد وأخطر .العقل الحكيم يفهم أن كل نعمة هي تكليف، وأن كل زيادة هي مسؤولية.
· الرسالة التربوية: أن تربي نفسك وأبناءك على ثنائية "النعمة مسؤولية" .لا تقل لابنك: "الله أعطاك ما لا ً لأنه يحبك" فقط، بل أضف: "وهذا المال فتنة وامتحان، فانظر كيف تتصرف فيه!" .هذا يبني شخصية تحسن استعمال النعم لا أن تبطر بها.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: المال والجاه والسلطان والقوة هي فتنة وامتحان من الله، يترتب عليها حقوق وواجبات . فمن شكر وصبر نجا، ومن بطر وكفر هلك.
· المثال التقريبي: مدير شركة أعطى موظفين اثنين كل واحد منهما سيارة فخمة ومكتبا كبيرا . أحدهما فهم أنها وسيلة لخدمة العملاء أكثر، فاجتهد .والآخر اغتر بها وظن أنه صار أفضل من زملائه، فتكاسل وتكبر .المدير يمتحنهما .السيارة والمكتب هما "الفتنة"، وسيأتي يوم الحساب ليُعرف من نجح ومن سقط.
· المثال التقريبي الثاني: أستاذ أعطى طالبا قلما ذهبيا ليكتب به الامتحان .الطالب إما أن يستعمله للكتابة فينجح، أو ينشغل ببريقه فيضيع الوقت ويفشل .القلم فتنة .نعم الدنيا هي القلم الذهبي، فهل تستعمله لتنجح في الاختبار الأكبر؟

.٢ما أهمية قراءة التاريخ وأخذ العبر مما حل بالأولين؟
قوله) فَتَنَّا قَبْلَهُمْ (هو دعوة صريحة لقراءة التاريخ .لماذا؟ لأن علم التاريخ هو "مختبر السنن" .في الكيمياء، تجري التجربة في المختبر لترى النتيجة .الله يجعل قصص الأولين هي المختبر المفتوح

أمامك، ترى فيه كيف تتعامل النفوس مع "الفتنة"، وكيف تكون نهايتها .من يقرأ التاريخ قراءة واعية يصل إلى علم اليقين .فعندما ترى بأم عينيك) عبر القصص (كيف أهلك الله أقواماً، يتحول الخبر اليقيني إلى علم يقيني راسخ في قلبك، فلا تعود مجرد "سمعنا"، بل تصبح "رأينا وعلمنا".

· الرسالة النفسية: أن تخرج من وهم "نحن مختلفون" .الشيطان يوسوس لك: "هذا الزمن غير، و الظروف غير" .آية "وَلَقدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ" تجعلك ترى أن الطبيعة البشرية واحدة، والسنن واحدة .هذا يمنحك شعوراً بالحذر الدائم.
· الرسالة العقلية: أن تتعامل مع التاريخ كعلم له قوانين، لا كحكايات للتسلية ."فتنّا قبلهم" تعني أن هناك قوانين تحكم صعود الأمم وسقوطها .العاقل يدرس هذه القوانين ليسير على هديها.
· الرسالة التربوية: أن تربط الأبناء بالقرآن كمصدر للتاريخ الحقيقي، وأن تعلمهم قراءة الأحداث الجارية على ضوء ما قصه الله في كتابه.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: التاريخ هو مختبر السنن الإلهية، يريك نتائج الامتحانات البشرية لتصل إلى علم اليقين.
· المثال التقريبي: جنرال في الجيش، قبل أن يخوض معركة، يدرس كل معارك الماضي .لماذا؟ لأن التكتيكات قد تتغير، لكن مبادئ الحرب ثابتة .من يعرف كيف انتصر السابقون ولماذا هُزم آخرون، يصل إلى يقين في خططه ."وَلَقدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ" هي دعوتك لدراسة "معارك الروح" في التاريخ، لترى كيف ينتصر المؤمنون وكيف يخسر المكذبون.
· المثال التقريبي الثاني: طبيب شاب قبل أن يجري عملية جراحية، يراجع ملفات مرضى سابقين أجريت لهم نفس العملية .هذه الملفات هي "قبلهم" .يرى فيها المضاعفات التي حدثت، والأخطاء التي وقعت، فيتجنبها .قصص القرآن هي ملفاتك الطبية الروحية.

الأمر الثاني: تحليل قوله تعالى) قَوْمَ فِرْعَوْنَ(

.١لماذا خص الله "قوم فرعون" بالذكر هنا؟
اختيار "قوم فرعون" نموذجاً ليس عشوائياً .هم يمثلون قمة الابتلاء بالقوة والسلطة والرفاهية .لقد كانوا سادة العالم في زمانهم، يملكون الأنهار والقصور والجنود .إنهم النموذج الأبرز لمن يغترون بالمادة وينكرون الآخرة .هم صورة مطابقة لحال الكفار في مكة، وصورة مطابقة لكل من يغتر بالحضارة المادية في كل زمان.

· الرسالة النفسية: أن تعرف أن لا أحد فوق الامتحان .فرعون الذي قال "أنا ربكم الأعلى"، والذي عبدته الملايين، لم ينجُ .فكيف بمن هو دونه؟ هذا يزرع في قلبك التواضع والخوف من سوء الخاتمة.
· الرسالة العقلية: أن تدرك أن "الفرعونية" نموذج متكرر .في كل عصر طغاة يظنون أنهم لا يُقهَرون، وفي كل عصر يتحقق فيهم قانون "فأخذه الله" .إنها ليست مجرد قصة، بل هي "نموذج" يلبس ثياباً مختلفة.
· الرسالة التربوية: أن تجعل من "نموذج فرعون" درساً عملياً .قل لنفسك ولأبنائك: "كيف تسقط الأمم؟ " .ببطر النعمة، والاستكبار على الحق، وتكذيب الرسل .هذه هي خلاصة الامتحان التي رسب فيها فرعون وقومه.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: قصة فرعون هي النموذج الأكبر لمن سقط في امتحان القوة والغنى، وهي سنة تتكرر في كل زمان.
· المثال التقريبي: مثل لاعب كرة قدم مشهور، كان في قمة مجده، فاغتر ورفض تعليمات المدرب واستهان بالخصوم، فهُزم شر هزيمة .كلاعبين جدد، أنت تنظر إلى قصته لتتعلم .إنها "قبلهم" .وكذلك فرعون، هو مثال المهزوم الأكبر الذي سقط في امتحان العظمة.
· المثال التقريبي الثاني: كرجل أعمال بنى إمبراطورية عظيمة، ثم بدأ يغش ويرتشي ولا يعطي العمال حقوقهم ويظلمهم .فجأة انهارت إمبراطوريته وسُجن .قصته تدرس في كليات الاقتصاد .إمبراطورية فرعون وقصته تدرس في كتاب الله لتكون عبرة لكل من يبني مجداً على الظلم والكفر.

الأمر الثالث: تحليل قوله تعالى) وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ(

.١ما دلالة وصف الرسول بأنه) كَرِيمٌ(؟
بعد أن أخبرنا عن الفتنة، يخبرنا أن الله لم يتركهم لها، بل أرسل إليهم رسولا ً كريماً، هو موسى

عليه السلام .وصفه بـ "كريم" يزيد الأمر تفظيعاً وجريمتهم تضخماً .فالمرسَل ليس شخصاً عادياً، بل هو ذو مكانة عالية، كريم على ربه، شريف في قومه، عزيز الجانب .لقد جاءهم خير البشر في زمانهم وأكرمهم، فرفضوه! هذا يؤكد أنهم لم يرفضوا رسولا ً غامضاً أو سيء السمعة، بل رفضوا "الكريم" . فكانت جريمتهم أعظم، وسقوطهم أعظم.

· الرسالة النفسية: أن تشعر بعمق العناية الإلهية .الله لا يبتلي أمة إلا أرسل لها أكرم خلقه وأعلاهم ليبين لها .هذا يملأ قلبك محبة للرسل وتقديراً لهم.
· الرسالة العقلية: أن تزن الأمور بميزان صحيح .رفضهم لـ "رسول كريم" يفسر لك شدة العقوبة .كلما كان الداعي إلى الحق أوضح وأكرم، كانت جريمة رفضه أكبر .هذه معادلة عقلية دقيقة.
· الرسالة التربوية: أن تحترم كل من يحمل إليك رسالة الخير .وعندما تبين الحق لأحدهم، فليكن أسلوبك "كريماً"، حسناً، شفوقاً.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: عظم العقوبة مرده إلى عظم الجريمة بعد وضوح الحجة، والمتمثل هنا في رفض "رسول كريم".
· المثال التقريبي: ملك أرسل إلى مدينة عاصية ابنه الحبيب) رسول كريم (ليصلح بينهم .أهانوه وطردوه! عقاب هؤلاء سيكون مضاعفاً جداً .موسى عليه السلام هو كليم الله، نجيبه، ومع ذلك كذبوه.
· المثال التقريبي الثاني: شركة عالمية أرسلت أفضل خبير لديها، بكل احترام وتقدير) كريم(، ليصلح خط إنتاج شركة أخرى متعثرة .لكنهم قابله بالصد والاستهزاء .هذا الرفض ليس كرفض أي موظف، بل هو إهانة للخبير وللشركة الأم معاً.

ثانياً: المفاهيم والقيم وأبعاد الآية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

المحور الأول: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية

· المفهوم التربوي: التربية على أن النعم استدراج وامتحان .التربية هنا تتجاوز الشكر الظاهري إلى البناء النفسي العميق .كلما زادت النعم، زاد الخوف من الفشل في الامتحان.
· المفهوم النفسي: "رؤية النفس في مرآة التاريخ" ."فتنا قبلهم" تجعلك تفكر في نفسك .أنت الآن في مختبر التاريخ، وعليك أن تختار: هل ستكون مثل موسى فتشكر وتصبر؟ أم مثل فرعون فتبطر وتكفر ؟
· المفهوم الفكري: سننية التاريخ .الآية تؤسس عقيدة أن التاريخ ليس فوضى، بل محكوم بقوانين . "فتنة" + "رسول" + تكذيب = عقاب .هذه معادلة ثابتة.

المحور الثاني: أبعاد الآية وآفاقها نفسياً وفكرياً وعقائدياً

· البعد العقائدي: وحدانية الله عبر الزمان .الله الذي فتن قوم فرعون هو نفسه الذي فتن قريشاً، وهو الذي يفتننا اليوم .الرب واحد، والسنن واحدة.
· الأفق الفكري: التفكر في طبيعة السلطة وعلاقتها بالإفساد .القوة والمال) سلطة فرعون (تؤدي غالباً إلى الطغيان .الآية تحفز العقل على دراسة كيف يفسد المطلق.
· البعد النفسي: إزالة الرهبة من الظالم .رؤية نهاية فرعون تجعلك تتعامل مع طغاة اليوم على أنهم جيف في طريق الزمن، فتهون هيبتهم.

المحور الثالث: القيم المستنبطة من الآية

· قيمة الاعتبار: الاتعاظ بالآخرين.
· قيمة الشكر: فهم النعمة كمسؤولية.
· قيمة التواضع: حتى أعظم الملوك مُسْتَخْلَف ومُمْتَحَن.
· قيمة الصبر على الحق: مهما بدا الطغاة أقوياء.

المحور الرابع: مفاهيم البناء والتنمية في الآية

· بناء إنسان يقرأ التاريخ بعين الناقد: لا يتبنى السرديات.
· تنمية الوعي بالسنن: مجتمع يعرف كيف تسقط الحضارات، فهو مجتمع يمتلك مناعة ضد السقوط.

المحور الخامس: تحويل المفاهيم إلى طاقة

· على مستوى الإنسان: حوّل قراءتك لقصص القرآن إلى وقود .أنت الذي ستواجه فراعنة بتجاربك الشخصية.
· على مستوى المجتمع: مجتمع يدرس سقوط الحضارات السابقة، يخطط حضارته على الصخر لا الرمل.

ثالثاً: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآية وكيف نطبقها في واقعنا

المحور الأول: إلى ما تدعونا إليه الآية؟

· تدعوك لقراءة التاريخ كسنة: لا للتسلية، بل لترى موقعك.
· تدعوك لنظر النفس في مرآة فرعون: هل فيك خصلة منه؟
· تدعوك لاستقبال رسل الهدى بالاحترام: لا تكن مثل قومه.

المحور الثاني: كيف نطبق هذه الآية؟ وماذا نتعلم منها في حياتنا العملية؟

1.تطبيق "فتنّا": عند حصولك على نعمة جديدة كوظيفة، وسيلة عيش، مركز، توقف وقل: "اللّهم هذه فتنة، فثبتني" .واكتب الحقوق المترتبة عليها.
2.تطبيق "قبلهم": اجعل من سقوط الحضارات السابقة) مادياً وأخلاقياً (مادة للتفكر .واسأل نفسك: أين نحن من هذه السنن؟
3.تطبيق "قوم فرعون": إذا شعرت بالغرور يومًا، تذكر فرعون .قل لنفسك: "حجمي الحقيقي هو نفسي ، لا مالي ولا منصبي ."
4.تطبيق "رسول كريم": احترم من ينصحك .لا تنظر إلى الناصح نظرة دونية.

ختاماً، تخيل نفسك وحيداً بين الأمم الأولى .هل ترى فرعون؟ هل ترى جنوده وقصوره؟ هل انبهرت به؟ أم نظرت إليه كجثة هامدة في مختبر التاريخ؟ أنت الآن تختار .ستكون نهايتك كفرعون إن سرت على دربه، أو كموسى إن اتبعت رسوله .فاختر لنفسك مثلا ً ترى به نهايتك في هذه الحياة.

المبحث الثانى

ماهى مضمون وأساليب الدعوه التى حملها موسى

اولا

نحن نقف الآن أمام إحدى اللحظات الفارقة في تاريخ الصراع بين الحق والباطل. بعد أن رسمت الآية السابقة المشهد العام: (وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ) ، ننتقل الآن إلى قلب الحدث، لنسمع بأذاننا الكلمات الأولى التي نطق بها رسول الله الكريم موسى عليه السلام في بلاط فرعون. هذه الآية ليست مجرد خبر، بل هي إعلان دستور، ودعوة مشاهدة يمكننا أن نتعلم منها أسلوب الدعوة ومواجهة الطغاة.

دعنا نقف بخشوع وتأمل مع هذه الآية الكريمة:
(أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (18))

تخيّل الموقف: موسى عليه السلام، الرجل الذي ربّي في قصر فرعون، يقف الآن أمام الطاغية الذي ادّعى الربوبية، وينطق بهذه الكلمات الواضحة القوية التي لا تحتمل التأويل. إنه يفتح ملف الحرية، ويعلن الثورة على العبودية، ويقدم أوراق اعتماده كرسول.

أولا ً: تحليل أجزاء الآية وربطها بالسياق

نحن هنا أمام مشهدين متكاملين في جملة واحدة: طلب تسليم العباد لله، وإعلان صفة الرسول وأمانته. لنغص في كل كلمة من هذه الآية لنرى كيف تبني فينا عقيدة التحرر والمسؤولية.

الأمر الأول: تحليل قوله تعالى (أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ)

1.ما معنى) أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ (وما هو الأسلوب البلاغي فيها؟
"أن" هنا تفسيرية، أي أن جوهر رسالته ومضمونها ينحصر في هذا الأمر العظيم:) أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ. ("أدوا" فعل أمر من "الأداء"، وهو التسليم الكامل والإعطاء التام للشيء .إنه ليس طلباً ولا استعطافاً و لا تفاوضاً، بل هو أمر إلهي صريح قاطع، ينزل على رأس فرعون كالصاعقة: سلِّم، أطلق، اترك .إنه إع

لان أن الزمن الذي كنتم فيه تستعبدون الناس قد انتهى.

· الرسالة النفسية: أن تشعر بقوة الحق .الحق لا يتوسل، بل يأمر .عندما تكون مع الحق، فأنت تأمر الباطل أن يزول، لا أن تطلب منه الإذن بالمرور .هذه الكلمة تمنح المؤمن عزة نفسية هائلة، وتجعله ينتصب واقفاً أمام كل طاغية، لأن الأمر ليس أمره هو، بل أمر الله.
· الرسالة العقلية: أن تدرك أن أول خطوة في مشروع الإصلاح هي فكاك المظلومين من قبضة الظالم . لا يمكن أن نتحدث عن إيمان وتوحيد والناس مستعبدون .التحرير الجسدي والنفسي هو أول الطريق . هذه الأولوية تعكس حكمة بالغة في فهم الواقع.
· الرسالة التربوية: أن تربي الجيل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو تكليف، والتكليف يأتي بصيغة طلب جازم، لا بصيغة تردد وضعف .علم أبناءك أن يقولوا للحق: "نعم"، وللباطل: "لا"، بكل وضوح وأدب.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الحق لا يطلب الإذن من الباطل، بل يأمره بالزوال.
· المثال التقريبي: شرطي يقف في وجه عصابة مسلحة تحتجز رهائن في بنك .لا يقول لهم: "أرجوكم، إن أمكن، أطلقوا سراح الرهائن!" .بل يقول بصوت جهوري حازم: "ألقوا أسلحتكم وأطلقوا سراح الرهائن فوراً!" .هذا هو الفرق بين الاستخذاء والأمر بالحق .موسى عليه السلام لم يستخذ لفرعون، بل أمره أمراً.
· المثال التقريبي الثاني: طبيب يكتشف ورماً سرطانياً في جسد مريض .لا يقول له: "ربما نفكر في إزالته" .بل يقول: "يجب أن نستأصله فوراً قبل أن يفتك بك!" .الباطل ورم، والحق مشرط الجراح، لا بد من الحسم.

.2لماذا قال) إليّ(؟ وهل كان موسى يطلبهم لنفسه؟
اختيار كلمة (إليّ) هنا في غاية الدقة والبراعة. للوهلة الأولى، قد يظن ظان أن موسى يريد أن ينقل العبودية لنفسه، وأن يستبدل عبودية بعبودية! لكن السياق ينسف هذا الظن. هو قال قبلها: (عِبَادَ اللهِ) . فهو ليس طالباً، بل هو رسول ومُسلِّم ومَنقذ. "إليّ" تعني: "سلموهم إليّ أنا، لأكون مسؤولاً عنهم، ولآخذهم بأمان إلى حيث أمرني ربي، لأخرجهم من سلطانكم إلى رحاب عبادة الله وحده". إنه يعلن أنه القائد المكلف بفكاكهم، وسيتحمل هو نفسه تبعات هذه المسؤولية الجسيمة.

· الرسالة النفسية: أن تشعر بأمانة القيادة .موسى هنا يتحمل المسؤولية كاملة أمام الله وأمام الناس . لم يقل: "اذهبوا أنتم"، بل قال: "سلموهم إليّ، فأنا على استعداد لتحمّلهم" .هذا يجعلك تثق بقادة الإصلاح الذين يقدمون أنفسهم لا الذين يدفعون غيرهم.
· الرسالة العقلية: التمييز بين "القيادة الربانية" و"القيادة الطاغوتية" .فرعون يقود الناس ليخدمهم، وموسى يقود الناس ليخدمهم ويحميهم .القائد الحق هو الذي يقول لأهل الباطل: "سلموهم إليّ لأتحمل مسؤوليتهم".
· الرسالة التربوية: أن تعلم أن من يريد أن يكون قائداً أو داعية أو مربياً، عليه أن يبدأ بتحمل مسؤولية من يهديهم، لا أن يتركهم بعد أن ينقذهم .كن كالطبيب الذي يستقبل المريض ويبقى معه حتى يشفى.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الداعية الحقيقي هو من يتحمل مسؤولية من يخرجهم من الضلال.
· المثال التقريبي: منظمة إنسانية أرسلت منقذاً إلى منطقة حرب .رأى أطفالاً مشردين تحت حكم زعيم ميليشيا ظالم يستخدمهم في التسول .وقف المنقذ أمام الزعيم وقال: "سلمني هؤلاء الأطفال إليّ ، سأكون أنا المسؤول عنهم، وسأوصلهم إلى المخيم الآمن، وسأطعمهم وأعلمهم" .هذه هي رسالة "أدّوا إليّ"، مسؤولية كاملة.
· المثال التقريبي الثاني: معلم عظيم في مدرسة مليئة بالطلاب المهمشين الذين يعنفهم المجتمع . وقف أمام مدير المدرسة الظالم وقال: "سلمني هؤلاء الطلاب إليّ .أنا أتحمل مسؤوليتهم، سأعلمهم وأربيهم" .هذا هو المعلم الرسالي الذي يفهم معنى "أدوا إليّ".

.3ما دلالة وصفهم ب- عِبَادَ اللهِ(؟ في قمة إعلان الألوهية والربوبية والعبودية
هنا يكمن الدرس الأعظم، وجوهر التوحيد، وإعلان الثورة على كل طاغوت. هؤلاء الناس الذين يستعبدهم فرعون لم يكونوا بقرةً ولا جماداً. هم عباد الله. هذه الكلمة وحدها هي قنبلة في وجه

فرعون نسفت كل ادعاءاته! هو الذي قال: (أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى) ، وقال: (أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي) . يأتي موسى بهذه الكلمة الواحدة ليجيبه: "كذبت! لست ربهم، هم عباد الله، وأنت عبد مثله". إنه إعلان التحرر الحقيقي: لا يمكن لمخلوق أن يستعبد مخلوقاً، لأن العبادة لله وحده. إنها دعوة صارخة للعزة الإلهية: لا تركعوا إل لرب الناس.

· الرسالة النفسية: أن تعيش أنت عزيزاً مرفوع الرأس .أنت يا من تقرأ هذا: أي فرعون في حياتك - سواء كان نظاماً، أو مديراً ظالماً، أو شهوة في قلبك، أو ضعفاً في نفسك- لا يمكنه أن يستعبدك . رقبتك لا تنحني إلا لله، لأنك) عبد الله .(هذه الكلمة تمنحك عزة نفسية تذيب كل خوف من المخلوقين.
· الرسالة العقلية: أن تفهم أن أساس كل ظلم هو نسيان أن الناس "عباد الله" واستعبادهم لأنفسهم أو لأهوائهم أو لأموالهم .فإذا استقر في عقل فرعون أن هؤلاء عباد الله، لانتهى الظلم .هذه الكلمة هي مفتاح العدل الاجتماعي.
· الرسالة التربوية: أن تغرس في الأبناء هذه العقيدة من الصغر .علمهم ألا يخافوا أحداً إلا الله .قل لهم: "أنتم عباد الله، فلا تكونوا عبيداً لأحد من خلقه" .هذه الكلمة تصنع جيلا ً من الأحرار.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: العبودية لله وحده هي التحرر الحقيقي من كل طاغوت.
· المثال التقريبي: إنسان حر وُلد في قريته، فجاءه لص وسلبه حريته وجعله عبداً في أرضه .ثم جاء رسول الحاكم العادل ووقف أمام اللص وقال: "سلم إليّ عبد الملك! هذا الرجل ليس عبداً لك، هو عبد للملك، وأنت لا تملكه" .كلمة "عبد الملك" حررته فوراً! بنو إسرائيل كانوا مسروقين من مملكة الله، وموسى أعادهم إلى مالكهم الحقيقي.
· المثال التقريبي الثاني: موظف في شركة يستضعفه مديره ويرهبه ويسخّره في أمور شخصية ويعامله كعبد لا كموظف .يأتي خطاب من رئيس مجلس الإدارة الأعلى: "هذا موظفي أنا، عاملوه بكرامة" .هذا الخطاب هو "عباد الله" .حين تعلم أن الله هو ربك، يصغر كل رب في الأرض.
· المثال التقريبي الثالث: طفل ضائع أمسك به رجل سيء واستخدمه في التسول .جاء رجل طيب يعرفه وقال للخاطف: "سلمني هذا الطفل، إنه ابن صديقي" .الطفل ليس عبداً للخاطف، هو ابن فلان . بنو إسرائيل هم "عباد الله"، لا عبيد فرعون.

الأمر الثاني: تحليل قوله تعالى (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ)

ننتقل إلى الشق الثاني من الآية، حيث يقدم موسى عليه السلام نفسه، وينفي عن رسالته كل شبهة. بعد الأمر الجازم، يأتي التقديم الرحيم.

.1لماذا قدم موسى وصف) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ(؟
كلمة (رَسُولٌ) بذاتها تعني أنه مجرد مرسال، لا أكثر ولا أقل. وظيفته البلاغ. ولكن لاحظ عاطفة الجملة! قال: (لَكُمْ) . هذه اللام هي لام الاختصاص والنفع. كأنه يقول لفرعون وملئه: "يا من تستعبدون الناس، ويا من تكفرون بالله، أنا رسول لكم، لمصلحتكم أنتم، لخيركم أنتم، لهايتكم أنتم، لإنقاذكم أنتم". إنه يفتح لهم باب الأمل، ويعلن أنه لم يأتِ ليدمرهم فوراً، بل ليهديهم. هذه الكلمة تسقط من يد فرعون كل حجة، فلم يأته موسى بعداوة شخصية، بل برسالة رحمة حتى له هو.

· الرسالة النفسية: أن تتعلم الرحمة حتى مع أعدائك وأنت تدعوهم .الداعية ليس مخرباً، بل هو طبيب يريد الشفاء لمرضاه .هذا يعطيك قلباً نقياً وأنت تواجه المخالفين.
· الرسالة العقلية: أن تدرك أن الحجة تقوم على الناس بهذا الأسلوب .لو قال موسى: "أنا رسول إليكم" ، لربما ظنوا أنه رسول نقمة وانتقام .ولكن كلمة "لكم" جعلتها رسالة رحمة.
· الرسالة التربوية: أن تبدأ دعوتك ونصحك وإرشادك بالكلمة التي تجعل المستمع يشعر بصدق نيتك . علم أبناءك أن يقولوا لمن ينصحونهم: "أنا لكم ناصح، لا أريد إلا مصلحتكم".

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الداعية إلى الله لا يطلب أجراً ولا مصلحة شخصية، بل هو يريد الخير للناس.
· المثال التقريبي: مهندس إنشائي اكتشف أن بناية ضخمة مأهولة بالسكان على وشك الانهيار .وقف في بهو البناية ونادى بأعلى صوته: "يا أهل البناية! أنا مهندس، وقد أرسلوني لكم لإنقاذكم! أخرجوا فوراً!" هو لم يأتِ ليتهمهم، بل لصالحهم .هذا هو "إني لكم رسول".
· المثال التقريبي الثاني: طبيب يذهب إلى قرية ينتشر فيها وباء رفضاً لأخذ الدواء .يقف في وسط

القرية ويقول: "أنا طبيب لكم، جئت من أجل صحتكم، تعالوا اسمعوني" .هذا الأسلوب يذيب الجليد بينه وبينهم.

.2ما دلالة وصف نفسه بأنه) أمِينٌ(؟
هذه هي الكلمة المعجزة والضامنة. (أمِينٌ) هو الشخص الذي لا يخون، ولا يغير، ولا يبدل، ولا يزيد و لا ينقص، ولا يكذب، ولا يطلب مصلحة شخصية من وراء ما يفعل. موسى عليه السلام بهذه الكلمة يبرئ ساحته أمام فرعون من كل تهمة محتملة. كأنه يقول:

· أنا لا أطلب مالا ً ولا سلطة ولا جاها) .أمين(
· أنا لا أزيد في الرسالة ولا أنقص منها) .أمين(
· أنا لن أخدعكم ولن أكذب عليكم) .أمين(
· أنا لا أريد أن أنصب نفسي رباً أو ملكاً، بل أنا رسول فقط) .أمين(

.3كيف ينفي قوله) أمين (كل المصالح الشخصية؟ وحاجتنا اليوم إلى هذا الأسلوب
هذه الآية هي دستور أخلاق الدعاة والمصلحين والقادة. موسى عليه السلام يعلمنا أن أول ما يجب أن تقدمه للناس هو مصداقيتك. هم يعرفونه أصلا ً، لقد تربى بينهم، وهو القائل عن نفسه في آية أخرى: (وَلَهُمْ عَلَيّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ) كان معروفاً بالصدق. واليوم، كم نحن بحاجة إلى هذا المبدأ! كل داعية، كل أب، كل معلم، كل مسؤول، يجب أن يضع لافتة على صدره مكتوب عليها: "إني لكم رسول أمين" ، أي: "والله لا أريد منكم شيئاً، ولا أطلب مصلحتي، أنا فقط أؤدي الأمانة".
هذا الأسلوب هو الترياق ضد ثقافة الشك والتآمر. عندما يطمئن الناس إلى أنك لا تسعى وراء مصلحة شخصية، وأنك لست مرتشياً ولا انتهازياً ولا باحثاً عن شهرة، تصغي لك القلوب قبل الآذان. هو إخراج للنفس البشرية من دائرة الاتهام إلى دائرة الثقة.

· الرسالة النفسية: أن تراجع نيتك قبل كل عمل .كن أميناً مع الله، ثم أميناً مع الناس .الأمانة راحة نفسية لك أولا ً، فأنت لست مضطراً لحفظ الكذب وتلفيق الأعذار.
· الرسالة العقلية: أن تدرك أن أي إصلاح لأي مجتمع يبدأ من "أمانة" المصلحين .أمة يخونها علماؤها وقادتها لا تنهض أبداً.
· الرسالة التربوية: أن تكون أنت قدوة في الأمانة، صغيراً كنت أم كبيراً .الوعد، الكلمة، النصيحة، الأ مانة المادية، كلها داخلة في هذا.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الأمانة هي صمام أمان أي دعوة وأي إصلاح .وهي تعني إخلاص النية ونفي المصلحة الشخصية.
· المثال التقريبي: صديق لك وقع في إدمان مدمّر .وهو يشك أن كل من ينصحه يريد إيذاءه أو السخرية منه .جئته وقلت له أولا ً: "يا صديقي، والله لا أريد منك شيئاً .لن أستفيد من نصيحتك مليماً واحداً .أنا فقط أريد لك الخير .أنا لكم صديق أمين" .هذه العبارة وحدها قد تفتح قلبه المغلق.
· المثال التقريبي الثاني: موظف في دائرة حساسة، طرق بابه مراجع خائف .نظر إليه الموظف وقال بحرارة: "أنا موظف أمين، لن آخذ منك رشوة، ولن أظلمك .هات معاملتك، سأخلصها لك بوجه الله" . هذا الرجل طبق "إني لكم رسول أمين" في محراب الوظيفة.
· المثال التقريبي الثالث: ساعي بريد يحمل رسالة مختومة من الملك .يقرع بابك ويقول: "أنا رسول أمين من الملك، هذه هي الرسالة كما ختمها، لم أفتحها" .لا يزيد ولا ينقص .هذه هي وظيفة النبي في الأصل، وهو وصف الأنبياء جميعاً.

ثانياً: المفاهيم والقيم وأبعاد الآية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

المحور الأول: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية

· المفهوم النفسي: التحرر من عبودية البشر وإثبات الكرامة الإنسانية .الآية تقول لكل إنسان: أنت عبد الله، وبالتالي لا يحق لأحد استعبادك .هذا المفهوم يبني إنساناً حراً أبيّاً لا ينحني إلا لله، وهذا هو سر طاقته النفسية.
· المفهوم التربوي: الأمانة شرط القيادة والإصلاح .التربية لا تقوم فقط على العلم، بل على الأمانة .كم من عالم أضل الناس بعدم أمانته! هذه الآية تجعل الأمانة هي الفيصل في قبول الرسالة.
· المفهوم الفكري: وضوح الرسالة وخلوها من المصالح .الآية ترسم خريطة فكرية للدعوة: أن تبدأ بتحديد المشكلة) استعباد الناس(، ثم تقديم نفسك كوسيط أمين لا يطلب أجراً.

المحور الثاني: أبعاد الآية وآفاقها نفسياً وفكرياً وعقائدياً

· البعد العقائدي: توحيد الألوهية والربوبية في جملة واحدة) .عِبَادَ اللهِ (هي إعلان التوحيد .فالله وحده هو المعبود والرب، ولا ربوبية لمخلوق على مخلوق .العقيدة هنا ليست مجرد كلمة، بل هي ثورة عملية ضد الاستبداد.
· الأفق الفكري: تفكيك بنية الاستبداد الفكرية .الاستبداد يقوم على إيهام الناس أنهم عبيد للحاكم .الآ ية تفكك هذا الوهم بأن تذكرهم بحقيقة أنهم "عباد الله" .هي حجة دامغة على كل طاغية.
· البعد النفسي: "أنا" الداعية مذوبة في "الرسالة" .كلمة "إني" متبوعة بـ "رسول أمين" تعني أن الأنا الفردية ذائبة في خدمة الرسالة .الداعية الحق لا يعظم نفسه، بل يعظم رسالته.

المحور الثالث: القيم المستنبطة من الآية

· قيمة التحرر: تحرير الناس من العبوديات الزائفة.
· قيمة الأمانة العلمية والعملية: في تبليغ الدين وفي التعامل مع الناس.
· قيمة الصدق والإخلاص: في الدعوة والعمل.
· قيمة الشجاعة الأدبية: في قول الحق للحاكم الظالم دون مواربة.

المحور الرابع: مفاهيم البناء والتنمية في الآية

· بناء الإنسان الحر الكريم: مجتمع العبيد لا يمكن أن يبني حضارة .أول خطوة لبناء الحضارة هي تحرير الإنسان من عبودية البشر إلى عبودية الله، فيصبح حراً مبدعاً.
· تنقية القيادة من الفساد:) الأمين (هو معيار اختيار القائد والمدير والمربي .التنمية لا تقوم على السواعد الفارغة، بل على الأمانة.

المحور الخامس: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

· على مستوى الإنسان: في كل صباح، جدد عبوديتك لله .قل: "اللهم إني عبدك" .هذا هو إعلان حريتك اليومية من كل قيود الدنيا .وقبل أن تنصح أحداً، رتب نيتك وقل له ولو بلسان حالك: "إني لك ناصح أمين".
· على مستوى المجتمع: مجتمع تسوده الأمانة في الإعلام والتعليم والتجارة، هو مجتمع ينطبق عليه قوله تعالى:) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (على مستوى المؤسسات .تخيّل أمة كل أفرادها أمناء!.
· على مستوى الحضارة: حضارة تقوم على أن الحاكم "أمين" على الأمة، لا مالك لها، وأن الأفراد "عباد الله" أحرار، هي حضارة العدل والمساواة والتقدم.

ثالثاً: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآية وكيف نطبقها في واقعنا

المحور الأول: إلى ما تدعونا إليه الآية؟

· تدعونا إلى تحرير أنفسنا ومجتمعاتنا من كل عبودية لغير الله، سواء كانت لبشر أو لنظم أو لشهوات.
· تدعونا إلى الصدق والأمانة في كل كلمة نقولها وكل عمل نؤديه.
· تدعونا إلى الشجاعة في قول الحق، وأن نأمر الظالم بردة المظالم دون خوف.

المحور الثاني: كيف نطبق هذه الآية؟ وماذا نتعلم منها في حياتنا العملية؟

.1تطبيق "أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ" في حياتك:
· راجع حياتك: هل تستعبد أحداً بقوتك أو مالك أو سلطتك؟ عامل الناس على أنهم عباد الله الأ حرار، لا خدمك.
· إن كنت تشعر بالضعف أمام سلطة ظالمة، استحضر هذه الآية .أنت عبد الله، فلا تخف.
.2تطبيق "إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ" في علاقاتك:
· قبل أن توجه نصيحة، قل بصدق في قلبك: "اللهم إني لا أريد بهذه النصيحة إلا وجهك، وإني لك لان ناصح أمين".
· احفظ الأمانة في سرّ اؤتمنت عليه، في كلمة نقلتها، في عمل وكلت به.
.3أمثلة عملية شاملة:

· مدير مؤسسة يرى موظفيه يخافون منه، يقف ويقول بصدق: "يا إخواني، أنا واحد منكم، أنا هنا خادم لكم وللمصلحة العامة .أنا لكم مدير أمين .تعالوا نعمل معاً" .هذا التطبيق يغير بيئة العمل كلياً.
· أب يجد ابنه المراهق يعيش حالة تمرد وخوف من سلطة الأب .جلس معه وقال: "يا بني، والله ما أنا إلا أب أمين عليك، أريد لك الخير لا أريد أن أسيطر عليك .أنا لك ناصح" .هذا الأسلوب يفتح قلب الابن أكثر من ألف أمر ونهي.

ختاماً، هذه الآية هي منهج حياة. إنها تقول لك: كن حراً بعبوديتك لله، وكن قوياً بأمانتك، وكن واضحاً في دعوتك. هي ليست مجرد حدث تاريخي بين موسى وفرعون، بل هي رسالة إليك أنت اليوم: "أدِّ نفسك إلى الله، وكن رسول أمانة حيثما كنت".

ثانيا

نحن الآن في قلب المواجهة بين الحق والباطل، في ذلك المشهد المهيب داخل بلاط فرعون. لقد سمعنا موسى عليه السلام وهو يعلن المطالبة الجازمة: (أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ) ويقدم أوراق اعتماده: (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ). والآن، يستمر هذا الرسول الكريم في تفنيد دعاوى الطاغية، ويعلنها صريحة مدوية، محذراً من جريمة هي أم الجرائم، ومعلناً سلاحه الذي لا يُغلب. دعنا نقف بخشوع وتأمل مع هاتين الآيتين الكريمتين:

(وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (19) وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ (20))

تخيل المشهد: موسى واقف، وحوله جبروت فرعون وجنوده وزينته، وهو يرفع صوته بهذا البيان الذي يزلزل العروش، ويقطع الطريق على كل متكبر، ثم يلتجئ إلى حصنه الحصين.

أولاً: تحليل أجزاء الآيتين وربطها بالسياق

بعد أن طالب موسى بتحرير بني إسرائيل، وأعلن أمانته، ينتقل الآن إلى لب المشكلة، مشكلة فرعون الحقيقية، ويواجهها وجهاً لوجه. إنه يشخص الداء ويقدم الدواء.

الأمر الأول: تحليل قوله تعالى (وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ)

١.ما معنى) لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ(؟ ما هو هذا العلو المنهي عنه؟
"العلو" هنا هو الاستكبار والتجبر والترفع والطغيان. وقوله "عَلَى اللَّهِ" يعني أن فرعون بتجبره وادعائه الربوبية، وبرفضه لأمر الله الذي جاء به موسى، قد نصب نفسه نداً وعلا على مقام الألوهية. إنها أقصى درجات الجريمة! النهي هنا (لَا تَعْلُوا) ليس مجرد نهي عن فعل، بل هو نهي عن هوية مزيفة؛ هو أمر بخلع رداء الكبرياء الإلهي الذي يرتديه فرعون، والعودة إلى ثوب العبودية الحق. إنه تحذير من أن يقف المخلوق في مقام الخالق، وأن يرفض العبد أوامر سيده.

· الرسالة النفسية: أن تتعاهد قلبك على نزع كل خصلة من خصال "العلو على الله". الكبر على أوامر الله، احتقار عباده، رفض الحق، كل هذا نوع من العلو. هذه الآية تجعلك تراجع نيتك وتسأل: "هل في قلبي ذرة من فرعونية العلو؟".
· الرسالة العقلية: أن تفهم أن أصل كل بلاء هو هذه الجريمة. إبليس لم يسجد لآدم فطُرد، وكانت جريمته: (أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ). فرعون قال: (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى). كلاهما علا على أمر الله. فالعقل الحكيم يربط بين العلو في الدنيا والخزي في الآخرة.
· الرسالة التربوية: أن تغرس فيمن تربيهم روح التواضع لله ولعباده. حذّرهم من عاقبة الكبر، وعلمهم أن العزة لله جميعاً. قل لهم: "لا تعلوا على أوامر الله، فإن العلو على الخالق هو بداية السقوط".

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: أصل كل طغيان هو نسيان العبد لعبوديته، ومحاولة العلو على مقام الربوبية، والعلو على أوامر الله هو استكبار يجر إلى الهلاك.
· المثال التقريبي: عبد فقير اصطنعه ملك كريم ورفع شأنه وجعله وزيراً. ثم بدأ الوزير يتكبر، ويرفض أوامر الملك، ويتظاهر بأنه هو صاحب السلطة. وقف أمامه رجل مخلص وقال له: "لا تعل على الملك! تذكر من كنت، ومن هو". هذا هو موقف موسى مع فرعون. كان فرعون يعلم في قرارة نفسه أنه ليس إلهاً، لكنه علا وتجبر.
· المثال التقريبي الثاني: موظف صغير في شركة كبرى، رقّاه المدير العام وأعطاه صلاحيات واسعة. بدلاً من أن يشكر، بدأ يتكبر على المدير نفسه، ويخالف تعليماته، ويظن أنه ند له. تنبيهه يكون: "لا

تعلُ على المدير العام!". فكيف بمن يعلو على ملك الملوك؟!

الأمر الثاني: تحليل قوله تعالى (إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ)

١.ما هو) السُلطانِ المُبِينِ (الذي أتى به موسى؟
"السلطان" هو الحجة القاطعة والبرهان الساطع الذي لا يدع مجالا ً للشك. ووصفه بأنه "مبين" أي واضح بذاته، وموضح للحق. هذا السلطان ليس سلطان القوة المادية والجبروت الذي يملكه فرعون، بل هو سلطان الحق والبرهان الإلهي، المتمثل في المعجزات الباهرات (العصا، اليد البيضاء). لم يقل موسى: "سآتيكم" بل قال: (آتِيكُمْ). إنه واثق مما معه، إنه يحمل أدلة دامغة تسقط كل أباطيل فرعون.

· الرسالة النفسية: أن تشعر بالثقة وأنت على الحق. الحق لا يحتاج إلى صراخ وعنتريات، بل يحتاج إلى "سلطان مبين"، أي حجة واضحة. هذا يعلمك أن تستند في كل مواقفك إلى البرهان والدليل.
· الرسالة العقلية: أن تطلب "السلطان المبين" في كل ما يُعرض عليك من أفكار. لا تقبل شيئاً بلا دليل. ولكن، إذا جاءك الدليل الواضح، فسلم ولا تعاند. هذه الآية تربي فيك العقل الناقد الذي يبحث عن البرهان، ثم العقل المستسلم للحق بعد وضوحه.
· الرسالة التربوية: أن تربي الجيل على الإقناع بالحجة والدليل. لا تقل لابنك: "افعل هذا لأنه أمر مني"، بل قل: "هذا هو الدليل، وهذه هي الحجة". علمهم أن يحترموا "السلطان المبين".

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الحق لا يفرض نفسه بالبطش، بل بالحجة الواضحة، والبرهان القاطع. والمؤمن واثق من حجته لأنها من عند الله.
· المثال التقريبي: محاميان في قاعة المحكمة. أحدهما يصيح ويصرخ ويهدد، فهذا هو "سلطان" فرعون الوهمي. والآخر هادئ، يقدم الأدلة الدامغة والوثائق الواضحة، فهذا هو "السلطان المبين". أي ا لاثنين سيربح القضية حتماً؟
· المثال التقريبي الثاني: مهندس يريد أن يقنع المقاول بأن البناء سي سقط. لا يهدده بالسب، بل يقدم له حسابات رياضية دقيقة ونتائج فحص التربة (سلطان مبين). هذا هو أسلوب الحق في الإ قناع.

الأمر الثالث: تحليل قوله تعالى (وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ)

١.ما معنى) عُذْتُ (وما دلالتها هنا؟
"عُذْت" أي لجأت واعتصمت واعتصمت واستجرت. هذه الكلمة تحمل في طياتها إعلان الضعف البشري التام أمام قوة الطاغية، وفي نفس الوقت إعلان القوة المطلقة باللجوء إلى الله. موسى عليه السلام، رسول الله وكليمه، لم يقل: "أنا قوي بمعجزاتي وسأنتصر عليكم وحدي". بل قال: "أنا عائذ بربي". هذا هو التوازن العجيب في شخصية الأنبياء: قمة القوة في إعلان الحق، وقمة التواضع في طلب العون من الله.

· الرسالة النفسية: أن الأمان الحقيقي ليس في قوتك ولا في أصدقائك ولا في منصبك، بل في "العياذ بالله". هذه الكلمة هي ملاذك في كل خوف. عندما تستعيذ بالله، فأنت تنتقل من الاعتماد على قوتك الضعيفة إلى الاعتماد على قوة ربك المطلقة.
· الرسالة العقلية: أن تعرف أولويات الأخذ بالأسباب. موسى أخذ بكل الأسباب: أتى بالحجة، واجه الطاغية، ثم فوض الأمر إلى الله. "عذت بربي" هي الخطوة الأخيرة التي تختم بها خطة العمل.
· الرسالة التربوية: أن تعلم أبناءك الاستعاذة بالله في كل شدة. قولوا لهم: "إذا خفتم شيئاً، قولوا: أعوذ بربي. فهذا هو حصنكم الحصين". هذه التربية تولد أبطالا ً لا يخافون، لأن عياذهم بالله.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: العزة الحقيقية تكون في الالتجاء إلى الله، والجمع بين بذل الجهد في تقديم الحجة وبين التوكل واللجوء إلى الله.
· المثال التقريبي: جندي في أرض المعركة، أعد عدته، وتقدم نحو العدو، لكنه في نفس الوقت قلبه معلق بغرفة القيادة يطلب منها المدد والإسناد. فعله هو الأخذ بالأسباب، وطلبه المدد هو العياذ. موسى يقول: أنا في الميدان، لكني عائذ بغرفة القيادة العليا.
· المثال التقريبي الثاني: رجل فقير مظلوم، ذهب إلى الملك ليشكو له ظلماً. وقف بين يدي الملك

وقال: "أيها الملك، هذا هو حقي وهذه حجتي، ولكني لا أعتمد عليها، بل أعوذ بك أنت". هذا هو المعنى. أنا أقدم حجتي وضعفي، لكني معتصم بالله.

.٢لماذا قال) بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ(؟
هذا إعلان ضمني آخر للتوحيد. لم يقل "بربي" فقط، بل "بربي وربكم"، ليعود فيذكرهم ويذكر نفسه بأن الرب واحد. حتى فرعون، هذا الطاغية، مربوب لله! إنها رسالة واضحة: أنتم أيضاً تحت ربوبيته، فآمنوا وفروا إليه. هي رحمة في صلب المواجهة، ودعوة مقنّعة بالنجاة.

· الرسالة النفسية: أن تشعر بالمساواة الإيمانية. أنت وفرعون سواء أمام ربوبية الله. لا يتكبر متكبر، فالكل عبيده.
· الرسالة العقلية: أن تقطع الطريق على المتكبر. إذا كان ربك وربه واحداً، فمن أين له العلو عليك؟ هذا تفنيد عقلي لادعاءات الفرعونية.
· الرسالة التربوية: أن تعلم الناس ألا يخافوا أحداً، فالكل عبيد لرب واحد.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الداعية لا يفرق بينه وبين المدعو في البشرية والعبودية لله، ويدعو الآخرين للفرار إلى الله.
· المثال التقريبي: مسافر في الطائرة مع باقي الركاب، وفجأة حدث عطل. الجميع متساوون في الخطر. يصرخ قائد الطائرة: "أيها الركاب، أنا ألجأ إلى برج المراقبة الذي يرشدني ويرشدكم". هو قائد لكنه مثلهم في الحاجة للمرشد.
· المثال التقريبي الثاني: معلم في المدرسة وقع زلزال. يجمع طلابه ويركع خشوعاً ويقول: "يا رب، أنا وأنت يا طلابي عبيدك، أنجنا". هذا الأسلوب يزرع الحب والتواضع.

الأمر الرابع: تحليل قوله تعالى (أَنْ تَرْجُمُونِ)

.١ما معنى) أَنْ تَرْجُمُونِ(؟ وما هو الخطر الذي استعاذ منه موسى؟
"ترجمون" تحتمل معنيين: الرجم بالحجارة (القتل)، أو الرجم بالكلام السيء (الشتم والتشويه). موسى عليه السلام يستعيذ بالله من كلا الأمرين: من أن تمتد أيديهم إليه بالأذى الجسدي، أو من أن تمتد ألسنتهم إليه بالاتهامات الباطلة. لقد كان خائفاً من أن يقتلوه، أو أن يسمّعوا به ويقولوا فيه ما ليس فيه. وفي هذا درس عظيم: الأنبياء بشر، يخافون من أذى الناس، ويلجؤون إلى الله لدفعه.

· الرسالة النفسية: أنك لست مطالباً بأن تكون صلباً لا تتأثر. الخوف من أذى الناس طبيعة بشرية. ولكن الفرق أنك تحول هذا الخوف إلى عياذ بالله، لا إلى تراجع عن الحق.
· الرسالة العقلية: أن تدرك أن أذى الناس نوعان: جسدي ومعنوي. واستعاذة موسى شملتهما. هذا يعلمك أن تحترم مشاعر الآخرين ولا تؤذيهم لا بيدك ولا بلسانك.
· الرسالة التربوية: أن تحمي من تربيهم من أذى اللسان كما تحميهم من أذى اليد، وأن تعلمهم أن يستعيذوا بالله من كليهما.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: المؤمن قد يخاف من أذى الخلق، لكنه يوكل أمره لله، ولا يمنعه هذا الخوف من قول الحق.
· المثال التقريبي: صحفي يكشف فساد عصابة خطيرة، يعلم أنهم قد يقتلوه (الرجم بالحجارة) أو يشوهوا سمعته في الإعلام (الرجم بالكلام). يقول: "اللهم إني عذت بك أن يرجمون". ثم يستمر في مهمته. هذا هو فقه التوكل لا التواكل.
· المثال التقريبي الثاني: طفل في المدرسة يتعرض للتنمر من مجموعة طلاب. يقول في نفسه: "أعوذ بربي وربكم أن ترجموني بألسنتكم وأيديكم". هذا الدعاء يمنحه قوة نفسية هائلة.

ثانياً: المفاهيم والقيم وأبعاد الآية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

المحور الأول: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآيتين

· المفهوم التربوي: السلطة الأبوية قائمة على الحجة لا القوة. التربية الحقة تقوم على (سلطان مبين) وليس على الإرهاب الفكري.

· المفهوم النفسي: العياذ هو إدارة الضعف. الاعتراف بالضعف ليس عيباً حين يعقبه لجوء للقوي.
· المفهوم الفكري: مصادرة الحجة بـ "السلطان المبين". الآية تؤسس أن أي قضية لا تقوم على دليل واضح فهي باطلة.

المحور الثاني: أبعاد الآية وآفاقها نفسياً وفكرياً وعقائدياً

· البعد العقائدي: أن الاستعاذة من العبادة. "عذت بربي" هي عبادة قلبية لا يمكن صرفها إلا لله.
· الأفق الفكري: تحرير مفهوم القوة. القوة ليست بالبطش (فرعون)، بل بالحجة (موسى).
· البعد النفسي: الاستعاذة علاج القلق. حين يحاصرك الخوف، فأنت بحاجة لأن تقول "عذت بربي".

المحور الثالث: القيم المستنبطة من الآيتين

· قيمة التواضع: لا تعلو.
· قيمة الحجة: سلطان مبين.
· قيمة اللجوء لله: العياذ.
· قيمة التوحيد العملي: ربي وربكم.

المحور الرابع: مفاهيم البناء والتنمية في الآيتين

· بناء الإنسان بمواطئة القيم. مجتمع يبنى على "لا تعلوا" هو مجتمع تسوده المساواة.
· تنمية الحوكمة بالشفافية. أن تكون القرارات مبنية على "سلطان مبين" من البيانات الواضحة.

المحور الخامس: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

· على مستوى الإنسان: حوّل "لا تعلوا" إلى ترياق يومي ضد الكبر. واجعل "عذت بربي" وردك.
· على مستوى المجتمع: مجتمع يقدس "السلطان المبين" سيصبح مجتمع علم وحجة.
· على مستوى الحضارة: حضارة الرسالات قامت على "إني آتيكم بسلطان مبين"، لا على السيف وحده.

ثالثاً: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآيات وكيف نطبقها في واقعنا

المحور الأول: إلى ما تدعونا إليه الآيات؟

· تدعونا لنبذ الكبر (لا تعلوا).
· تدعونا للتمسك بالحجة والإقناع (سلطان مبين).
· تدعونا لكثرة الالتجاء والاستعاذة بالله (عذت بربي).

المحور الثاني: كيف نطبق هذه الآيات؟ وماذا نتعلم منها في حياتنا العملية؟

1.تطبيق "لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ": عندما تناقش أحداً، لا تتعال .تحقق من نفسك: هل ترفض حقاً لأنك تراه أقل منك؟ حافظ على صلاة الجماعة بتواضع، لا ترِ نفسك أرقى من أن تقف في صف مع الفقراء.
2.تطبيق "بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ": لا تحفظ القرآن فقط، بل تعلم معانيه .عندما تدافع عن رأيك، قدم دليلك.
3.تطبيق "عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ": إذا خفت من إيذاء أحد، ردد بخفوت: "اللهم إني عذت بك أن يرجمون" .هذا هو درعك.

ختاماً، هنا يكتمل المشهد. موسى يعلنها: "أنتم تعبدون القوة، تسجدون للجبروت، وتظنون أنفسكم آلهة. لكني آتيكم بسلطان العقل والبرهان، وعياذي بالقوة الوحيدة في الكون". إنه إعلان النهاية للفرعونية الفكرية، وبزوغ فجر الحرية بالحجة الربانية.

ثالثا

نحن الآن في لحظة فاصلة من مواجهة موسى عليه السلام لفرعون وملئه .بعد أن قدم الحجج الباهرة، وأعلن عبوديته لله، واستعاذ بربه من بطشهم، نصل إلى نقطة الافتراق الحتمي بين الحق و الباطل .إنها لحظة الحسم التي تضع حداً للجدال العقيم، وتؤسس لقاعدة قرآنية عظيمة في التعامل مع المخالفين والمعاندين.

دعنا نقف بتأمل عميق مع هذه الآية الكريمة التي تجيب على سؤال كبير يشغل بالك في هذا الزمن المتشابك:
)وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ((21)

هذه الكلمات ليست مجرد طلب من موسى، بل هي دستور إلهي يبين لك منهج التعايش مع الآخر الذي يرفض الإيمان، ويضع الحدود الفاصلة بين التنازل عن الدين والبراءة من الشرك.

أولا ً: تحليل أجزاء الآية وربطها بالسياق

المشهد بلغ ذروته .موسى عليه السلام لم يدع باباً للأمل إلا وطرقه، ولا حجة إلا وساقها .والآن، بعد أن ألقمهم حجر "السلطان المبين"، وبعد أن قطع عليهم كل سبل المناورة، يأتي بهذا الإعلان الذي هو قمة الوضوح وقمة الرحمة وقمة الحسم في آن واحد.

الأمر الأول: تحليل قوله تعالى) وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي(

.1ما دلالة الشرط) إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا(؟
موسى عليه السلام لم ييأس من هدايتهم، لكنه في نفس الوقت لم يعلق نجاح رسالته على استجابتهم) .إِنْ (حرف شرط يعبر عن الاحتمال وعدم الجزم .موسى يعرض عليهم الإيمان مرة أخرى، وكأنه يقول: "إن آمنتم، فهذا ما أرجوه لكم، وإن لم تؤمنوا، فالطريق أصبح واضحا" .إنه قمة الأدب النبوي، يعرض ولا يفرض، يدعو ولا يهدد .هذا الأسلوب يجعل المدعو أمام مسؤوليته كاملة، ويغلق عليه باب الاحتجاج بأنه أكره أو أرغم.

· الرسالة النفسية: أنت كداعية أو مربٍّ، لست مكلفاً بالنتائج، بل بالعرض الأمين .هذا يريحك من ثقل الإحساس بالفشل إن لم يستجب الناس .موسى الكليم نفسه قيل له: "إن لم يؤمنوا، فالخيار لهم"، فلا تحمل نفسك فوق طاقتها.
· الرسالة العقلية: أن تدرك أن الإيمان اختيار قلبي وقناعة عقلية .لا يمكن أن يُفرض بقوة السلطان، كما حاول فرعون أن يفرض كفره .موسى بهذه الآية يؤكد هذه القاعدة الذهبية: الإيمان حرية.
· الرسالة التربوية: أن تترك لأبنائك وطلابك مساحة للاختيار القنوعي، بعد أن توفر لهم البيئة الواضحة .لا تمارس عليهم الإرهاب الفكري، بل علمهم كيف يصلون للحق بأنفسهم.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الداعية الناجح يعرض الإيمان بوضوح، ويعلم أن الهداية ليست بيده، بل بيد الله وحده.
· المثال التقريبي: طبيب يعرض على مريضه دواءً ناجعاً، ويشرح له فوائده ومخاطر تركه .ثم يقول له: "وإن لم تقتنع بالدواء، فأنت حر، لكني أبرأ إليك من نتيجة إهمالك" .هذا هو موقف موسى .عرض الدواء) الإيمان(، ثم ترك الخيار.
· المثال التقريبي الثاني: مهندس معماري يقدم تصميماً لمنزل آمن، ويحذر من التصميم الخطر .يقول لصاحب المنزل: "إن لم تقبلوا تصمامي، فأنتم أحرار، لكني لن أتحمل مسؤولية انهياره" .موسى قدم لهم تصميم النجاة، ثم ترك لهم حرية القرار.

.2لماذا قال) لِي(؟ وما معنى هذه اللام هنا؟
اللام في) لِي (ليست للملكية، بل هي لام التبليغ، أي "تؤمنوا بالرسالة التي جئت بها" .لم يقل: "تؤمنوا بي" بمعنى تعترفوا بشخصي، بل "تؤمنوا لي" أي تستجيبوا لما أبلغكم به عن الله .هذا يفصل بين شخص النبي ورسالته .هم كانوا يعرفون أمانته وصدقه، فاللام هنا تعني: "إن لم تصدقوا رسالتي التي هي لكم وليست لنفعي، فاعتزلوني".

· الرسالة النفسية: أن تتجرد في دعوتك ونصحك .قل للناس: "هذا الكلام ليس لنفعي، بل هو) لي (بمعنى أنه أمانة عندي لكم" .هذا يزيدك سلامة صدر وراحة ضمير.
· الرسالة العقلية: أن التفريق بين شخص الداعية وفحوى الدعوة هو عين العقل .رفضهم للإيمان ليس رفضاً لشخص موسى في المقام الأول، بل هو رفض لله ولرسالته .والتبعة هنا أعظم.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك أن يركزوا على مضمون القول لا على شخص القائل فقط .وعلمهم أن يقولوا: "أنا لا أطلبكم لشخصي، بل لما هو خير لكم".

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الداعية لا يطلب متابعة شخصية لنفسه، بل يطلب الاستجابة لرسالة ربه التي يحملها بأمانة.
· المثال التقريبي: ساعي البريد الذي تحدثنا عنه بالأمس .يقرع بابك ويقول: "لدي رسالة لك من الملك . إن لم تقبلها، فلست غاضباً منك شخصياً، بل لقد أديت أمانتي" .هو لا يطلب منك أن تقول له: "آمنت بك يا ساعي البريد"، بل "آمنت بالرسالة التي أرسلها الملك معك" .هذا هو معنى) لي.(
· المثال التقريبي الثاني: صديق يبلغك رسالة عاجلة من والدك .قال لك: "هذه رسالة أبيك لي قد أوصلتها لك .إن لم تعمل بها، فلست أنا الخسران" ."لي" هنا تعني: "بلغني إياها لأبلغها لك".

الأمر الثاني: تحليل قوله تعالى) فَاعْتَزِلُونِ(

وهنا نصل إلى صلب الموضوع، إلى المفهوم الذي تلتمسه من هذه الآية: كيف نتعايش مع من يرفض الإيمان؟

.1ماذا يعني) فَاعْتَزِلُونِ(؟ وما هو مفهوم الاعتزال هنا؟
"اعتزلون" من العُزلة، وتعني التنحي والانفصال والابتعاد .ولكن انتبه! هذا الاعتزال ليس اعتزالاً بالكلية عن المجتمع، وليس هروباً إلى الصحراء، بل هو اعتزال عن الإيذاء والصد عن سبيل الله . موسى عليه السلام يطلب منهم أن يكفوا أذاهم عنه وعن المؤمنين، وأن يتركوه وشأنه في دعوته وعبادته .المعنى: "إن لم تكونوا معي، فلا تكونوا عليّ .إن لم تنفعوني، فلا تضروني .دعوني أعبد ربي وأدعو إليه في سلام" .هذا هو التعايش القائم على المفاصلة السلمية، وليس على التنازل عن العقيدة.

· الرسالة النفسية: أن تشعر بالحرية والسلام الداخلي .أنت لست مضطراً لإرضاء كل الناس، ولا للدخول في صراع دائم معهم .أنت تطلب أن تُترك لتمارس دينك وحريتك، وهذا حق أساسي.
· الرسالة العقلية: أن تدرك أن المجتمع يمكن أن يتسع للجميع طالما التزم كل طرف بعدم الاعتداء على الآخر .الاعتزال هنا هو "عدم اعتداء متبادل"، وهذا هو أساس السلم المجتمعي.
· الرسالة التربوية: أن تعلم الأبناء أن هناك فرقاً بين "التعايش" و"الاندماج الذي يذيب الهوية" . التعايش هو: نحن نعيش معاً، نحترم بعضنا، لكن لنا ديننا ولكم دينكم .أما التنازل فهو: نتنازل عن بعض ديننا لنرضيكم، وهذا مرفوض.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الاعتزال المأمور به عند إصرار الآخر على الكفر هو اعتزال الأذى والفتنة، وليس اعتزال التعايش الإنساني والتعاون في الخير.
· المثال التقريبي: في سفينة كبيرة، هناك ركاب كثيرون .مجموعة منهم تريد السير في اتجاه، ومجموعة أخرى تريد السير في اتجاه معاكس .بعد جدال طويل، قال قائد المجموعة الأولى: "إن لم تقبلوا طريقنا، فعلى الأقل لا تمنعونا من السير في طريقنا .لا تحطموا دفة السفينة بأيديكم، واتركونا وشأننا!" .هذا هو معنى "فاعتزلون" .لا تمنعونا من عبادة ربنا.
· المثال التقريبي الثاني: في شقة سكنية، جاران مختلفان في أسلوب حياتهما .أحدهما قال للآخر: "إن لم تقتنع بطريقتي، فدعني أعيش بسلام! لا ترمي القمامة أمام بابي، ولا تمنع عني الشمس .اتركني وشأني" .الاعتزال هنا هو ترك الأذى.

.2هل "فَاعْتَزِلُونِ" تعني تقديم تنازلات في العقيدة والدين؟
الجواب القاطع: لا، وألف لا! هذه الآية هي بالضبط عكس التنازل .لو كان موسى يريد التنازل، لقال لهم: "سأترك بعض ما أؤمن به لترضوا عني" .ولكنه قال:) إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا . (هو مصمّم على الإيمان، مصر على العقيدة، مصر على الرسالة كاملة غير منقوصة .لكنه في نفس الوقت يقول: "لا أستطيع إجباركم، ولا أريد منكم إلا أن تتركوني أمارس ديني" .الفرق بين التعايش والتنازل هو:

· التعايش: أنت تحتفظ بدينك كاملاً، وأنا أحتفظ بديني كاملاً، ونحن نتعايش بسلام، ولا نعتدي على بعضنا .وهذا ما يأمر به موسى هنا.
· التنازل: أن أقدم تنازلات في ديني لأجلك، أو أسكت عن بعض الحق، أو أغض الطرف عن باطلك . وهذا ما لم يفعله موسى، بل حارب فرعون وكفره، ومع ذلك طلب ألا يعتدوا عليه.
· الرسالة النفسية: أنك تستطيع أن تكون واضحاً في عقيدتك، صريحاً في حقك، وفي نفس الوقت مسالماً لمن لم يعتدِ عليك .لا تشعر بازدواجية أو تناقض.
· الرسالة العقلية: أن الوضوح الديني لا يتناقض مع السلم المجتمعي .يمكنك أن تقول للآخر: "أنا أعتقد أنك على باطل"، وفي نفس الوقت تعامله بالعدل والإحسان ما لم يحاربك في دينك.
· الرسالة التربوية: أن تربي الجيل على الاعتزاز بالدين والوضوح به، مع احترام حرية الآخرين في الا

اعتقاد .علمهم أن يقولوا: "نحن لا نتنازل عن قناعاتنا، ولكننا لا نكرهكم عليها".

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: المفاصلة في الدين والبراءة من الشرك لا تعني ترك التعايش السلمي، بل هي وضوح في الا عتقاد مع التزام بالسلم.
· المثال التقريبي: صاحب مصنع مسلم، عنده موظفون من ديانات مختلفة .يقول لهم: "أنا أعتقد أن دينكم باطل، وأن الإسلام هو الحق .هذا وضوحي .ولكني سأعاملكم بالعدل الكامل، وسأعطيكم حقوقكم كاملة، ولن أظلمكم .هذا هو تعايشي" .هذا هو موقف موسى: عقيدته واضحة، ومعاملته عادلة.
· المثال التقريبي الثاني: عالم مسلم في مؤتمر دولي، يشاركه ملحدون وبوذيون .يقدم ورقته العلمية ويثبت فيها وجود الله بالأدلة، ثم في الخارج يتعامل معهم بكل أدب ورقي .هذا هو التعايش الواضح الذي لا تنازل فيه.

.3ما هو مفهوم التعايش في القرآن؟ وهل هو تعايش مع المفاصلة والبراءة حتى يحكم الله بيننا؟
نعم، إنه كذلك تماماً! التعايش في المفهوم القرآني ليس "قبولا ً للآخر بدينه" بل هو "قبول لوجوده وحقه في الحياة" مع البراءة من دينه الباطل .الآية تجمع بين شيئين: الإيمان الخالص و طلب السلا مة .موسى في هذه اللحظة يعلن البراءة من كفرهم:) إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي (فهذه براءة .لكنه لم يعلن الحرب عليهم، بل طلب منهم أن يعتزلوه، أي أن يتركوه في سلام، فيتحقق التعايش .وهذه هي القاعدة التي تسير عليها الأمة في كل أطوارها: نحن نبرأ من شرككم، لكننا نتعايش معكم بالعدل، حتى يأتي أمر الله .وهذا هو معنى قوله في آية أخرى:) حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا.(

· الرسالة النفسية: أن تعيش بوضوح من غير حقد .أنت تبرأ من الباطل، لكنك لا تحمل حقداً شخصياً على أصحابه .راحة نفسك هنا عظيمة.
· الرسالة العقلية: أن تخطط لمستقبل الأمة على هذا الأساس: التعايش الداخلي في المجتمع المتعدد، مع الحفاظ على ثوابت الأمة وهويتها.
· الرسالة التربوية: أن تربي الأبناء على فقه "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" المتدرج، الذي ينتهي عند العجز إلى المفاصلة السلمية وطلب السلامة، لا إلى التنازل.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: التعايش القرآني هو سِلم مع البراءة، وليس تمايعاً مع التنازل.
· المثال التقريبي: جاران بينهما خلاف على ملكية شجرة .أحدهما يملك الوثيقة القاطعة .قال للآخر: "أنا على يقين أن الشجرة لي، وأنت على باطل .هذه وثيقتي .لكني لن أتشاجر معك، سأتركك وشأنك، وسأتعامل معك بخلق حسن، لكن الشجرة ستبقى لي، وإلى أن يأتي القاضي الفاصل، سأصون حقي وأتعايش معك" .هذا هو التعايش مع المفاصلة.
· المثال التقريبي الثاني: دولة مسلمة فيها أقليات غير مسلمة .تقول الدولة: "نحن نعتقد أن الإسلام هو الدين الحق، وهذا دستورنا .لكننا نضمن لكم حرية العبادة، ونحمي كنائسكم، ونعاملكم بالعدل . تعايشوا معنا بسلام حتى يحكم الله بيننا يوم القيامة" .هذا هو المفهوم الحضاري.

ثانياً: المفاهيم والقيم وأبعاد الآية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

المحور الأول: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية

· المفهوم النفسي: التحرر من عقدة الرفض .الداعية أو صاحب الحق لا ينهار نفسياً إذا رُفض .هو يقول كلمة موسى: "إن لم تؤمنوا لي فاعتزلون" .هذا يمنح مناعة نفسية هائلة.
· المفهوم التربوي: التربية على حرية الضمير .الآية تؤصل أن الإيمان لا يكون بالإكراه، وأن التربية الصحيحة تقوم على بناء القناعة الداخلية، لا على إرهاب التهديد.
· المفهوم الفكري: تأسيس فقه التعايش والمفاصلة .هذه الآية هي حجر الزاوية في نظرة المسلم للآ خر .إنها تعلمه أن يجمع بين وضوح الحق والبراءة من الباطل، وبين القبول بالتعايش السلمي مع المخالف.

المحور الثاني: أبعاد الآية وآفاقها نفسياً وفكرياً وعقائدياً

· البعد العقائدي: الولاء والبراء المتوازن .الآية تطبق عملياً معنى: "أحب في الله، وأبغض في الله" .

البراءة هنا من الكفر، لكنها لم تتحول إلى بطش وعدوان.
· الأفق الفكري: الدولة المدنية في الإسلام .الآية تعطي أساساً لقبول الآخر في الدولة، مع احتفاظ كل بدينه وهويته .التعايش لا يعني التنازل عن قوانين الإسلام، بل يعني العدل مع المخالفين.
· البعد النفسي: السلام الداخلي مع الاختلاف .راحة البال تأتي من قبول أن الناس مختلفون، ومهمتك البلاغ لا الإكراه.

المحور الثالث: القيم المستنبطة من الآية

· قيمة وضوح الموقف: دون مواربة.
· قيمة السلمية والأمن: طلب الأمان للمؤمنين.
· قيمة العدل: في التعامل مع المخالف.
· قيمة حرية الاعتقاد: "لا إكراه في الدين".

المحور الرابع: مفاهيم البناء والتنمية في الآية

· بناء مجتمع متعدد بسلام: مجتمع يضمن حرية الاعتقاد.
· تنمية التعايش الإيجابي: تعاون في المشترك الإنساني، مع مفاصلة في المعتقد.

المحور الخامس: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

· على مستوى الإنسان: تحرر من الرغبة في التحكم في عقول الآخرين.
· على مستوى المجتمع: مجتمع مستقر بتقبل التعددية الدينية.
· على مستوى الحضارة: حضارة تقوم على العدل والسلم، لا على الإكراه.

ثالثاً: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآية وكيف نطبقها في واقعنا

المحور الأول: إلى ما تدعونا إليه الآية؟

· تدعوك للثبات على العقيدة دون تنازل.
· تدعوك لطلب السلم والعيش بسلام مع المخالفين غير المعتدين.
· تدعوك إلى عدم إكراه الناس على الإيمان.

المحور الثاني: كيف نطبق هذه الآية؟ وماذا نتعلم منها في حياتنا العملية؟

.1في حواراتك: إذا أصر محاورك على باطله، فاختم الحوار بوضوح: "أنا مقتنع برأيي، وهذا دليلي، وأنت حر".
.2في بيئة العمل: عامل زميلك المخالف لك باحترام، وتعاونا في الخير المشترك.
.3في العلاقات العائلية: من كان قاطعاً لأرحامه بحجة تدينهم الناقص، تعلم من موسى أنه طلب منهم أن يعتزلوه لا أن يؤذوه.
.4في العلاقات الدولية: التعايش السلمي، وعدم فرض الدين بالقوة.

ختاماً، آية اليوم هي خريطة النجاة من دوامة الصراع الديني والاجتماعي .إنها تعلمك أن قوة موقفك لا تتناقض مع سعة صدرك .قل بلسان حالك ومقالك: "إن لم تؤمنوا بما أؤمن به، فأقله اتركوني أمارسه بسلام .فاصفح وقل سلام فسوف تعلمون".

المبحث الثالث

ترسم الايه رده فعل قوم فرعون من دعوه موسى عليه السلام لهم من خلال دعاء موسى عليه السلام ربه فقال تعالى (فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون
)
نحن الآن في ذروة المشهد، وقد بلغ الصراع بين الحق والباطل نقطة اللاعودة. لقد رأينا موسى عليه السلام يطالب بالحرية لعباد الله، ويقدم نفسه كرسول أمين، وينهاهم عن العلو على الله، ويأتيهم بسلطان مبين، ويستعيذ بربه من أذاهم، ثم ينتهي به المطاف إلى عرض التعايش السلمي العادل: (وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ). كان هذا غاية ما يمكن أن يقدمه نبي من رحمة وسماحة.

لكن ماذا كان رد فرعون وملئه على كل هذه الحجج والآيات والدعوات السلمية؟ الآية التي نحن بصددها الآن لا تذكر لنا ردهم مباشرة، بل تذكر لنا نتيجة هذا الرد، وأثر ذلك في نفس موسى عليه

السلام، وكيف تحول الموقف إلى منعطف جديد كلياً.

تعال لنقف بخشوع وتأمل مع هذه الآية الكريمة التي تلخص مأساة الغرور المادي، وتفتح باب الأمل و الفرج الوحيد:
(فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاء قَوْمٌ مُجْرِمُونَ (22))

هذه الآية هي الصرخة التي أطلقها موسى بعد أن أُغلقت في وجهه كل الأبواب الأرضية. إنها لحظة ا لانتقال من الحوار مع الطغاة إلى المناجاة مع رب الأرض والسماوات.

أولا ً: تحليل أجزاء الآية وربطها بالسياق

المشهد الآن اكتملت فصوله. لقد بذل موسى كل ما في وسعه. فماذا حدث بعدها؟ هذا ما سنراه من خلال هذه الآية، ومن خلال ما ورد في سورتي الأعراف ويونس.

الأمر الأول: كيف كان رد فرعون وقومه على كل هذه الدعوات والحجج؟

قبل أن ندخل في تحليل الآية، يجب أن نتصور المشهد الذي أدى إليها. موسى قدم لهم كل شيء: أمرهم بتسليم عباد الله، أخبرهم أنه رسول أمين، نهاهم عن الكبر، أتاهم بالمعجزات الباهرات (العصا و اليد البيضاء)، استعاذ بالله من أذاهم، ثم عرض عليهم التعايش السلمي: (فَاعْتَزِلُون).

لكن هل قبلوا هذا التعايش؟ هل قالوا: "حسناً يا موسى، اذهب أنت ومن معك واعبدوا ربكم كما شئتم، وسنترككم وشأنكم"؟
كلا، ألف كلا! لقد رفضوا كل هذا. رفضوا الإيمان، ورفضوا أن يتركوه وشأنه، وقاموا بمؤاذاته هو ومن معه أكثر مما كانوا يفعلون من قبل. وهذا الرفض المركب هو نتيجة طبيعية للتفكير السطحي و التمسك الأعمى بالماديات والزينة والقوة.

ولكي ترى هذا بأم عينك، ارجع معي إلى ما ورد في سورة الأعراف:
(قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ)
انظر! بنو إسرائيل أنفسهم يخبرون موسى بأن أذى فرعون وقومه لهم لم يتوقف ولم يخف، بل زاد واشتد بعد مجيء موسى برسالته! لم يكتف فرعون بالكفر، بل مارس الإيذاء والتنكيل بالمؤمنين أكثر فأكثر. هذا هو منطق الطغيان عندما يجد أن أفكاره تواجه بالحجة والسلطان المبين: يلجأ إلى البطش الأعمى.

ولكي ترى لماذا فعلوا ذلك، تأمل معي هذه الآية العظيمة من سورة يونس، والتي تكشف علة سلوكهم وجوهر مرضهم:
(وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ)
هنا يكمن السر! فرعون وملؤه اغتروا بالأموال والزينة والقوة. هذه هي "الفتنة" التي تحدثنا عنها آنفاً. وظنوا أن هذه النعم دليل على أنهم على حق، وأن موسى على باطل. فكرهم السطحي المادي جعلهم يقيسون الأمور بمقياس خاطئ: "نحن أغنياء، نحن أقوياء، نحن في قصور، فإذن إلهنا حق، وموسى كاذب!". لقد أسكرتهم النعمة، فأعمت أبصارهم عن رؤية الحق، وأصمت آذانهم عن سماع الدعوة السلمية. وكلما زادتهم حجج موسى وضوحاً، زادهم ذلك عناداً وكفراً، لأن قبولهم لدعوته كان يعني اعترافهم ببطلان نمط حياتهم المترف، والتخلي عن مكاسبهم المادية والجاه والسلطان.

· الرسالة النفسية: احذر أن تكون عبداً للمادة بشكل يمنعك عن رؤية الحق .فالمادة قد تصبح سجناً لا ترى خارجه .هذا هو مرض فرعون، وهو منشور في كل زمان.
· الرسالة العقلية: أن تدرك أن المال والقوة ليستا مقياساً للحق والباطل .فكم من مبطل أعطاه الله من الدنيا، وكم من محق حُرم منها! العاقل لا يغتر ببريق الذهب، بل ينظر إلى وهج الدليل.
· الرسالة التربوية: ربّ نفسك وأبناءك على أن قيمة الإنسان ليست بما يملك، بل بما يؤمن به ويعمل . لا تتركوهم يقعوا في فتنة مقارنة أنفسهم بأهل الدنيا، فتنهار ثقتهم بدينهم.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الغرور المادي يجعل الإنسان يرفض الحق، ويرفض التعايش السلمي، ويتمادون في العدوان.
· المثال التقريبي: رجل ثري جدًا، بنى إمبراطوريته بالربا والغش .جاءه رجل فقير صادق ونصحه بأن

ماله حرام .لكن الثري نظر إلى قصره وإلى فقر الناصح، وقال في نفسه: "كيف يكون مالي حرامًا وأنا في هذا النعيم وهو في هذا الحال؟! ثم أمر بطرده رمياً بالحجارة!" .هذا هو عين ما فعله فرعون، لقد قاس الحق والباطل بالمادة، ورفض حتى أن يترك الناصح وشأنه.
· المثال التقريبي الثاني: زعيم عصابة يملك السلاح والمال والنفوذ، يسيطر على حي بأكمله .جاءه مصلح يدعوه لترك الإجرام والعيش بسلام مع الناس .رفض الزعيم، بل وأمر بقتل المصلح وأتباعه . لماذا؟ لأنه خاف على ملكه وسلطانه، ولأنه اغتر بقوته.

الأمر الثاني: تحليل قوله تعالى (فَدَعَا رَبَّهُ)

.١ما معنى) دَعَا (في هذا السياق؟ ولماذا لجأ موسى إلى الدعاء في هذا التوقيت بالذات؟
بعد أن رفضوا الإيمان، ورفضوا التعايش، وتمادوا في الإجرام والأذى، أدرك موسى عليه السلام أن كل الوسائل البشرية قد استُنفدت. لم يعد هناك مجال للحوار، ولا للتعايش. تحول الموقف من مواجهة فكرية إلى اضطهاد مادي وقمع دموي. وهذا هو الموقف الذي يائس فيه موسى من إيمانهم، ولم يعد أمامه إلا سلاح واحد هو أمضى الأسلحة وأقواها على الإطلاق: سلاح الدعاء. فـ "دعا" تعني التجأ و التجأ وأناب وتضرع. لقد ترك فرعون وملئه وتوجه بقلبه كله إلى الله.
إنه درس عظيم لكل مؤمن: عندما تغلق الأبواب في وجهك، وعندما يرفض الناس حتى أن يتركوك في سلام، فاعلم أن باب السماء مفتوح لا يُغلق. لا تقل: "لقد فشلت"، بل قل: "اللهم إنك تعلم حالي، وهؤلاء قوم مجرمون، فأنت حسبي ووكيلي".

· الرسالة النفسية: أن تشعر بالراحة والأمل في أحلك الظروف .موسى لم يصب بالإحباط، بل حول يأسه من الناس إلى رجاء في الله .الدعاء هنا هو تحويل للأزمة إلى عبادة، وللضعف إلى قوة.
· الرسالة العقلية: أن تدرك أن الدعاء ليس مجرد كلمات، بل هو خطة عمل استراتيجية .موسى لم يدعُ ثم ينام، بل دعا ثم استمر في مهمته، لكنه الآن مدعوم بطاقة السماء بعد أن تخلى عنه أهل الأ رض.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك أن الدعاء هو الملاذ الأول والأخير .إذا تخلى عنك أصدقاؤك، وإذا ضاقت بك السبل، فلا تذهب إلى هنا وهناك، بل ارفع يديك إلى من لا ترفع الأيدي إلا إليه.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الدعاء هو سلاح المؤمن حين تغلق كل الأبواب، وهو إعلان الانتقال من مرحلة الفعل البشري إلى مرحلة التدخل الإلهي.
· المثال التقريبي: طبيب في غرفة العمليات، فعل كل ما في وسعه، لكن حالة المريض تدهورت .كل ا لأجهزة تشير إلى النهاية .يلتفت الفريق الطبي إلى بعضه بيأس، ولكن الطبيب ينظر إلى السماء ويدعو: "يا رب، أنت الشافي، قد بذلنا وسعنا، فهب لنا من لدنك شفاءً" .هذا هو الدعاء الذي يأتي بعد استنفاد الأسباب.
· المثال التقريبي الثاني: محامٍ في قضية معقدة، قدم كل الأدلة، لكن القاضي الفاسد والخصم الظالم يتحالفان ضده .القضية ستضيع .يخرج المحامي من القاعة، ويخلو بنفسه، ويدعو: "يا رب، حسبي الله ونعم الوكيل، أنت العدل، فانصرني" .هذا هو "فدعا ربه".

الأمر الثالث: تحليل قوله تعالى (أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ)

.١ما هو فقه موسى عليه السلام في وصفهم بـ) قَوْمٌ مُجْرِمُونَ(؟
انظر إلى أدب الأنبياء وفقههم! موسى لم يدعُ عليهم دعاءً مفصلا ً بالثبور وعظائم الأمور هنا في هذه الآية، بل وصفهم وصفاً موضوعياً دقيقاً: "مجرمون". الإجرام هو قطع ما ينبغي أن يوصل، و الخروج عن الحق والعدل. موسى يضع القضية بين يدي الله ملخصة في أبلغ كلمة: "هم مجرمون... وأنت أعلم بما يستحقون". إنه لا يملي على الله، بل يعرض الحقيقة. هذا هو فقه الدعاء: أن تعرض حالك وحال أعدائك بأدب، وتفوض العلم بالعواقب لله.

· الرسالة النفسية: أن تدعو بأدب وتفويض .لا تشعر أنك بحاجة لأن تكون أفصح من ربك في وصف همومك .قل: "يا رب، أنت تعلم"، فهذا أبلغ.
· الرسالة العقلية: أن تصنف الأمور بمسمياتها الشرعية .موسى لم يقل "هؤلاء مساكين مخدوعون"، بل قال "مجرمون" .في مرحلة الحسم، يجب أن تسمى الأمور بأسمائها الحقيقية.
· الرسالة التربوية: أن تعلم أن وصف الإجرام يأتي بعد إقامة الحجة .نحن لا نصف أحداً بالإجرام جزافاً، ولكن إذا وضحت الحجة وأصر وأمعن في الأذى، فهذا هو الإجرام بعينه.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: سياسة الدعاء هي عرض الحال بتفويض، وسياسة الحكم على الأمور تكون بعد وضوح الحجة.
· المثال التقريبي: مدير مؤسسة رفع تقريراً عن موظف مزعج جداً .التقرير لم يكن سباباً وتشفيّاً، بل كان وصفاً موضوعياً: "هذا موظف أخلّ بواجباته، وأضرّ بسمعة المؤسسة" .هذا التقرير الموضوعي كافٍ . موسى رفع تقريره الموجز إلى الله: "هؤلاء قوم مجرمون".
· المثال التقريبي الثاني: أب لديه ابن عاق، استنفد معه كل وسائل النصح والتربية، حتى ضاق ذرعاً . رفع يديه وقال: "اللهم إن هذا ابني، وقد بذلت ما بوسعي، وأنت أعلم بحالي وحاله" .لم يشتمه ولم يدع عليه بالهلاك، بل فوض الأمر وفصل الخطاب.

ثانياً: المفاهيم والقيم وأبعاد الآية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

المحور الأول: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية

· المفهوم النفسي: العلاج من اليأس بالفزع إلى الله .الآية تعالج شعور المؤمن بالإحباط عندما يرى الباطل ينتفش، فتحول شعوره بالعجز إلى طاقة دعاء ورجاء.
· المفهوم التربوي: تعليم "فن اللجوء إلى الأخير" .أن تربي الجيل على أن لديهم سلاحاً لا ينفد، وهو الدعاء .هذا يعطيهم أماناً نفسياً هائلا ً وهم يواجهون صعاب الحياة.
· المفهوم الفكري: تفعيل عقيدة "القضاء والقدر" عملياً .موسى بذل السبب، ثم فوض لله .هذا هو التوازن الصحيح بين الأخذ بالأسباب والتوكل على مسبب الأسباب.

المحور الثاني: أبعاد الآية وآفاقها نفسياً وفكرياً وعقائدياً

· البعد العقائدي: حقيقة أن النصر من عند الله وحده .الآية تثبت أن حتى الرسل لا يملكون لأنفسهم ولا لأتباعهم نصراً، بل يطلبونه ممن بيده ملكوت كل شيء.
· الأفق الفكري: استراتيجية "المرحلة الحرجة" .في إدارة الأزمات، عندما تفشل كل الحلول السلمية و الدبلوماسية، يأتي دور القوة العليا .الآية تؤسس لفقه الاستنفار الإيماني في أوقات الأزمات.
· البعد النفسي: إبطال مفعول الخوف من الطاغية .عندما يكون ربك هو ملاذك، يصغر الطاغية جداً . موسى في هذه اللحظة هو أقوى إنسان في مصر لأنه متصل بمصدر القوة الحقيقي.

المحور الثالث: القيم المستنبطة من الآية

· قيمة التفويض: تسليم الأمر لله بعد بذل الوسع.
· قيمة الدعاء: كأقوى سلاح للمؤمن.
· قيمة الصبر: فموسى لم يستعجل النتيجة، بل فوضها لله.
· قيمة الوضوح في وصف الواقع: تسمية الإجرام إجراماً.

المحور الرابع: مفاهيم البناء والتنمية في الآية

· بناء إنسان لا تهزمه الصدمات .من يتعلم الفزع إلى الله، لا ينهار لأنه يعلم أن الظاهر ليس كل شيء.
· تنمية مجتمعية بالدعاء الجماعي .عندما يدعو القائد ويؤمن عليه الناس، تتعزز اللحمة الداخلية.

المحور الخامس: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

· على مستوى الإنسان: حول كل هزيمة أو إحباط إلى وضوء ودعاء.
· على مستوى المجتمع: مجتمع يلجأ قادته ومصلحوه للدعاء، هو مجتمع يملك أكبر أسلحة الصمود.
· على مستوى الحضارة: حضارة الإسلام لا تقوم فقط على السيف، بل على "فدعا ربه" .هي حضارة البناء والدعاء معاً.

ثالثاً: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآية وكيف نطبقها في واقعنا

المحور الأول: إلى ما تدعونا إليه الآية؟

· تدعوك إلى عدم اليأس والقنوط من رحمة الله حتى لو استحكمت حلقات الباطل.
· تدعوك إلى كثرة الدعاء وخصوصاً في أوقات الشدائد والظلم.
· تدعوك إلى وضوح الرؤية: أن تسمي الأمور بمسمياتها بعد وضوح الحجة.

المحور الثاني: كيف نطبق هذه الآية؟ وماذا نتعلم منها في حياتنا العملية؟

.1في حياتك الشخصية: عندما تحاصرك هموم وأبواب مغلقة، اختل بنفسك في جوف الليل وقل: "يا رب، أنت تعلم أني بذلت جهدي، وهذه الأمور قد أعيتني، فارفعها إليك، فأنت حسبي ونعم الوكيل".
.2في مواجهة الظلم: إذا رأيت باطلا ً يستشري ولا تجد حيلة رادعة، فلا تقل: "لا أمل"، بل "فدعا ربه" .اجعل الدعاء سلاحك اليومي.
.3في بيئة العمل والدعوة: بعد أن تقدم كل الحجج وترى إصراراً وعناداً، تذكر موسى .لا تحزن، وادع الله أن يكفيك شرهم، وفوض الأمر إليه.

المبحث الرابع

ها نحن نقف الآن على شفا لحظة الخلاص والانتصار، بعد أن استنفد موسى عليه السلام كل الوسائل ، ورفع يديه داعياً ربه: (أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ). الدعاء استجيب، والسماء أرسلت إشارة البدء. والآن يأتي الأمر الإلهي الحاسم، ليس فقط بالخروج، بل بكيفية الخروج وتوقيته، ليكون هذا الحدث العظيم مدرسة كاملة في فن الأخذ بالأسباب والتوكل على الله.

دعنا نقف بخشوع وتأمل مع هاتين الآيتين الكريمتين اللتين ترسمان خريطة العبور من الظلم إلى النصر:
(فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (23) وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ (24))

تخيّل المشهد: الليل يرخي سدوله، وموسى يتلقى التعليمات الإلهية الدقيقة. إنها لحظة تجمع بين التخطيط البشري المنضبط والتدبير الإلهي الخارق. لنغص في كل كلمة، لنستخرج منها فقه الحركة و التوكل.

أولا ً: تحليل أجزاء الآيتين وربطها بالسياق

لقد فصلنا في الآية السابقة كيف اغتر فرعون وقومه بالأموال والزينة والقوة، فرفضوا الإيمان، ورفضوا التعايش، وتمادوا في الإجرام والأذى، مما دفع موسى لدعاء ربه. والآن، استجيب الدعاء، وصدرت الأوامر. لكن انظر إلى طبيعة الأوامر! الله وحده القادر على أن يهلك فرعون وجنده في رمشة عين. لكنه سبحانه يأمر موسى باتخاذ إجراءات عملية وتخطيط دقيق. هذا هو الدرس الأعظم الذي نتعلمه اليوم.

الأمر الأول: تحليل قوله تعالى (فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا)

.١ما معنى) فَأَسْرِ(؟ وما دلالة هذا الأمر؟
"أسر" من الإسراء، وهو السير ليلا ً .المادة اللغوية تدل على السير في خفاء وسرعة .إنه ليس مجرد أمر بالخروج، بل هو أمر بالخروج بخطة محددة: في جنح الليل، بسرعة وانضباط، في سرية تامة . إنه توجيه إلهي دقيق يحمل كل عناصر الخطة الناجحة: الزمان) ليلا ً(، والوسيلة) السير السريع(، وا لأسلوب) السرية .(الله يعلم موسى أن عليه أن يبذل أقصى ما في وسعه من جهد بشري وتدبير، وأن يستخدم كل الإمكانات المتاحة له.

· الرسالة النفسية: أن التوكل على الله لا يعني التواكل .لا تجلس في بيتك وتقول: "سيرزقني الله" دون أن تسعى .موسى وهو نبي الله، أمر أن يسعى ويخطط .هذا يعطيك طاقة للعمل والتدبير.
· الرسالة العقلية: أن النجاح يتطلب تخطيطاً استراتيجياً .الأهداف العظيمة تحتاج إلى خطط ذكية تستخدم الزمان والمكان والإمكانيات بأفضل صورة.
· الرسالة التربوية: أن تربي الجيل على أن المؤمن قوي بالله، لكنه قوي أيضاً بعقله وتخطيطه . علمهم أن النجاح = تخطيط بشري + توفيق إلهي.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: يجب على الداعية والمؤمن إعداد خطط مدروسة لمواجهة التحديات، والأخذ بالمعطيات المتاحة التي تحقق النتائج الموصلة للغاية.
· المثال التقريبي: جنرال في الجيش، ليساعده الله بالجنود والعتاد، يتلقى أمراً من القائد الأعلى:

"تحرك بجيشك بسرعة" .لكنه يخطط للحركة: أي الطرق أسلم؟ متى وقت التحرك؟ كيف نخفي آثارنا؟ الله يعطيه الهدف، ويدعه يستخدم عقله في التنفيذ .موسى أمر بالإسراء، لكنه خطط للتفاصيل.
· المثال التقريبي الثاني: طالب عنده اختبار بعد شهر .لا يقول: "الله سينجحني"، ثم ينام! بل "يسري" في الليالي، يقرأ في الكتب، يخطط لجدول مذاكرته .هذا هو الأخذ بالأسباب.

.٢ما معنى) بِعِبَادِي (وما دلالة إضافتهم إلى الله؟
يا الله! كم في هذه الكلمة من حنان وتشريف وأمان! لم يقل: "ببني إسرائيل"، بل قال: "بعبادي". هؤلاء المستضعفون هم عباد الله، نسبهم إلى نفسه تشريفاً لهم، وإعلاناً بأنهم في رعايته وحفظه. إنها رسالة طمأنة لموسى ولهم: "أنتم عبادي، ولن أضيعكم". هذه الكلمة وحدها كفيلة بأن تملأ قلوبهم سكينة وقوة.

· الرسالة النفسية: أن تشعر بقيمتك عند الله مهما استضعفك الطغاة .أنت عبد الله، وهذه أعلى رتبة في الوجود .هذا الشعور يمنحك عزة لا توصف.
· الرسالة العقلية: أن تدرك أن الاضطهاد ليس دليل بطلان، فالأنبياء وأتباعهم كانوا "عباد الله" ومع ذلك عُذبوا.
· الرسالة التربوية: أن تعلم الناس أن معيار الشرف عند الله هو العبودية له، لا المال ولا الجاه.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: شرف المؤمنين ومصدر عزتهم هو نسبتهم إلى الله بالعبودية.
· المثال التقريبي: لاجئون مشردون في الخيام، مظلومون من طغاة الأرض .يأتيهم النداء: "يا عبادي، اصبروا، فإن نصر الله قريب" .هذه الكلمة تجعل الخيمة قصراً، وتجعل الجائع شبعان من الأمل .هؤلاء هم عباد الله، غداً ستتبدل أحوالهم.
· المثال التقريبي الثاني: أب يريد أن يطمئن ابنه في مهمة صعبة، يقول له: "يا بني، أنت ابني، ولن أتخلى عنك" .فكيف إذا قال ملك الملوك:) بعبادي(؟!

.٣لماذا حدد التوقيت ب- لَيْلًا(؟
اختيار "الليل" ليس عشوائياً. الليل ستر، والليل هدوء، والليل فرصة للمظلومين للتحرك دون أن تشعر بهم عيون الظلمة. إنه استغلال أمثل للظرف الزماني المتاح. الله القادر على نصرهم دون أن يخرجوا ليلا ً، أراد أن يعلمهم أن يأخذوا بكل أسباب الحيطة والحذر، وأن يستخدموا كل ما أوتوا من فطنة وعقل. فالله لا يعجزه شيء، لكنه يجري سننه في الكون على قوانين الأسباب والمسببات.

· الرسالة النفسية: أن تستخدم الحكمة في كل تصرفاتك .لا تكن سطحياً فتعرض نفسك للخطر بحجة التوكل .التوكل الحقيقي يقترن بالحذر والكتمان والتدبير.
· الرسالة العقلية: أن تخطط بناء على المعطيات المتاحة .الليل معطي متاح يوفر غطاءً طبيعياً .العاقل يستخدم كل ما في الكون لصالحه.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك فقه الأولويات والوسائل .لا تدفع بهم إلى المخاطر بلا تدبير، بل علمهم التخطيط، وأخبرهم أن هذا من سنة الله في الكون.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الأخذ بالأسباب والحيطة والحذر جزء لا يتجزأ من التوكل على الله.
· المثال التقريبي: مخابرات جيش تنقذ أسرى من معتقل .الله قادر على أن يزلزل الأرض ويُخرج الأسرى، لكن سنته جرت بأن يقوم بهذا رجال مدربون، يتسللون ليلا ً، ويخططون لكل خطوة .هذا هو "فأسر بعبادي ليلا ً".
· المثال التقريبي الثاني: رجل مطارد من عصابة ظالمة، يريد الهرب بسيارته .ينتظر حتى منتصف الليل، يطفئ أنوار سيارته، ويسير في طرقات هادئة جانبية .هذا استخدام أمثل للإمكانات من أجل الوصول للنجاة.
الأمر الثاني: تحليل قوله تعالى (إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ)

.١ما دلالة هذه الجملة؟ وما علاقتها بالتخطيط؟
هذه الجملة هي تحذير استخباري وإخبار بالغيب: "إن خرجتم فسيعلم فرعون وسيتبعكم بجنوده". لماذا يخبرهم الله بهذا وهو يأمرهم بالخروج سراً؟ أليس في ذلك إخافة لهم؟ لا، بل هو تثبيت وتحذير، وتأكيد على أن الخطة لن تكون سهلة، وعليهم أن يستعدوا للمطاردة. إنه إخبار لئلا يُفاجؤوا فينهاروا. إنها جزء من الخطة الإلهية: "اخرجوا بسرعة سراً، واعلموا أنهم سيكتشفون أمركم وسيتبعونكم، فكونوا

على أهبة الاستعداد".

· الرسالة النفسية: أن تكون مستعداً للأسوأ .الخطط الجيدة تضع احتمالات الفشل والمطاردات في الحسبان .لا تتفاجأ بالعقبات، بل توقعها واستعد لها.
· الرسالة العقلية: أن إخبارهم بأنهم متبعون هو جزء من التدبير .فمعرفة العدو بخطوة العدو التالية تمكنك من التخطيط لمواجهتها.
· الرسالة التربوية: أن تربي الجيل على عدم التواكل .علمهم أن الحياة معركة، وفي المعركة يجب أن تتوقع هجوم العدو المضاد.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: التخطيط الناجح يجب أن يتضمن توقع ردود فعل العدو، والاستعداد للمفاجآت.
· المثال التقريبي: قائد فريق هارب، يقول لأفراده: "سنخرج ليلا ً، لكن انتبهوا، العدو سيكتشف أمرنا بعد ساعة وسيلحق بنا .فلنستعد للقتال" .إخباره لهم ليس إحباطاً، بل هو إعداد للخطوة التالية.
· المثال التقريبي الثاني: مدير شركة يخطط لإطلاق منتج جديد في السوق .يقول لفريقه: "منتجنا رائع وسننجح، لكن توقعوا أن المنافسين سيحاولون تقليده فوراً، فلنخطط للخطوة التالية من الآن".

الأمر الثالث: تحليل قوله تعالى (وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا)

وصل موسى إلى البحر، وضربه بعصاه فانفلق. عبر هو وقومه. والآن، ماذا بعد العبور؟ يأتيه الأمر: (وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا).

.١ما معنى) رَهْوًا(؟ وما هو التوجيه الإلهي هنا؟
"رهواً" أي ساكناً على حاله، منفرجاً، طريقاً يابساً، هادئاً مطمئناً .بعد أن عبروا، كان الطبع البشري يقول: "اضرب البحر ليعود كما كان، ليمنع فرعون من اللحاق بنا!" .لكن الله يقول: "لا! اتركه كما هو، هادئاً، مفتوحاً" .لماذا؟ لأنه ليس فخاً فقط، بل هو امتحان أخير لفرعون .والأهم من ذلك: إنه تعليم لموسى ولنا أن نترك النتائج النهائية لله .هو سبحانه يدبر المعركة كاملة .موسى قام بدوره) الخروج ليلا ً، عبور البحر(، والآن عليه أن يترك الباقي لله بثقة كاملة .وهذا هو التوازن: الأخذ بالأسباب في البداية، ثم تفويض النتائج في النهاية.

· الرسالة النفسية: أن تتعلم الطمأنينة بعد بذل الجهد .بعد أن تخطط وتسعى وتأخذ بكل الأسباب، استرح واترك النتائج لله .لا تقلق مما سيحدث بعد ذلك.
· الرسالة العقلية: أن تدرك أن هناك حداً لفعل البشري .أنت تخطط وتعمل، ثم يأتي وقت "واترك" لتفسح المجال للتدبير الإلهي الخارق.
· الرسالة التربوية: أن تعلم الأبناء أن يبذلوا جهدهم، ثم يناموا قريري العين، تاركين النتائج لله، لا يتفكرون في كل احتمال ويصيبهم القلق.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: بعد بذل الجهد والتخطيط والأخذ بالأسباب، يجب تفويض النتائج لله، والثقة التامة في تدبيره.
· المثال التقريبي: مزارع حرث أرضه، وبذر البذور، وسقاها، ثم ذهب ونام ."واترك الزرع رهواً"، لا تجلس فوق البذرة لتنتظر خروجها .نم مطمئناً، فالله الذي أنبت البذرة من قبل سيتمها .دورك انتهى عند حدود استطاعتك.
· المثال التقريبي الثاني: طبيب أجرى عملية جراحية دقيقة، وأغلق الجرح .ذهب إلى بيته ونام: "واترك المريض رهواً" .دوره انتهى، والشفاء بيد الله.

الأمر الرابع: تحليل قوله تعالى (إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ)

.١ما دلالة هذا الإعلان الإلهي؟ ولماذا أخبر موسى بالمصير وهو يأمره بالانسحاب؟
إنه وعد الله بالنصر النهائي، وإعلان نهاية الباطل. لكي يطمئن موسى، وليعلم أن خطة الله لن تخيب. فـ "اترك البحر" ليس هروباً ولا فشلا ً، بل هو جزء من خطة إغراقهم. بينما موسى يبتعد آمناً، يأتيه الخبر اليقيني: "لا تخف، فهم جند مغرقون لا محالة". الإخبار بالمستقبل هنا هو تثبيت للقلب، ودليل على أن الله يدير المعركة من فوق سبع سماوات، وأن ما يراه البشر من مخاوف هو مجرد خطوات على طريق النصر المؤكد.

· الرسالة النفسية: أن تعيش الطمأنينة المطلقة .مهما بدت جيوش الباطل قوية، ومهما طاردتك، فثق أن الله قد حكم عليهم بالهلاك .هذه الآية هي ترياق الخوف.
· الرسالة العقلية: أن تدرك أن النهاية المحتومة للباطل هي الهلاك، مهما طال الزمن .قانون التاريخ الإ لهي: انظر إلى فرعون.
· الرسالة التربوية: أن تزرع في الأبناء عقيدة "النصر للإسلام" .قص عليهم قصص القرآن، وأخبرهم أن الله قال لفرعون في الماضي:) إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ(، وسيقولها لفراعنة العصر.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الثقة المطلقة في وعد الله بنصرة المؤمنين وهلاك الطغاة في نهاية المطاف.
· المثال التقريبي: قوة خير ضعيفة العدد، وقوة شر تملك كل شيء .يسمع المؤمنون في قلوبهم:) إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ(، فيثبتون .إنها ليست أمنية، بل وعد إلهي .فرعون أمامهم درس.
· المثال التقريبي الثاني: أب يرى ولده مظلوماً من جماعة أقوياء، يهدده في نفسه: "لا تخف يا بني، إنهم مغرورون، والله ناصر المظلوم) .إنهم جند مهزومون(".

ثانياً: المفاهيم والقيم وأبعاد الآية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

المحور الأول: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآيتين

· المفهوم النفسي: التوازن بين التوكل والسببية .الآيات تبني نفسية المؤمن الذي يخطط بذكاء) يسري ليلا ً(، ويحتاط) يعلم أنهم متبعون(، ويثق بالله في النهاية) يترك البحر رهواً .(هذه هي الصحة النفسية الإيمانية.
· المفهوم التربوي: التربية على التخطيط الاستراتيجي ."فأسر بعبادي ليلا ً" هي أبلغ منهج في تعليم التخطيط .التربية الحديثة كلها تقوم على تعليم الطفل أن يخطط لوقته، ليومه، لمستقبله .القرآن سبقها إلى ذلك.
· المفهوم الفكري: الأخذ بالمعطيات المتاحة .الآيات تؤسس لفكر عملي واقعي: أنت مطالب باستخدام كل الأدوات والظروف المتاحة لك) الليل، السرية، السرعة .(لا تنتظر المعجزة وأنت قاعد.

المحور الثاني: أبعاد الآية وآفاقها نفسياً وفكرياً وعقائدياً

· البعد العقائدي: قدرة الله وعمل الإنسان .الجمع بين) فأسر (و) إنهم مغرقون (يثبت أن الله قادر على كل شيء، لكنه شرع الأخذ بالأسباب .هذا هو التوحيد العملي.
· الأفق الفكري: استراتيجية المواجهة الشاملة .الآية تعلمنا أن مواجهة الطغيان ليست بالفوضى العاطفية) فوضى(، بل بالعلم والتخطيط والتدريب.
· البعد النفسي: السلام الداخلي بعد بذل المستطاع ."واترك" هي وصفة نفسية للأرق والقلق.

المحور الثالث: القيم المستنبطة من الآيتين

· قيمة التخطيط:) فأسر.(
· قيمة السرية والحكمة:) ليلا ً.(
· قيمة التوكل المقرون بالعمل.
· قيمة الثقة بوعد الله:) إنهم جند مغرقون.(

المحور الرابع: مفاهيم البناء والتنمية في الآيتين

· بناء العقلية الاستراتيجية: أمة لا تخطط أمة لا تتقدم.
· التنمية بالعلم والسرية والانضباط.
· بناء القائد المدبر: موسى نموذج القائد الذي يقود بمهنية وتخطيط صارم.

المحور الخامس: تحويل المفاهيم إلى طاقة

· على مستوى الإنسان: ليلة الامتحان اسهر) فأسر ليلا ً(، وإذا أنهيت الامتحان) واترك (النتيجة.
· على مستوى المجتمع: مشاريع الأمة تحتاج إلى تخطيط استراتيجي) فأسر(، وليس إلى خطب حماسية فقط.

· على مستوى الحضارة: الحضارة تقوم على التخطيط الليلي الهادئ، لا على ضوضاء النهار.

ثالثاً: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآيات وكيف نطبقها في واقعنا

المحور الأول: إلى ما تدعونا إليه الآيات؟

· تدعوك إلى التخطيط الجاد والأخذ بالأسباب.
· تدعوك إلى الشعور بالعزة، فأنت عبد الله.
· تدعوك إلى الثقة المطلقة بأن الباطل زاهق.

المحور الثاني: كيف نطبق هذه الآيات؟ وماذا نتعلم منها في حياتنا العملية؟

.1في مشاريعك وأهدافك: أعد خطة محكمة، وتحرك بسرية وانضباط، وتوقع العقبات.
.2في الشدائد: إذا بذلت جهدك، فاترك النتائج لله ونم قرير العين ب-) إنهم جند مغرقون.(
.3في تربية الأبناء: لا تدفع بهم إلى الحياة بلا تخطيط، علمهم أن يعدوا العدة .وفي نفس الوقت، طمئنهم بأن الله ينصر عباده ولو بعد حين.

الرسالة الخاتمة

ختاماً، هاتان الآيتان هما دستور النجاة من كل فرعون. إن علمتاك شيئاً، فإنهما تعلمانك أن "الإسراء لي لا " هو شعار المؤمن في سيره إلى الله. خذ بكل أسباب القوة والعلم والتخطيط الذي أوتيت، واعلم أنك بعبوديتك لله في حفظه ورعايته. ثم بعد كل ذلك، اهدأ واطمئن، واترك البحار على حالها، واترك النتائج بيد الله. إن وعد الله آت، وسيأتي يوم تسمع فيه صرخة الحق تدوي: (إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ).

المبحث الخامس

سنقف الآن على مشهد النهاية الحتمية للطغيان، بعد أن صدر الأمر الإلهي بالخروج، وترك البحر رهواً، وجاء الوعد القاطع: (إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ). ها قد تحقق الوعد، وانطوت صفحة فرعون وملئه، وها هي كاميرا القرآن تنتقل بنا من مشهد العبور والنجاة إلى مشهد ما بعد الغرق، حيث تصوّر لنا حجم الخسارة، وتكشف زيف الماديات التي اغترّوا بها، وتعلن سنة إلهية ماضية.

دعنا نقف بتأمّل واعتبار مع هذه الآيات الخمس التي تلخّص لنا قصة كلّ طاغية في التاريخ:
(كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (25) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (26) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (27) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (28) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (29))

تخيّل المشهد: البحر قد انطبق عليهم، والأمواج تلتهم جنودهم، والقصور الخاوية على ضفاف النيل تشهد على زوالهم. إنها لوحة لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.

أولا ً: تحليل أجزاء الآيات وربطها بالسياق

بعد إعلان الغرق، تأتي هذه الآيات لتحلل الظاهرة، ولتوقظ الغافلين من خلال "تشريح" جريمة الاغترار بالمادة، وإظهار نتيجة هذا الاغترار العمليّة.

الأمر الأول: تحليل قوله تعالى (كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ)

.١ما دلالة الاستفهام ب-) كمْ (هنا؟
(كمْ) هنا ليست استفهاماً حقيقياً يطلب جواباً عددياً، بل هي استفهام تعظيم وتهويل وتكثير. إنها تشير إلى الكثرة الهائلة التي لا تحصى مما تركوه. كأن الله يقول: "انظروا كم كان عندهم، وكم ضاع!". إنها تفتح عينك على حجم الثروة الطائلة والممتلكات الهائلة التي كانت تحت أيديهم، فلا تجديهم شيئاً. إنها صرخة تحذير: "يا من تغترّ بما عنده من دنيا، انظر إلى ما ترك فرعون وقومه!".

· الرسالة النفسية: الزهد ليس فقراً، بل هو تحرير للنفس من أسر ما سيُترك حتماً. استشعار "كم تركوا" يجعلك تنظر إلى ما في يدك على أنه عارية سترُدّها، فيريح قلبك من قلق الفقد.
· الرسالة العقلية: الدنيا لا تدوم لأحد، والدليل تاريخي قاطع. فرعون امتلك مصر كلها، ومع ذلك قال الله: (كمْ تَرَكُوا). العاقل لا يبني سعادته على ما هو آيل للترك.

· الرسالة التربوية: أن تربط القلوب بالباقي، لا بالفاني. حين يرى الأبناء انهيار إمبراطوريات مالية اليوم، ذكرهم بـ (كمْ تَرَكُوا). هذا يبنى شخصية قنوعة طموحة في الآخرة.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: كل ما يملكه الطغاة والأغنياء هو متروك لا محالة، فكن زاهداً فيما سيُترك، راغباً فيما سيبقى.
· المثال التقريبي: ملياردير أفلس فجأة، وهرب من قصره. وقف الناس أمام قصره المهجور وقالوا: "كم ترك من جنات وعيون!". هذا هو حال الدنيا كلها. نحن جميعاً سنتركها، فلماذا التقاتل عليها؟
· المثال التقريبي الثاني: رجل مات فجأة، وفتح الورثة خزائنه. قالوا: "انظروا كم ترك من عقارات وذهب! ولم يأخذ معه إلا كفنه". الآية هي هذا المشهد معروضاً أمامك قبل وقوعه بك.

٢.لماذا خص) جَنَّاتٍ (و)عُيُونٍ (بالذكر؟
"الجنات" هي البساتين الملتفة الأشجار، و"العيون" هي منابع الماء العذب. هاتان هما قمة النعيم المادي وأساس الحياة والترف. مصر كانت جنّة من جنان الدنيا، بالماء والخضرة والثمرات. ذكرهم هنا يبيّن أنهم ملكوا أفضل ما تطيب به النفوس، ومع ذلك لم ينفعهم. إنه تركيز على عناصر "الرفاهية" التي حذّرت منها السورة منذ البداية.

· الرسالة النفسية: أن تدرك أن أعلى درجات الرفاهية (جنات وعيون) لا تمنع الموت، ولا تضمن النجاة. هذا يحررك من هوس امتلاك "برج" أو "فيلا" أو غيرها.
· الرسالة العقلية: الرفاهية المادية ليست دليل رضا الله. فرعون وقومه كانوا في جنات وعيون، ومع ذلك كانوا أعداء الله.
· الرسالة التربوية: أن تعلم الأبناء ألا يقيسوا حب الله لإنسان بما عنده من ماء وشجر. كثير من الصالحين فقراء، وكثير من الطالحين أغنياء.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الرفاهية المادية الفائقة، من جنات وعيون، لا تغني عن الله شيئاً، بل قد تكون وبالاً.
· المثال التقريبي: رجل يملك قصراً تحيط به الحدائق الغنّاء والنوافير، لكنه مريض بمرض عضال لا يجد له دواء. جناته وعيونه لا تنفعه. فرعون كان سليم الجسد، لكنه في عذاب روحي ومواجهة للحق ، فما نفعته جناته وعيونه؟
· المثال التقريبي الثاني: تاجر مخدرات يملك مزارع شاسعة من الورود، لكنه يعيش هارباً من الشرطة، خائفاً. جناته ليست جنة، بل سجن.

الأمر الثاني: تحليل قوله تعالى (وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ)

١.ما دلالة إضافة) زُرُوعٍ (و)مَقَامٍ كَرِيمٍ (إلى القائمة؟
بعد الماء والخضرة، يأتي الطعام (زروع) والسكن والمجالس الفاخرة (مقام كريم). "المقام الكريم" هو المسكن المنيف، والمجلس البهي، والمنزلة الاجتماعية الرفيعة. لقد جمعوا بين خيرات الأرض كلها: بساتين للترفيه، ومياه للشرب، وزروع للقوت، وقصور للسكن. هذا هو "الرفاه الشامل" الذي وقعوا في فتنته. ومع ذلك، كله صار في خبر كان.

· الرسالة النفسية: معادلة السعادة لا تكتمل بالماديات. فرعون جمع (جنات + عيون + زروع + مقام كريم) ومع ذلك هو أشقى الناس. فاعلم أن السعادة الحقيقية في الإيمان، لا في المقام الكريم.
· الرسالة العقلية: التفاضل بين الناس ليس بمقاعدهم في الدنيا. كم من طاغية له مجلس منيف، وهو عند الله أهون من تراب.
· الرسالة التربوية: عوّد نفسك وأبناءك ألا تبهروا "بالمقامات الكريمة". علمهم أن قيمة الإنسان في علمه وتقواه، لا في مكتبه الفخم.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: المكانة الاجتماعية والثراء الزراعي والتجاري لا تشفع لصاحبها إذا كان مجرماً.
· المثال التقريبي: رئيس عصابة في السجن، كان يملك مكاتب فخمة ومقاماً مهاباً في عالمه، يمر عبوساً لا يتكلم. الآن هو في زنزانة. "مقامه الكريم" أضحى أثراً بعد عين.

· المثال التقريبي الثاني: رجل أعمال نصّاب، اشترى قصراً أثرياً وجعله مجلساً للمفاسد. عندما انكشف أمره، هرب تاركاً وراءه الزرع والقصور. هذا هو حال كل من اغترّ.

الأمر الثالث: تحليل قوله تعالى (وَنَعْمَةٍ كانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ)

.١ما هي) نَعْمَةٍ (التي كانوا فيها) فَاكِهِينَ(؟
"النعمة" مفردة عامة جامعة تشمل كل ما سبق وكل ما لم يذكر من ترف ورفاهية ونعيم وملذات. و "فاكهين" أي طيّبي النفس، فرحين، منغمسين في التلذذ، لا همّ لهم إلا الاستمتاع. إنهم يمثلون قمة "اللعب" الذي وُصفوا به في قوله: (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ). ها قد تجسّد لعبهم في النعمة. ولكن انظر كيف تحوّل هذا الفكه والنعيم إلى غصص وعذاب في لحظة.

· الرسالة النفسية: التحذير من "الفكه" المذموم، وهو الانشغال بالتلذذ عن الهدف. ليس عيباً أن تفرح، لكن العيب أن تجعل النعمة غاية وجودك.
· الرسالة العقلية: النعمة التي لا تؤدّي شكرها تتحول إلى نقمة. قانون إلهي ثابت. هؤلاء "فاكهون" لا شاكرون، فانقلب حالهم.
· الرسالة التربوية: علم الأبناء أن وقت "الفاكهين" محدود. قل لهم: "تلذذوا بضوابط الشرع، واجعلوا شكر المنعم أصل كل لحظة فرح".

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الانغماس في النعيم والنشوة به نسياناً لله هو عين الغفلة.
· المثال التقريبي: مجموعة شباب في حفلة صاخبة يلهون ويشربون (فاكهون). فجأة وقع عليهم السقف. في ثانية، تحول الغناء إلى صراخ. هذا هو مشهد فرعون وقومه وهم في "نعمة فاكهين" يحيط بهم البحر ويغرقهم.
· المثال التقريبي الثاني: موظف استدان ليشتري سيارة فارهة، وظل (فاكهاً) بها أسابيع. ثم جاءه خطاب فصل من العمل، فانقلب فكهه هماً وغماً. النعمة التي لا تؤدّي حقها تزول، وتترك صاحبها في حسرة.

الأمر الرابع: تحليل قوله تعالى (كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ)

.١ما معنى) كَذَٰلِكَ(؟ وما هي السنة التي تشير إليها هذه الكلمة؟
(كَذَٰلِكَ) أي مثل ذلك الإخراج العجيب، ومثل تلك النهاية المأساوية، نفعل بكل من كفر. إنها لازمة قرآنية تقول لك: "لا تظن أن هذا حدثٌ فريدٌ، بل هو قانون وسنة ماضية". ثم تأتي الجملة الفاصلة: (وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ). كل تلك الجنات والعيون والزروع والمقام الكريم، ورثها قوم آخرون، بعض المفسرين قالوا هم بنو إسرائيل، عادوا إلى مصر بعد حين أو إلى أرض كمصر. المهم أن المالك الحقيقي للكون، أعطاها لغيرهم. إنها رسالة أن المال مال الله، يورثه من يشاء من عباده.

· الرسالة النفسية: أن لا تحزن على ما يذهب من الدنيا لأهلها، ولا تفرح فرح بطر بما يأتيك منها. فكلها إرث من الله لعباده، يوم يعطي ويوم يأخذ.
· الرسالة العقلية: المال ليس ملكاً خاصاً بالمعنى المطلق، بل هو تحت يدك لفترة. فانظر ماذا تفعل فيه، فسيورثه الله بعدك لمن بعدك.
· الرسالة التربوية: علموا الأبناء أن الله "يورث" لا "يعطي". الإرث يعني انتقال الملكية بعد فناء السابقين. هذه النظرة تجعلهم متواضعين، غير باغين ولا طاغين.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: المال مال الله، يورثه من يشاء، والتعاقب على الثروات سنة إلهية.
· المثال التقريبي: ثلاثة أجيال في شركة. الجد الأول بنّاها بجهد. الابن ورثها فأهملها وبطر بها. الحفيد رأى الشركة تنهار. (كذلك وأورثناها قوماً آخرين) قد يكونون المنافسين. هذا قانون الحياة: مَن لم يرعَ النعمة سُلبت منه.
· المثال التقريبي الثاني: ساكن في شقة فاخرة بالإيجار، مغرور، يظن أنه المالك. يأتي صاحب البيت ويفسخ العقد، ويسكنها رجل آخر متواضع. (أورثناها قوماً آخرين). بنو إسرائيل كانوا مستضعفين، ثم ورثوا أرض فرعون بعد حين.

الأمر الخامس: تحليل قوله تعالى (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ)

.١ما معنى بكاء السماء والأرض؟ ولماذا لم تبكِ عليهم؟
في العادة، إذا مات رجل صالح له أثر طيب، بكت عليه السماء والأرض؛ السماء بفقدان مصعد عمله الصالح، والأرض بفقدان أثر عبادته عليها. أما هؤلاء المجرمون، فلم يكن لهم أثر خير، لا في الأرض و لا في السماء. لم يتركوا علماً نافعاً، ولا عملا ً صالحاً، ولا ذكراً حسناً، بل تركوا ظلماً وفساداً. لذا، الكون بأسره لم يبالِ بهلاكهم، بل استراح منهم. يا لها من فضيحة كونية! إنها تعبير عن احتقار السماء والأرض لهم، وعدم اكتراث الوجود لزوالهم.

· الرسالة النفسية: دافع قوي لأن تترك أثراً طيباً. أن تسأل نفسك: "إذا متّ، هل ستبكي السماء والأ رض عليّ؟". هذا يعطيك هدفاً سامياً: أن تعيش ليكون لك في الكون أثر.
· الرسالة العقلية: قيمة الإنسان ليست بعدد سنينه، بل بأثره. فرعون عاش دهراً طويلا ً، ومات فلم يأسف عليه أحد. ونبي عاش سنوات قليلة، وملأ الدنيا نوراً.
· الرسالة التربوية: ربّوا أبناءكم ليكونوا "مفيدين" للكون. قولوا لهم: "لا تكونوا كفرعون، إن مات لم تبكِ عليه السماء والأرض. بل عودوا أن تتركوا أثراً جميلا ً: غرس شجرة، علم أطفال، بناء مسجد".

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: زوال الطغاة لا يحزن الكون، بل هو راحة له، لأنهم لم يتركوا إلا فساداً.
· المثال التقريبي: زعيم فاسد مات. الناس في الشوارع تتنفس الصعداء، الطبيعة ترتاح من تلويثه، لا أحد يبكي. السماء والأرض لم تبكِ عليه. هذا هو حال فرعون.
· المثال التقريبي الثاني: عالم جليل مات. جنازته عظيمة، طلابه يبكون، كتبه تخلده، السماء والأرض تبكيان عليه لأن صعوده كان خيراً. أي الرجلين تريد أن تكون؟

الأمر السادس: تحليل قوله تعالى (وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ)

.١ما معنى) مُنْظَرِينَ(؟
"منظرين" أي مؤجّلين ممهَلين. أي لم يُمهلوا ليتوبوا أو يعودوا دقيقة واحدة بعد أن حان أجلهم. بينما "النعمة الفاكهين" كانوا يظنون أنهم سيعيشون أبداً، أتاهم أمر الله بغتة، وما كانوا مؤخّرين. هذا يعيدنا إلى الدرس العظيم: لا تأمن مكر الله. الباب الذي أغلق في وجههم لم يُفتح ولو للحظة. هذه الآية تجعلك تخاف من سوء الخاتمة، وتتمسك بالاستعداد للموت في كل نفس.

· الرسالة النفسية: طرد التسويف من حياتك. الموت لا ينتظر. "وما كانوا منظرين" يعني أن أجلهم لم يتأخر ثانية واحدة. فبادر الآن.
· الرسالة العقلية: أنه لا عودة بعد الموت. البطشة الكبرى إذا جاءت، فلا إمهال. هذه المعرفة تدفعك للجد.
· الرسالة التربوية: حذّر أبناءك من ثقافة "التسويف". قل لهم: "توبوا الآن، أحسنوا الآن، فلا تدري متى يأتي اليوم الذي (وما كنت منظرين)".

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الأجل المحدد لا يتقدم ولا يتأخر، والموت يأتي بغتة، ولا مجال للإمهال.
· المثال التقريبي: مجرم حكم عليه بالإعدام. وهو يسير إلى حبل المشنقة، يطلب دقيقة واحدة. قيل له: (وما كنت منظرين). الوقت انتهى. فرعون، مهما علا، انتهى وقت لعب الإمهال بالنسبة له.
· المثال التقريبي الثاني: طالب في الامتحان النهائي. قال له المراقب: "ضع القلم!". قال: "دقيقة واحدة فقط!". قال: "وما كنت منظرين". هكذا ملك الموت، إذا جاء لا يؤجل.

ثانياً: المفاهيم والقيم وأبعاد الآية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

المحور الأول: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآيات

· المفهوم النفسي: الزهد الاستراتيجي. الآيات تزرع الزهد عبر رؤية النهاية. الزهد هنا ليس حرماناً، بل هو اكتفاء نفسي يجعل قلبك قوياً.
· المفهوم التربوي: تدريس التاريخ بالتصوير. (كم تركوا) هو درس تاريخي مصوّر، يعلمنا أن التربية بـ

القصة والتصوير أبلغ من النظريات.
· المفهوم الفكري: قانون زوال الدول الظالمة. الآيات تؤسس لفكرة أن الطغيان والاستكبار والانغماس في النعيم دون شكر، كلها أسباب لوراثة الآخرين الأرض.

المحور الثاني: أبعاد الآية وآفاقها نفسياً وفكرياً وعقائدياً

· البعد العقائدي: الله هو المالك الوارث. كل ما نملكه هو ملك لله، يورثه من يشاء. هذه العقيدة تريح قلبك من الخوف على الرزق.
· الأفق الفكري: موت الحضارات. الآيات تعطينا أداة تحليل لسقوط الحضارات. حضارة فرعون سقطت لأنها حضارة مادية بحتة.
· البعد النفسي: قيمة الأثر. "فما بكت عليهم السماء" تفتح نفسك على حب ترك أثر بعد الموت.

المحور الثالث: القيم المستنبطة من الآيات

· قيمة الاعتبار: (كمْ تركُوا).
· قيمة الشكر: (نعْمَةٍ كانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ).
· قيمة التواضع: (وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ).
· قيمة ترك الأثر الصالح: (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ).

المحور الرابع: مفاهيم البناء والتنمية في الآيات

· بناء حضارة ذات أثر. الآيات تحفزك على بناء مشاريع يبكي عليها الكون لفقدها، لا يفرح لزوالها.
· تنمية مفهوم الاستخلاف. أنت مستخلف، والأرض ستورث لغيرك. هذا يجعلك تعمّرها لا أن تخربها.

المحور الخامس: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

· على مستوى الإنسان: حوّل تأملك في (فَمَا بَكَتْ) إلى برنامج يومي لصنع الأثر: صدقة، علم.
· على مستوى المجتمع: مجتمع ينظر إلى جنات فرعون وعيونه نظرة اعتبار، لا نظرة غبطة.
· على مستوى الحضارة: حضارة المسلمين هي حضارة الأثر، لا حضارة "الفاكهين" التي تغرق بلا بكاء.

ثالثاً: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآيات وكيف نطبقها في واقعنا

المحور الأول: إلى ما تدعونا إليه الآيات؟

· تدعوك للاعتبار بنهاية الظالمين المترفين.
· تدعوك للاستثمار الحقيقي في الباقيات الصالحات.
· تدعوك للخوف من أن تموت فلا يبكي عليك الكون.

المحور الثاني: كيف نطبق هذه الآيات؟ وماذا نتعلم منها في حياتنا العملية؟

.1تطبيق "كمْ تركُوا": إذا اشتريت شيئاً جديداً، قل في قلبك: "هذا مما سأتركه! اللّهم بارك لي فيه واجعله عوناً لي على طاعتك".
.2تطبيق "مَقَامٍ كريمٍ": إذا ارتقيت منصباً، تذكر فرعون .قل: "اللّهم لا تجعله مقاماً مهلكاً، بل مقام خدمة".
.3تطبيق "فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ": في نهاية كل أسبوع، سجّل أثراً طيباً واحداً تركته: غرست؟ علمت؟ أنفقت؟
.4تطبيق "وَمَا كانُوا مُنْظَرِينَ": اكتب وصيتك .عش كل يوم على أنه آخر يوم .لا تؤجل توبة.

الرسالة الخاتمة:
ختاماً، هذه الآيات الخمس هي لحن جنائزي لكل طاغية. إنها تقول لك: "لا تنظر إلى (كم تركوا) بعين الحسرة، بل بعين العبرة. فهم (فاكهون) بالأمس، واليوم (مغرقون)، وما بكت عليهم السماء، وما كانوا منظرين". هذه هي خاتمة من اغتر بالمادة والزينة والقوة. والآن، اختر لنفسك مثلا ً ترى به نهايتك في هذه الحياة، كما رأيت نهاية فرعون وقومه.
المبحث السادس

نحن الآن في مشهد النجاة، بعد أن ودّعنا فرعون وقومه وهم في قاع اليم يلفظهم الموج. لقد رأينا بأعيننا نهاية من اغترّ بالمال والجاه، وكيف أنّ كل ما تركوه صار أثراً بعد عين. والآن، تنتقل بنا كاميرا القرآن إلى الضفة الأخرى من البحر، حيث يقف موسى وقومه ينفضون عنهم ماء الخلاص، ليكتمل المشهد، وتكتمل معه الحكمة من القصص. إذا كان فرعون نموذج "الفتنة" بالمال والسلطان، فها هو بنو إسرائيل نموذج "الفتنة" بالنجاة والإنعام.

دعنا نقف بخشوع وتأمل مع هذه الآيات الكريمة التي تروي لنا ما حدث بعد الغرق، لتكشف لنا قانوناً إلهياً آخر:
(وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (30) مِنْ فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ (31) وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (32) وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ (33))

تخيّل المشهد: موسى ومن معه يقفون على أرض النجاة، يلتقطون أنفاسهم، ويرون بأعينهم عدوهم وقد هلك. إنها لحظة انفراج الكربة، لكنها -وكما سنرى- ليست نهاية الامتحان، بل بداية امتحان من نوع جديد!

أولاً: تحليل أجزاء الآيات وربطها بالسياق

لقد حدثنا السياق عن إغراق فرعون وجنده، والآن يحدثنا عن نجاة بني إسرائيل. انظر إلى التدبير الإلهي: في اللحظة التي يُغرَق فيها الطغاة، يُنجّى المستضعفون. إنه العدل الإلهي المبين.

الأمر الأول: تحليل قوله تعالى (وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ)

1. ما دلالة صيغة) نَجَّيْنَا(؟ ولماذا افتتحت الآية بالقسم المؤكد؟
"نجّينا" فعل بتضعيف، يدل على تنجية بعد عناء ومعاناة، ليس مجرد "أنقذنا"، بل انتزعناهم من وسط العذاب انتزاعاً .وهو مسند إلى ضمير الجمع للعظمة "نحن" .إن إسناد فعل التنجية إلى الله بصيغة العظمة يمنح المؤمن شعوراً هائلاً بالأمان .الله العظيم هو الذي تولى بنفسه عملية الإنقاذ! وافتتاح الآية ب-) وَلَقَدْ) (واو القسم ولام التوكيد وقد (هو توكيد مضاعف، لأن الله يعلم أن هذه القصة ستتعرض للتشويه والإنكار، فجاء بها مقسماً عليها ومؤكدة أبلغ توكيد.

· الرسالة النفسية: أن من تولى الله تنجيته فلن يهلك .مهما اشتدت المحنة، ومهما طال ليل الظلم، فثق بأن الله إذا قال:) وَلَقَدْ نَجَّيْنَا (فقد وقع الأمر .هذه الآية تملأ قلبك طمأنينة بأن المستضعفين من عباده لن ينساهم.
· الرسالة العقلية: أن التاريخ في جوهره صراع بين الحق والباطل، وتدخل الله لنصرة أوليائه هو العامل الحاسم في تقرير مصير المعارك.
· الرسالة التربوية: أن تزرع في نفوس الناشئة عقيدة أن النصر من عند الله .علمهم ألا يخافوا من جبروت الطغاة، وأن يوقنوا بأن "التنجية" آتية لا محالة لمن صبر وآمن.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: إذا أراد الله تنجية عبده، فلا يمكن لأي طاغية أن يمنعها، والثقة بوعد الله هي سلاح المؤمن.
· المثال التقريبي: مجموعة من الرهائن في قبضة عصابة مسلحة، وقد يئسوا من الحياة .فجأة، تقتحم قوات خاصة المكان وتنتزعهم من بين أيدي الخاطفين .هذه "التنجية" التي تمت بقوة خارجية أعلى ."نجّينا" تعني أن الله حرك جنده وأقداره لإنقاذ بني إسرائيل .هذا هو فرق التنجية الإلهية عن أي تدبير بشري.
· المثال التقريبي الثاني: مريض بالسرطان في مرحلة متأخرة، قال الأطباء: "لا أمل" .لكن الله كتب له الشفاء، فرجع من باب المستشفى معافى .هذا هو معنى "نجّيناه" بعد أن كان في حكم الهالكين.

2. ما هو) الْعَذَابِ الْمُهِينِ (الذي نجاهم الله منه؟
"العذاب" هو الألم الجسدي والنفسي، و"المهين" هو الذي يصحبه إذلال واحتقار وإهانة للكرامة الإنسانية .لم يكتف فرعون بتعذيب بني إسرائيل بدنياً) تسخيرهم في الأعمال الشاقة(، بل أذلهم نفسياً)باستعبادهم، وتوهين أمرهم، وقتل أبنائهم .(فالتنجية هنا لم تكن من الألم فقط، بل من "الإهانة" التي تنال من روح الإنسان قبل جسده .وهذا يبين أن الحرية والكرامة من أعظم نعم الله على عباده.

· الرسالة النفسية: أن تشعر بأن الله يريد لك العزة، لا الذل .العذاب المهين يتنافى مع العبودية لله .

فأنت يا عبد الله، مكرّم، ولا يجوز لمخلوق أن يذلك.
· الرسالة العقلية: إدراك أن الاستبداد لا يهدف فقط إلى الاستغلال المادي، بل إلى "إهانة" الإنسان وتحطيم إرادته .ولهذا كان التحرر هو استعادة الكرامة أولا ً.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك أن يرفضوا الإهانة، وألا يقبلوا لأنفسهم أن يكونوا أذلاء لغير الله . واجعلهم يشعروا بأن العزة في طاعة الله.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: نعمة الحرية والكرامة لا تقل عن نعمة الحياة، والله ينجي عباده من كل ما يهين إنسانيتهم.
· المثال التقريبي: عامل بسيط في شركة، كان مديره يناديه بأسماء حيوانات ويجعله يكنس الأرض بيديه) إهانة .(انتقل العامل إلى شركة أخرى، يحترمه مديره ويقدره .نقول: "لقد أنجاه الله من العذاب المهين" .العذاب الجسدي) العمل الشاق (شيء، لكن الإهانة النفسية شيء آخر مميت.
· المثال التقريبي الثاني: زوجة كانت تعيش مع رجل يضربها ويهينها يومياً) عذاب مهين .(طلقت منه، وتزوجت بمن يكرمها .تقول: "نجاني الله من العذاب المهين".

الأمر الثاني: تحليل قوله تعالى (مِنْ فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ)

.1لماذا بيّن الله أن مصدر العذاب هو) فِرْعَوْنَ (بالتحديد؟
لقد كان فرعون رمزاً للطغيان المطلق، ولكنه مع ذلك لم يُذكر هنا كملك عظيم، بل ذكر كـ "مصدر عذاب" ثم حُقّر بوصفه. هذا يعلمنا أن الطغاة مهما عظُم مُلكهم، فهم ليسوا في نظر الله إلا "جلاوزة عذاب". بيانه هنا لتشخيص الداء: المشكلة ليست في الظروف، بل في "الفرعون" المتأله الذي استعبد الناس.

· الرسالة النفسية: أن تحوّل نظرتك للطغاة .لا تنظر إليهم بعين الخوف والإجلال، بل بعين الاحتقار لمقامهم عند الله .هم "مصدر عذاب مهين"، وسيلقون جزاءهم.
· الرسالة العقلية: تحديد مصدر المشكلة بدقة هو أول الحل .القرآن يحدد أن المشكلة هي "فرعون" لا "النظام" فقط، لتكون المواجهة مع رأس الفساد.
· الرسالة التربوية: علم أبناءك ألا يخلطوا بين "الأشخاص" و"المبادئ" .فرعون ليس اسماً فقط، بل نموذج لكل متجبر .احذر أن تكون في حياتك "فرعوناً صغيراً" لمن حولك.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الطغاة هم مصدر العذاب المهين، ويجب ألا ننظر إليهم إلا بعين الاعتبار والتحذير.
· المثال التقريبي: مريض يعاني من الصداع .الطبيب يشخص: "المشكلة ليست في رأسك، بل من هذه الضرس المسوس" ."من فرعون" هو تشخيص إلهي دقيق لمصدر البلاء.
· المثال التقريبي الثاني: موظفون في دائرة حكومية يعانون من الفساد .تقول لجنة التحقيق: "المشكلة من المدير العام" .تشخيص رأس الفساد هو بداية التغيير.

.2لماذا وصف الله فرعون بأنه) عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ(؟
"عالياً" أي متكبراً مستعلياً على عباد الله، وعلى الحق .و"من المسرفين" أي متجاوزاً لكل حد، مسرفاً في الظلم والبغي والقتل والاستعباد .الوصفان معاً) الاستعلاء + الإسراف (يمثلان شخصية الطاغية المكتملة: يتكبر فيستعلي، ويظلم فيسرف .وهذا بالضبط ما يؤدي بصاحبه إلى الغرق .وهذا يعيدنا إلى جوهر مرض فرعون: هو نتيجة "فتنة المال والسلطان" التي تحدثنا عنها في الآية.17

· الرسالة النفسية: أن ترى الكبر والإسراف على أنهما جريمتان تؤديان إلى أسوأ المصائر .راقب قلبك من ذرة "علو" أو "إسراف"، فإنها بذرة الفرعونية.
· الرسالة العقلية: الربط بين العلو والإسراف علاقة طردية .من علا على الناس أسرف في ظلمهم .هذا قانون اجتماعي.
· الرسالة التربوية: ربّ نفسك على التواضع والعدل .قل لها: "لا تعلُ، ولا تسرف، فإن هذا طريق فرعون".

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الكبر والظلم صفتان لا يتصف بهما إلا هالك، لأن العلو والإسراف هما صفتا فرعون.
· المثال التقريبي: مدير يعامل موظفيه بغطرسة) عالياً(، ويظلمهم في رواتبهم وأوقاتهم) من المسرفين .(ماذا يتوقع الجميع؟ يتوقعون انهياره .هذا هو قانون فرعون.
· المثال التقريبي الثاني: تاجر محتكر، يرفع الأسعار بجشع) مسرف(، ويتكبر على الفقراء فلا يرحمهم)عالياً .(هذا تاجر سيجني ثمار كبره وإسرافه.

الأمر الثالث: تحليل قوله تعالى (وَلَقدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلمٍ عَلَى العَالَمِينَ)

.1ما معنى) اخْتَرْنَاهُمْ(؟ وكيف أن الاختيار زيادة تكليف لا تشريف فقط؟
بعد أن نجاهم، لم يتركهم الله هملا ً، بل اختارهم. "اخترناهم" يعني اصطفيناهم وفضلناهم في زمانهم. لكن لاحظ جيداً! هذا الاختيار مشروط ب- (عَلَىٰ عِلمٍ) أي عن علم إلهي كامل بما سيكون منهم. إنه ليس اختياراً عشوائياً ولا عن محاباة. وهذا الاختيار ليس للتشريف فقط، بل هو تكليف بحمل الرسالة وأمانة التوحيد للعالمين. لقد كانوا مؤمنين في ذلك الوقت، فاستحقوا الاصطفاء. لكن هذا الاصطفاء يعني مسؤولية مضاعفة. وهذا يفسر لنا لماذا كانت الفتنة بعدها أشد.

· الرسالة النفسية: أن تشعر بثقل الأمانة إن كنت من أهل الإيمان .اختيار الله لك لتكون من هذه الأ مة هو شرف، لكنه أيضاً تكليف جسيم.
· الرسالة العقلية: أن تدرك أن التفضيل لا يعني العنصرية .الاختيار الإلهي قائم على العلم والحكمة، ومرتبط بحمل الرسالة وأدائها، فإن قصّروا سقطوا من عين الله.
· الرسالة التربوية: عوّد أبناءك على أن أي تمييز يحصلون عليه) نجاح، موهبة، ثراء (هو "اختيار من الله على علم"، وعليهم أن يثبتوا جدارتهم بشكر النعمة وأداء حقها.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: اختيار الله لك نعمة ومسؤولية واختبار، وليس تشريفاً مجانياً.
· المثال التقريبي: مدرب كرة قدم يختار لاعباً من بين آلاف المتقدمين ليكون في المنتخب .هذا تشريف، لكنه أيضاً مسؤولية .اللاعب سيُختبَر أشد اختبار، فإن لم يثبت جدارته سيُستبدل ."اخترناهم على علم" أي أن المدرب يعرف إمكانياته، والآن جاء وقت إثبات الذات.
· المثال التقريبي الثاني: مدير شركة يختار موظفاً شاباً ليكون مسؤولا ً عن أكبر مشروع .الاختيار "على علم" بكفاءته، لكنه إن فشل، فالعقاب سيكون على قدر التشريف.

الأمر الرابع: تحليل قوله تعالى (وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ)

.1ما هي) الآيَاتِ(؟ وما معنى) بَلَاءٌ(؟
"الآيات" هنا تشمل المعجزات الحسية التي رأوها) فلق البحر، تظليل الغمام، إنزال المن والسلوى، تفجير الحجر .("بلاء" تعني اختباراً وامتحاناً وابتلاءً .و"مبين" أي واضح ظاهر .إن الله يعطيهم هذه النعم و المعجزات العظيمة، وهي في نفس الوقت "بلاء مبين" أي اختبار عظيم.
لماذا؟ لأن النعمة إذا زادت، زاد الامتحان. المن والسلوى نعمة، لكنها اختبار للشكر. فلق البحر آية نجاة، لكنها اختبار للثبات على الإيمان. هذه هي خطورة "الفتنة" التي تحدثنا عنها. الله يعطي ليرى ماذا ستفعل أنت بهذا العطاء. وهكذا دائماً: كما كان المال والزينة بلاء لفرعون، كان المن والسلوى وتلك الكرامات بلاء لبني إسرائيل.

· الرسالة النفسية: أن تنظر إلى كل نعمة في حياتك على أنها "آية" وفي نفس الوقت "بلاء" .صحتك بلاء، مالك بلاء، نجاحك بلاء .هذا يجعلك دائم الحذر والشكر.
· الرسالة العقلية: أن تدرك أن الآيات والنعم ليست غاية، بل وسيلة للاختبار .فالله يعطي ليمتحن الشكر والصبر، لا ليمتع فقط.
· الرسالة التربوية: أن تربي أبناءك على فقه "النعمة بلاء" .إذا أعطيت ابنك هدية، قل له: "هذه نعمة من الله أحبك بها، لكنها بلاء واختبار لك، فهل ستشكر أم تكفر؟".

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: كل نعمة هي "بلاء مبين"، ومقدار النعمة هو مقدار الامتحان.
· المثال التقريبي: طالب ناجح بتفوق، أُعطي منحة لجامعة مرموقة، وأُعطي مسكناً ومطعماً مجانياً)هذه آيات إنعام .(لكن هذه النعم هي "بلاء مبين": هل سيشكر فيذاكر؟ أم سينشغل بالترفيه عن المذاكرة فيفشل؟ هذه هي الفتنة.
· المثال التقريبي الثاني: رجل فقير، فتح الله عليه، وربح في التجارة أموالا ً طائلة .هذا المال "آية" و"بلاء مبين" .هل سيخرجه في طاعة الله) شكر(، أم سيسرف به في الحرام) كفر(؟
· المثال التقريبي الثالث) قريب جداً من قلوبنا(: الأمة الإسلامية، أورثها الله الكتاب المبين وأعطاها من الآيات) القرآن والنصر والتمكين .(هذا كله "بلاء مبين" .فهل سنقوم بحق هذه الآيات، أم سنكون كمن قصّر من قبلنا؟

ثانياً: المفاهيم والقيم وأبعاد الآية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

المحور الأول: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآيات

· المفهوم التربوي: أن النجاة تدبير إلهي بعد البذل .الآيات تربي على أن صبرك على "العذاب المهين" لا يذهب سدى، فهناك "ولقد نجينا" تنتظرك.
· المفهوم النفسي: فقه الامتحان المتجدد .الراحة من اختبار هي بداية اختبار آخر .أنت انتقلت من اختبار "العذاب المهين" إلى اختبار "الآيات والنعم" .هذا يجعلك مستعداً نفسياً لعدم الركون للراحة.
· المفهوم الفكري: الاختيار الإلهي قائم على المسؤولية) .اخترناهم (يعني) كلفناهم .(لا يوجد شرف بلا تكليف .هذه الرؤية تحفظ المجتمع من الأمراض الناتجة عن مفهوم "الشعب المختار" العنصري.

المحور الثاني: أبعاد الآية وآفاقها نفسياً وفكرياً وعقائدياً

· البعد العقائدي: الابتلاء بالخير والشر .الآيات تثبت أن النعم) النجاة، الاختيار، الآيات (هي بلاء كما أن النقم بلاء .هذه هي عقيدة التوازن في الإسلام.
· الأفق الفكري: صعود وسقوط الأمم سببها التعامل مع الابتلاء .فرعون سقط لأنه فشل في ابتلاء النعمة .وبنو إسرائيل نجوا، لكنهم سيواجهون ابتلاء النعمة أيضاً .هذا يعطيك مفتاحاً لفهم التاريخ.
· البعد النفسي: عزة المظلوم وطمأنينته ."ولقد نجينا" تجعل للمؤمن المظلوم عزة نفسية، فهو يعلم أن تدبير الله له قادم.

المحور الثالث: القيم المستنبطة من الآيات

· قيمة الأمل:) ولقد نجينا.(
· قيمة الكرامة:) من العذاب المهين.(
· قيمة المسؤولية:) اخترناهم على علم.(
· قيمة الصبر والشكر:) بلاء مبين.(

المحور الرابع: مفاهيم البناء والتنمية في الآيات

· بناء مجتمع الكرامة: المجتمع الذي لا يقبل "العذاب المهين"، ويسعى للحرية.
· التنمية بالتكليف: اختيار القيادات والمسؤولين "على علم"، أي بكفاءة، وجعل المناصب تكليفاً.
· بناء عقلية الشكر: التعامل مع كل إنجاز على أنه "بلاء مبين"، مما يدفع للاستمرار في العطاء وليس البطر.

المحور الخامس: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

· على مستوى الإنسان: كل نعمة تنعم بها، اجعلها "بلاء" يدفعك للشكر والعمل.
· على مستوى المجتمع: مجتمع يعلم أن اختياره على الأمم هو تكليف برسالة، سيكون مجتمعاً رسالياً، لا مستهلكاً.
· على مستوى الحضارة: حضارتنا قامت على مفهوم أن نعمة الإسلام "بلاء مبين"، فحمّلت السلف مسؤولية التبليغ.

ثالثاً: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآيات وكيف نطبقها في واقعنا

المحور الأول: إلى ما تدعونا إليه الآيات؟

· تدعونا للثقة في نصر الله وتنجيته لعباده الصابرين.
· تدعونا لاستشعار المسؤولية عن أي شرف أو نعمة نلناها.
· تدعونا للنظر إلى كل نعمنا على أنها اختبار وبلاء.

المحور الثاني: كيف نطبق هذه الآيات؟ وماذا نتعلم منها في حياتنا العملية؟

.1تطبيق "نجّينا":
· إذا ضاقت بك السبل، اقرأ هذه الآية .قل: "اللّهم كما نجيت بني إسرائيل من فرعون، نجني مما أنا فيه".
· إذا رأيت مستضعفاً، بشّره بأن "التنجية" قادمة.
.2تطبيق "اخترناهم":
· إذا كنت في موقع مسؤولية) معلم، مدير، والد(، تذكر أنك "مختار على علم"، فكن على قدر الا ختيار.
.3تطبيق "بلاء مبين":
· كل صباح، تذكر ثلاث نعم في حياتك) الصحة، البيت، العمل (وقل: "اللّهم أعني على شكر هذا الب لاء المبين".
.4عبرة ختامية: لا تكن كفرعون فشل في بلاء النعمة فكان من المغرقين، ولا تكن كبني إسرائيل)في مرحلة تقصيرهم (ففشلوا في بلاء النعمة والآيات فوقعوا في التيه .بل كن عبداً شكوراً صابراً.
الرسالة الخاتمة

ختاماً، هذه الآيات الأربع ترسم لك الطريق كاملا ً بعد الخلاص من "الدخان" والطغيان. أنت لم تُخلق لتهلك في "العذاب المهين"، بل خُلقت لتُختار، ولتُمنح الآيات، ولتُبتلى لترى أين أنت من ربك. نجاة الأ مس لا تعني أمان اليوم. بل هي بداية اختبار أعظم. فانظر كيف تتعامل مع النجاة، وكيف تتعامل مع النعم، فكلها بلاء مبين، والموفق من وفقه الله للشكر والصبر.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع الثالث

القسم الاول

المبحث الاول

ها نحن نقترب من نهاية المطاف في هذا الخطاب القرآني المتين. بعد أن عرضت السورة أمامنا لوحتين متقابلتين: لوحة نهاية من اغتر بالمال والجاه والسلطان (فرعون وقومه)، ولوحة نجاة المستضعفين المؤمنين واصطفائهم وتكليفهم بالآيات، تتوقف الآيات الآن لتكشف عن العلة الحقيقية لعدم انتفاع المشركين بهذه السنن الجلية. إنها آيات تقوم بتشريح العقلية التي لا تتعظ، وتكشف الجذور العميقة للغفلة والإنكار.

دعنا نقف بتأمل شديد مع هذه الآيات البينات:

(إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ (34) إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ (35) فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (36))

تخيل المشهد: لقد قصصت عليهم قصة فرعون وموسى، ورأوا فيها سنة الله في إهلاك الطغاة ونجاة المؤمنين. كان المتوقع أن يهتزوا وأن يسألوا أنفسهم عن مصيرهم. لكنهم بدلا ً من ذلك، يقابلون هذا القصص القرآني المحكم بهذا القول السطحي العجيب! إن هذه الآيات الثلاث تفسر لنا لماذا لا ينتفع هؤلاء بآيات الله، وتكشف عن عمق المرض الفكري والنفسي الذي يعانون منه.

أولا ً: تحليل أجزاء الآيات وربطها بالسياق

نحن الآن أمام المحك الحقيقي. لقد سمعوا الإنذار، ورأوا مصارع الأولين، وشاهدوا كيف أن المال والزينة و القوة لم تغنِ عن فرعون شيئاً. فما هو رد فعلهم؟ إنهم لا ينكرون أن فرعون هلك، لكنهم ينكرون العلة! إنهم لا ينكرون الموت، بل ينكرون ما بعد الموت. وهذا هو مربط الفرس، ومصدر الداء الذي جعلهم في شك يلعبون.

الأمر الأول: تحليل قوله تعالى (إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ)

١. ما دلالة التعبير بـ (إِنَّ هَٰؤُلَاءِ)؟ ولماذا جاء بصيغة البعيد؟

"إن" للتوكيد، و"هؤلاء" اسم إشارة للبعيد. لاحظ كيف أن الله يعرض قولهم بتوكيد، مما يعني أن هذا القول صدر منهم بيقين جازم، على بطلانه. والتعبير بـ "هؤلاء" بدلا ً من "إنهم" فيه دلالة على الازدراء والاستبعاد، وكأن الله يقول لنبيه: "انظر إليهم، أولئك البعيدون عن الفهم، المحجوبون عن الحق، إنهم يقولون هذا القول العجيب". إنها إشارة إلى بعدهم عن الحق والعلم.

· الرسالة النفسية: أن تستشعر خطورة الكلمة. قولهم هذا لم يكن مجرد خطأ، بل هو عنوان شخصيتهم وأساس مشكلتهم. فانظر ماذا تقول، وبماذا تجزم، فكلماتك تعكس أعماقك.

· الرسالة العقلية: أن تفرق بين الجهل البسيط والجهل المركب. هؤلاء لا يجهلون فقط، بل يجزمون بجهلهم ويبنون عليه فلسفة كاملة. أخطر أنواع الجهل هو الذي يوقن صاحبه بأنه على علم.

· الرسالة التربوية: علم أبناءك ألا يتسرعوا في الجزم بشيء لا يعلمونه. قول: "لا أدري" نصف العلم. أما الجزم

بما يخالف الوحي فهو الضلال المبين.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الجزم بالباطل هو قمة الضلال، وهو الذي يجعل الإنسان بعيداً عن الحق.

· المثال التقريبي: طالب في الصف، يُسأل عن مسألة معقدة، فيجيب بثقة مطلقة: "هذا هو الجواب الصحيح الوحيد، وكل ما عداه خطأ!". ثم يكتشف المعلم أن إجابته خاطئة تماماً. ثقته العالية جعلت خطأه أفدح. الكفار لم يقولوا: "نظن أنه لا بعث"، بل جزموا: "ما هي إلا موتتنا الأولى".

· المثال التقريبي الثاني: مريض يذهب للطبيب، فيقول الطبيب الجاهل بثقة: "مرضك بسيط، وهو كذا وكذا فقط، لا غير!". ثم يتبين أن المرض خبيث. الجزم القاتل هنا ضاعف المشكلة.

الأمر الثاني: تحليل قوله تعالى (إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى)

١. ما دلالة أسلوب الحصر (إِنْ هِيَ إِلَّا)؟ وما معنى (مَوْتَتُنَا الْأُولَى)؟

هذا أسلوب حصر وقصر شديد. إنهم يحصرون الوجود كله في هذه الحياة الدنيا وفي هذه الموتة الأولى. لا شيء بعدها. لا بعث، لا حساب، لا جنة، ولا نار. هذه هي "النظرة السطحية للأحداث" بعينها. إنهم يرون الموت نهاية مطلقة، وانقطاعاً تاماً للوعي والشعور. وهذا بالضبط ما يجعلهم لا ينتفعون بسنن الله في الأرض. لأن من يظن أن الموت هو النهاية، لن يفكر في عواقب أفعاله، ولن يأخذ العبر من مصارع الطغاة إلا على أنها مجرد حوادث مادية عشوائية. "موتتنا الأولى" تعني أنهم لا يتوقعون موتة ثانية يبعثون بعدها، فهم لا يرون إلا هذه الدورة المادية المحدودة.

· الرسالة النفسية: أن ترى كيف أن إنكار الآخرة يُفقد الحياة معناها وهدفها. هؤلاء يعيشون حياة لا هدف لها و لا غاية، لأنهم يرون الموت جداراً نهائياً. ولذلك هم في "شك يلعبون"، لأنهم لا يشعرون بالمسؤولية.

· الرسالة العقلية: هذه النظرة المادية البحتة هي قمة السطحية الفكرية. إنها تعجز عن تفسير لماذا نعيش، ولماذا نموت، ولماذا كان كل هذا؟ العقل المحصور في المادة وحده لا يستطيع الإجابة، فيلجأ إلى العبثية.

· الرسالة التربوية: غرس عقيدة البعث هي أساس التربية. إذا نشأ الطفل وهو يعلم أن هناك حياة أخرى سيُسأل فيها عن كل صغيرة وكبيرة، فإنه سيتحمل المسؤولية، وسيجد للحياة معنى. أما إنكار البعث فيجعل التربية مجرد تدريب على الحياة الدنيا فقط.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: إنكار ما بعد الموت هو أصل الغفلة واللامسؤولية، وهو الذي يجعل الإنسان لا يأخذ العبر من أحداث الحياة.

· المثال التقريبي: مجموعة من الطلاب في رحلة، دليلهم يقول لهم: "سنصل إلى وادٍ عميق، ومن يسقط فيه لن

يعود". أحدهم يقول: "ما هي إلا سقطة واحدة، ولن نعود بعدها أبداً". هذا الطالب سيلعب على حافة الهاوية، ولن يبالي بتحذيرات الدليل. لكن طالباً آخر يؤمن بأن هناك من سينقذه ويعيده ليحاسب، سيكون شديد الحذر. هكذا هو حال المؤمن بالآخرة مع منكرها في هذه الحياة.

· المثال التقريبي الثاني: موظف يعلم أن عمله سينتهي بالتقاعد الأبدي، ولا يوجد أي رقيب بعدها. هذا الموظف قد يهمل ويختلس. أما من يعلم أن هناك هيئة رقابية بعد التقاعد، فسيعمل بأمانة. الكفار ظنوا أن الموت هو التقاعد النهائي، فلا جنة ولا نار.

الأمر الثالث: تحليل قوله تعالى (وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ)

١. ما معنى (مُنْشَرِينَ)؟ وكيف يعبر هذا اللفظ عن استبعادهم للبعث؟

"منشرين" من النشر، وهو الإحياء بعد الموت. "وما نحن بمنشرين" أي بمبعوثين أحياء بعد الموت. هذا تأكيد إضافي منهم على استحالة البعث في نظرهم. إنهم لا ينكرون فقط أن يحاسبوا، بل ينكرون أصل العودة للحياة. لقد مات آباؤهم ولم يعودوا، فكيف يعودون هم؟ لسان حالهم ومقالهم: "يستحيل أن نعود مرة أخرى بعد أن نصير تراباً وعظاماً". هذا الاستبعاد هو نتيجة حتمية لتحجر الفكر المادي وسطحيته. إنهم يقيسون قدرة الله بقدراتهم المحدودة، وينسون أن الذي أوجدهم من عدم قادر على إعادتهم.

· الرسالة النفسية: اليأس من رحمة الله. هؤلاء ليسوا فقط منكرين، بل هم قانطون. "وما نحن بمنشرين" تعني أنه لا أمل لهم في مستقبل بعد الموت. هذا القنوط يجعل حياتهم الأرضية جحيماً نفسياً بالرغم من كل زينتهم.

· الرسالة العقلية: الاستبعاد ليس دليلاً. أن تستبعد شيئاً لا يعني أنه مستحيل. هم انطلقوا من مقدمتهم الجاهلة: "لم نرَ ميتاً يعود"، ليصلوا إلى نتيجة: "لن نعود". وهذا قياس فاسد. العلم الحقيقي يقر بأن قدرة الله فوق كل تصور.

· الرسالة التربوية: أن تزرع في نفوس الأبناء عظمة قدرة الله. القاعدة: لا تقل لشيء "مستحيل" إلا إذا كان ممتنعاً لذاته. أما إعادة الحياة، فهي ليست مستحيلة، بل هي ممكنة، وقد أخبر الصادق بها.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: استبعاد البعث واليوم الآخر هو نتيجة حتمية للتفكير السطحي المادي، وهو الذي يفقد الإنسان الشعور بالمسؤولية.

· المثال التقريبي: رجل أمّي يعيش في الصحراء، قيل له: "يوجد صندوق صغير في يد رجل في أقصى الأرض، يفتحه، فتظهر فيه صورة متحركة وصوت لامرأة تغني". يقول: "مستحيل! ما هذا إلا شعوذة". هو استبعد لأنه قاس كل شيء على ما يعرفه. الكفار استبعدوا البعث لأنهم قاسوا قدرة الله على ما يعرفونه من قدرات البشر.

· المثال التقريبي الثاني: مريض يائس يقول لطبيبه: "شفائي مستحيل، وما أنا بشافٍ بعد هذا المرض". الطبيب المؤمن يقول: "الطب لا يعرف مستحيلاً، والله على كل شيء قدير". الكفار قالوا: "وما نحن بمنشرين"، فرد عليهم القرآن: (بلى قادرين).

الأمر الرابع: تحليل قوله تعالى (فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)

١. ما دلالة هذا التحدي؟ وكيف يكشف عن جهلهم العميق؟

هذا هو التحدي الساخر الذي ألقوه في وجه النبي صلى الله عليه وسلم. "فأتوا بآبائنا الأولين الذين ماتوا، أحيوهم أمامنا، إن كنتم صادقين في أن هناك بعثاً وحياة بعد الموت". إنهم يطلبون إحياء آبائهم فوراً كدليل على البعث! وهذا يكشف عدة أمور:

· أولاً: جهلهم بحقيقة البعث الذي سيكون في يوم القيامة يوم الحساب، لا في الدنيا حيث تنتهي دار الابتلاء.

· ثانياً: سطحيتهم المطلقة في فهم الدعوى. الرسول لم يدعُ أنه يملك إحياء الموتى، بل هو رسول يبلغ أن الله سيفعل ذلك.

· ثالثاً: عدم جديتهم، فهم في (شك يلعبون)، وهذا التحدي هو من باب اللعب والهزؤ، لا طلب الحقيقة. ولو أوتي آباؤهم أحياءً، لوجدوا عذراً آخر لكفرهم.

· رابعاً: هذا الطلب يبين أنهم فقدوا العلم الحقيقي. روحهم منقطعة الصلة بربها، عقولهم لا تستوعب إلا المادة، فطلبوا دليلاً مادياً على أمر غيبي، وهذا ضلال.

· الرسالة النفسية: أن تكون جاداً في بحثك عن الحق. لا تكن كمن يسأل أسئلة تعجيزية لا للوصول للحقيقة، بل لتبرير بقائه في غفلته. كثير من اللادينيين اليوم يفعلون الشئ نفسه.

· الرسالة العقلية: التحدي هنا سخيف عقلياً. هم يطلبون تعجيل البعث أو إعادة الموتى في الدنيا، وهذا لم يخبر به النبي أصلاً. هذا يدل على أنهم لا يفهمون حتى فحوى الرسالة.

· الرسالة التربوية: علم أبناءك أدب السؤال. السؤال للتعلم، لا للتعجيز. وعلمهم ألا يطلبوا من العلم ما ليس من شأنه، فالمادة لا تثبت الغيب ولا تنفيه.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: التعنت وطلب الأدلة المادية على كل أمر غيبي هو دليل على الجهل وفقدان البصيرة، وعلى أن صاحبه غير جاد في بحثه عن الحقيقة.

· المثال التقريبي: طفل صغير، تقول له أمه: "لا تضع إصبعك في الكهرباء، فهذا مؤذ جداً". فيقول: "لن أصدقك حتى أرى الكهرباء! ائتني بالكهرباء لأراها!". هذا هو منطقهم تماماً. هم يطلبون رؤية البعث في الدنيا.

· المثال التقريبي الثاني: طالب في حصة الفلسفة، يشرح الأستاذ مفهوم "الزمن". يقاطعه الطالب بسخرية: "ائتني بالزمن في كوب لأراه، إن كنت صادقاً!". هذا التحدي السخيف لا يثبت شيئاً، بل يثبت جهل الطالب بموضوع النقاش.

· المثال التقريبي الثالث: رجل أعمى يقول: "أنا لا أصدق بوجود الألوان، ائتوني باللون الأحمر لألمسه!". هذا مستحيل، ليس لأن الألوان غير موجودة، بل لأن حاسة اللمس لا تدركها. الروح لا تدرك إلا بالمادة، فطلب دليل مادي عليها هو عمى بصيرة.

٢. كيف أن كل هذا يفقدهم نور العلم ورؤية حقائق الأشياء؟

خلاصة القول: هؤلاء القوم يعيشون في ظلمات. ظلمة إنكار الآخرة، وظلمة الشك، وظلمة العبث. لقد ربط الله على قلوبهم بسبب إعراضهم. إنكار البعث جعلهم لا يشعرون بالمسؤولية (فلا يستعدون ليوم الحساب)، وعدم الشعور بالمسؤولية جعلهم لا يأخذون العبر من مصارع الأولين (فرعون وغيره)، وعدم أخذ العبر جعل نظرتهم لـ لأحداث سطحية (مجرد تقلبات مادية)، والنظرة السطحية أفقدتهم العلم الحقيقي (لا بصيرة لديهم)، وفقدان العلم جعلهم في حيرة واضطراب وشك دائم. إنها حلقات متصلة من الضياع، تبدأ بإنكار البعث، وتنتهي في متاهة التيه الروحي والعقلي الذي لا خلاص منه إلا بنور الوحي واليقين بوعد الله ووعيده.

ثانياً: المفاهيم والقيم وأبعاد الآية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

المحور الأول: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآيات

· المفهوم النفسي: العلاقة الطردية بين الإيمان بالآخرة والطمأنينة. إنكار الآخرة يولد قلقاً وجودياً، لأن الحياة تفقد معناها. الإيمان بالآخرة هو الضمانة لصحة نفسية متوازنة.

· المفهوم التربوي: بناء الإحساس بالمسؤولية يُبنى على الإيمان بالحساب. التربية التي لا تزرع في الطفل أنه سيُسأل يوم القيامة هي تربية ناقصة.

· المفهوم الفكري: المادية سجن فكري. الآيات تظهر أن حصر الوجود في "موتتنا الأولى" هو أكبر عائق للعلم الحقيقي، لأنه يغلق نافذة الغيب.

المحور الثاني: أبعاد الآية وآفاقها نفسياً وفكرياً وعقائدياً

· البعد العقائدي: البعث حجر الزاوية. الإيمان باليوم الآخر هو نصف الإيمان تقريباً. هذه الآيات تريك الوجه الآ خر للذين ينكرونه، لترى نفسك فيه.

· الأفق الفكري: لماذا يسقط الذين لا يؤمنون بالآخرة؟ لأنهم يفقدون البوصلة. هم مثل من يبني قصراً على متن سفينة تغرق.

· البعد النفسي: النظرة السطحية للأحداث. الآيات تعالج هذه النظرة من جذورها. لكي تعمّق نظرتك للأحداث، عليك أن تؤمن أن هناك ما بعد الموت.

المحور الثالث: القيم المستنبطة من الآيات

· قيمة اليقين بالآخرة.

· قيمة أخذ العبر (التي يفتقدونها).

· قيمة الصدق في طلب الحق (ضد التحدي الساخر).

· قيمة الشعور بالمسؤولية.

المحور الرابع: مفاهيم البناء والتنمية في الآيات

· بناء إنسان مسؤول. الإيمان بالآخرة هو المحرك الأكبر للضمير. مجتمع بلا ضمير لا يمكن أن ينهض.

· التنمية بالعلم الشامل. العلم الشامل هو الذي لا يقتصر على المادة، بل يشمل الإيمان بـالله واليوم الآخر. هذا العلم هو الذي يبني حضارات باقية.

المحور الخامس: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

· على مستوى الإنسان: ارجع إلى قبرك في خيالك، واسمع قولهم: (إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ)، وقل: "يا رب، إني آمنت بأنها موتتي الأولى، وأن بعدها النشر، فاغفر لي".

· على مستوى المجتمع: مجتمع يملأ قلبه اليقين بالآخرة هو مجتمع آمن، أفراده لا يظلمون، لأنه "وما نحن بمنشرين" غير موجودة في قاموسهم.

· على مستوى الحضارة: الحضارة الغربية المعاصرة تدور في فلك "موتتنا الأولى" هذه. أليس هذا هو سر قلقها ؟ نحن نملك الدواء: "إن الآخرة هي دار القرار".

ثالثاً: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآيات وكيف نطبقها في واقعنا

المحور الأول: إلى ما تدعونا إليه الآيات؟

· تدعوك لتعيش لهدف: أن حياتك ليست موتة واحدة، بل أنت مخلوق للخلود، فاعمل لما بعد الموت.

· تدعوك لليقين بالبعث: وألا تجعله مجرد كلمة، بل عقيدة تحرك سلوكك.

· تدعوك لترك الجدال العقيم: وألا تطلب آيات بمواصفاتك.

المحور الثاني: كيف نطبق هذه الآيات؟ وماذا نتعلم منها في حياتنا العملية؟

1. تطبيق "مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ":

· كلما رأيت جنازة، قل: "هذه الموتة الأولى، وبعدها النشر، اللهم يسر حسابي".

· إذا عصيت، تذكر أن هذه المعصية سجلت، وستراها يوم النشر.

2. تطبيق "فَأْتُوا بِآبَائِنَا":

· في حواراتك مع الملحدين، لا تنجر لمعارك جانبية. ركز على الأصل: من خلق الكون. لا تدخل في تحديات لإثبات الغيب بالمادة.

· كن جاداً غير ساخر، واطلب الهداية للناس.

3. علاج السطحية:

· اقرأ التاريخ بعين (كمْ تَرَكُوا) وعين (إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ). انظر نهايات الأمم، واربطها بسنن الله، ولا تكن سطحياً.

4. قوة اليقين:

· اجلس مع نفسك واسأل: "لو كان البعث اليوم، هل أنا مستعد؟". هذا السؤال يقتلع منك جذور "الشك و اللعب".

الرسالة الخاتمة

ختاماً، هذه الآيات الثلاث تصور لك أعمق أعماق المرض الذي يصيب البشرية حين تقطع صلتها بالله واليوم ا لآخر. إنه مرض "السطحية القاتلة". السطحية في فهم الحياة، وفي فهم الموت، وفي فهم التاريخ. هؤلاء الكفار ، بإنكارهم للبعث، حكموا على أنفسهم بأن يعيشوا في ظلمات الحيرة، فلا هم انتفعوا بزخرف الدنيا، ولا هم أمنوا عذاب الآخرة.

وأنت يا من تقرأ هذه الآيات، أنت مدعو لأن تكون على الضد منهم تماماً. مدعو لأن تؤمن بأن (إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ) هي كلمة الخاسرين. أما كلمة الفائزين فهي: (قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ). فاختر لنفسك أياً من الفريقين تريد أن تكون.

المبحث الثانى

الرد الالهي على تلك التصورات الفاسده وعلى الانخداع بالقوه والسلطان والجاه والمال والسطحيه فى التفكير وإنكار البعث والنشور من خلال الاتى

اولا

قراءه التاريخ القراءه الشرعيه

نحن الآن أمام آية هي من أعظم ما يُرسّخ "فقه السنن" في قلب المؤمن. لقد مضت السورة في عرض مشاهد من التاريخ: فرعون وقومه، وبنو إسرائيل، ثم كشفت عن عقلية المنكرين السطحيين الذين لا ينتفعون بهذه

المشاهد. والآن، وبدلا ً من الاستمرار في الجدل النظري معهم، يأخذهم الله سبحانه وتعالى إلى درس تاريخي جديد، ولكن هذه المرة من بيئتهم هم، من الأرض التي يمرون عليها في رحلات الشتاء والصيف. إنه توجيه مباشر من الله لعباده إلى قراءة التاريخ والتأمل في مصارع الأمم المحيطة بهم.

دعنا نقف بتأمل شديد مع هذه الآية الكريمة التي تفتح لنا باب "فقه السنن" على مصراعيه:

(أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَاهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (37))

تخيل المشهد: كفار قريش يسمعون هذه الآية، فيقفز إلى أذهانهم فوراً ذلك الملك اليماني العظيم وتلك الحضارة التي سادت ثم بادت، والتي لا تزال آثارها شاهدة على وادي النمل. إنه تذكير مزلزل بأن القوة والمنعة لا تشفعان لأحد إذا خالف أمر الله.

أولا ً: تحليل أجزاء الآية وربطها بالسياق

لقد وصلنا إلى مرحلة متقدمة في السورة، حيث تم عرض النماذج المختلفة من التاريخ، وتم الكشف عن عقلية المنكرين للبعث. الآن، وقبل أن تنتقل السورة إلى مشاهد يوم القيامة، تأتي هذه الوقفة القصيرة ولكن العميقة، لتقرع أسماع كفار قريش بأن سنة الله في إهلاك المجرمين ليست بعيدة عنهم، بل هي قريبة، ولها شواهد يعرفونها تمام المعرفة، ويمرون على ديارهم مصبحين وبالليل.

الأمر الأول: تحليل قوله تعالى (أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ)

.1ما دلالة أسلوب الاستفهام) أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ(...؟

هذا ليس استفهاماً حقيقياً يطلب جواباً، بل هو استفهام تقريري إنكاري. كأن الله يقول لهم: "هل تظنون أنفسكم -يا معشر كفار قريش- خيراً وأعظم منزلةً ومقاماً وأكثر حظاً من الدنيا من قوم تبع؟". إن أسلوب الا ستفهام هنا يجبر العقل على المقارنة، ويصادر على الفور أي وهم بالاستثناء من السنن الإلهية. الجواب الضمني المطلوب هو: "كلا، هم ليسوا بخير منهم". فهم أقل منهم مالا ً وقوة وحضارة. فإذا كان الأقوى قد هلك، فمن باب أولى أن يهلك الأضعف. إنه ترهيب مبني على منطق عقلي صارم: النجاة من العذاب والمصير الذي انتهى إليه أولئك ليست بالتفوق المادي، بل بتجنب أسباب الهلاك.

· الرسالة النفسية: أن تشعر أن موقعك وقوتك لا يمنحانك أي حصانة من عقاب الله. هذا الاستفهام يهز كبرياءك، ويجعلك تنظر إلى نفسك نظرة تواضع، ويخلصك من وهم "نحن مختلفون".

· الرسالة العقلية: أسلوب الاستفهام هو أسلوب تعليمي فعال. إنه يدفع المتلقي للتفكير بنفسه، ويدفعه ليقول: "صحيح، أنا لست خيراً من الذين هلكوا". هذا أفضل من ألف جملة خبرية مباشرة.

· الرسالة التربوية: استخدم أسلوب المقارنة والأسئلة في التربية. لا تقل لابنك: "لا تتكبر!"، بل قل له: "هل أنت خير من فلان الذي كان متكبراً فأدبه الله؟". هذا يجعله يفكر ويقتنع ذاتياً.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: القوة والغنى والمنزلة ليست معياراً للنجاة، والتاريخ يثبت أن الأقوى قد هلكوا، فكيف بمن هم دونهم.

· المثال التقريبي: رجل أعمال متوسط الحال يتكبر على زميل له. قال له ناصح: "هل أنت أغنى من قارون الذي خسف الله به الأرض؟". هذا السؤال وحده كفيل بأن يخجله ويوقفه عند حده.

· المثال التقريبي الثاني: طالب مغرور يقول: "أنا أذكى طالب". قال له المعلم: "هل أنت أذكى من فلان وفلان من العلماء الذين كانوا أشد تواضعاً لله؟". هذا الأسلوب الاستفهامي أبلغ من الأمر المباشر.

.2لماذا خص الله) قَوْمُ تُبَّعٍ (بالذكر هنا؟ وما أهمية قراءة أوضاعهم؟

"تبع" هو ملك حميري يمني عظيم، كان له ملك واسع وجيش قوي، وقاد دولة عظمى في جنوب الجزيرة العربية. والحميريون كانت لهم حضارة عظيمة: سد مأرب، والقصور المشيدة، والجنات التي ذكرها الله في سورة سبأ. وماذا كانت نهايتهم؟ سيل العرم، والدمار، والتفرق في البلاد. وقريش تعرف هذا تماماً لأنهم يمرون على آثارهم في رحلاتهم. إنه نموذج تاريخي قريب ومحسوس بالنسبة لهم، وليس مجرد قصة عن أمة بعيدة. واختيارهم هنا توجيه إلهي إلى قراءة كيف كانت أوضاعهم، وكيف كانت نهايتهم، عبر مطالعة آثارهم الباقية.

· الرسالة النفسية: أن تتيقن أن العذاب يمكن أن ينزل في أي لحظة، وفي أي مكان، حتى على أمة عظيمة كحمير. لا تأمن مكر الله.

· الرسالة العقلية: اختيار مثال قريب ومحسوس يجعل الحجة أقوى وأثبت. عندما يكون النموذج المهلك من بيئتك، يصبح الاتعاظ به أعمق وأوقع.

· الرسالة التربوية: عند ضرب الأمثال، استعمل أمثلة قريبة من حياة الناس وبيئتهم، ليكون التأثير أكبر. وعلم أبناءك قراءة التاريخ القريب والبعيد للوصول إلى اليقين.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: قرب المثال التاريخي يزيد من قوته التربوية، ويجعل العبرة به أكثر رسوخاً في النفوس.

· المثال التقريبي: في حي من الأحياء، كان هناك رجل غني جداً يظلم الناس، فجأة أفلس وطرد من بيته وسجن. كل من في الحي يعرف قصته. عندما تريد أن تنصح جارك الظالم، تقول له: "هل تظن أنك أقوى من فلان الذي رأينا نهايته بأعيننا؟". هذا أبلغ من حكاية قصة أمة بعيدة.

· المثال التقريبي الثاني: مدير قسم يتجبر على موظفيه. يقول له زميله: "اذكر المدير السابق الذي طرد من الشركة. هل أنت خير منه؟". المثال القريب صعب التجاهل.

الأمر الثاني: تحليل قوله تعالى (وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ)

.1لماذا عمم الله بذكر) وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ(؟

الآية لم تكتف بقوم تبع، بل أضافت (وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أي من الأمم السابقة كلها، كعاد وثمود وقوم نوح وفرعون. هذه إضافة تعميمية تؤكد أن هذه سنة إلهية ماضية لا تتعلق بأمة محددة. المشهد الآن كامل: أمامهم تاريخ طويل من الأمم التي هلكت، وكأن الآية تقول: "انظروا يميناً ويساراً، إلى الماضي القريب والبعيد، ألم تروا كيف هلك المجرمون؟!".

· الرسالة النفسية: أن تستشعر أنك جزء من نسيج تاريخي، وأن قانون الله ينطبق عليك كما انطبق على من قبلك. لا تظن أنك استثناء.

· الرسالة العقلية: التعميم بعد التخصيص (قوم تبع) هو قانون استقرائي. إنه يعلمنا أن نستنبط القوانين العامة من الوقائع الخاصة.

· الرسالة التربوية: علم أبناءك أن ينظروا إلى التاريخ كوحدة واحدة. اربط لهم بين هلاك فرعون وتبع وثمود، ليخرجوا بقاعدة: "إن الله يمهل ولا يهمل، والمجرمون هالكون في كل زمان".

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: سنة الله في هلاك المجرمين واحدة في كل زمان ومكان، وهي ماضية لا تتخلف.

· المثال التقريبي: طبيب يشرح لطلابه مرضاً. لا يكتفي بحالة واحدة، بل يعرض عليهم مئات الحالات من بلدان وأزمنة مختلفة، حتى يصلوا إلى اليقين بأن المرض يقتل إذا لم يعالج. القرآن يعرض حالات متعددة (قوم تبع، والذين من قبلهم) لنصل إلى يقين بقانون هلاك المجرمين.

· المثال التقريبي الثاني: رجل مرور يريد أن يثبت أن السرعة تقتل. لا يعرض حادثاً واحداً، بل إحصاءات لحوادث من كل العالم. هذا هو التعميم: "كل من يسرع، يهلك".

الأمر الثالث: تحليل قوله تعالى (أَهْلَكْنَاهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ)

1. ما دلالة إسناد الفعل) أَهْلَكْنَاهُمْ (إلى ضمير العظمة؟

"أهلكناهم" يعني أن الإهلاك كان بقدرة الله مباشرة، وتدبيره، وإرادته. لم يقل "هلكوا" بصيغة المطاوعة، بل نسب الإهلاك إليه سبحانه. هذا تقرير عقائدي مهم: مصارع الأمم ليست مجرد حوادث طبيعية عشوائية، بل هي فعل إلهي متعمد بالعقاب. هذا هو فقه السنن: أن ترى يد الله في أحداث الكون، فلا تظن أن هلاك أمة كان بسبب زلزال أو فيضان فقط، بل هو عقاب إلهي بسبب إجرامهم، يسلطه الله على من يشاء.

· الرسالة النفسية: هيبة الله في قلبك. عندما تعلم أن هلاك الأمم هو "إهلاك من الله"، فإنك تخاف من مخالفة أمره أشد الخوف.

· الرسالة العقلية: فهم التدبير الإلهي للتاريخ. الأحداث ليست فوضى، بل هي فعل منظم ومقصود.

· الرسالة التربوية: علموا الأبناء أن يقولوا عندما يسمعون عن كارثة: "هذا من فعل الله، يهلك به من يشاء". هذا يربطهم بالله ويمنع التفسيرات المادية البحتة.

.2لماذا علل الله الإهلاك بـ) إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ(؟ وما أهمية ربط النتيجة بالسبب؟

هنا يكمن المفتاح الأعظم لفقه السنن. العلة ليست الفقر، ولا الضعف العسكري، بل الإجرام. "مجرمين" تشمل كل معاني قطع ما أمر الله به أن يوصل، وتجاوز الحدود، والظلم، والكفر، وتكذيب الرسل. وهذا يربط الآية مباشرة بموقفهم من الرسل والرسالات: أنهم أجرموا في حق أنفسهم بالكفر، وفي حق غيرهم بالظلم، وفي حق الله بتكذيب رسله. وهذا هو السبب الوحيد للهلاك. فما دامت العلة هي الإجرام، فما دامت العلة موجودة فيكم أيها الكفار، فتوقعوا العقاب. إنها معادلة واضحة: إجرام = هلاك.

· الرسالة النفسية: أن تراجع أفعالك. هل أنت من المجرمين؟ الإجرام ليس فقط القتل والسرقة، بل أشد الإجرام هو الكفر بالله وتكذيب رسله.

· الرسالة العقلية: فهم السببية الحقيقية للعقاب. لا تهتم بدراسة قوة جيوشهم أو اقتصاداتهم، بل ادرس "معدل الإجرام" فيهم. هذا هو المقياس القرآني لسقوط الحضارات.

· الرسالة التربوية: علم أبناءك أن يسألوا عندما يقرؤون التاريخ: "بماذا كانوا مجرمين؟". سؤال واحد، لكنه مفتاح فقه التاريخ كله.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: العلة الوحيدة لهلاك الأمم هي الإجرام (الكفر والظلم وتكذيب الرسل)، وهذه العلة إذا وجدت في أمة، فهي مرشحة للهلاك أياً كانت قوتها.

· المثال التقريبي: طبيب يشخص مرض مريضين. الأول عنده سرطان، والثاني عنده زكام. كلاهما يأخذ علاجاً مختلفاً. لكن إذا كان السرطان واحداً، فالعلاج واحد، والنتيجة واحدة إذا لم يعالج. الله يشخص مرض الأمم: "الإجرام". فإذا وجد الإجرام في قوم تبع وفي قريش، فالنتيجة المتوقعة واحدة: الإهلاك، إلا أن يتوبوا.

· المثال التقريبي الثاني: هناك قاعدة في الفيزياء: "لكل فعل رد فعل". هذه سنة كونية. هناك قاعدة في التاريخ: "إنهم كانوا مجرمين = أهلكناهم". هذه سنة إلهية. السنن لا تحابي أحداً. من يلمس كهرباء عارية، يصعق، سواء كان غنياً أو فقيراً. من يكفر ويظلم، يهلك، سواء كان قوياً أو ضعيفاً.

الأمر الرابع: ما هو "فقه السنن" الذي تعلمنا إياه هذه الآية؟ وكيف نطبقه في قراءة الأحداث؟

فقه السنن هو أن تعلم أن لله قوانين ثابتة في عباده، لا تتبدل ولا تتحول. هذه القوانين مستنبطة من تتبع قصص القرآن وأحداث التاريخ. ومن أهم هذه السنن:

.1سنة هلاك المجرمين:) إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ.(

.2سنة الاستدراج: الإمهال ليس إهمالا ً.

.3سنة التداول:) وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاس.(

الآية تعلمنا أن قراءة التاريخ ليست للتسلية، بل لاستيعاب الحدث ودلالة الحدث. لماذا وقع؟ ما هي مقدماته؟ ما هي نتائجه؟ وما هو موقفنا منه؟ عندما تسقط دولة، لا تنظر فقط للعوامل الاقتصادية والعسكرية، بل ابحث عن "الإجرام" الذي كان فيها. إنه يتطلب معرفة السنن التي تحكم الحياة، ولا يمكن القفز فوقها. إن السنن لا تحابي أحداً، فكما أهلكت قوم تبع والذين من قبلهم بسبب إجرامهم، ستهلك كل من سار على دربهم، لأن الله حكم عدل لا يجور.

· الرسالة النفسية: أن تعيش في أمان. أنت لا تخاف من المستقبل لأنك تعرف قوانين اللعبة. أنت فقط تبتعد عن الإجرام، وقد ضمنت السلامة في الدنيا والآخرة.

· الرسالة العقلية: أن تنتقل من عقلية "رد الفعل" إلى عقلية "الاستباق". بدل أن تنهار عندما تقع الكارثة، أنت تتنبأ بها من خلال قراءة سنن الله في الأمم.

· الرسالة التربوية: علموا أبناءكم "فقه السنن" مادة أساسية في حياتهم. هذا هو علم المستقبل الحقيقي. قولوا لهم: "اقرؤوا التاريخ لتعرفوا كيف تعيشوا المستقبل".

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: السنن الإلهية قوانين ثابتة لا تحابي أحداً، وعلى المؤمن أن يقرأ الأحداث من خلالها ليهتدي وليتقي شرورها.

· المثال التقريبي: هناك قانون كوني: "الجاذبية". لا يمكنك القفز من شاهق وتقول: "أنا استثناء!". ستسقط. هناك قانون إلهي: "الإجرام يؤدي للهلاك". لا يمكن لأمة أن تجرم وتقول: "نحن استثناء!". ستهلك. السنة لا تحابي. الفرق أن السقوط المادي فوري، والهلاك المعنوي أو التاريخي قد يتأخر ولكنه آتٍ لا محالة.

· المثال التقريبي الثاني: بستاني عنده مزرعة. كل شجرة لا تثمر، يقطعها. هذه سنته. شجرة تين جميلة لكنها لا تثمر، يقطعها. شجرة زيتون قبيحة لكنها مثمرة، يبقيها. المعيار هو الثمر. الله عنده معيار هو "الإيمان والعمل الصالح". أمة جميلة بأبراجها لكنها مجرمة، يهلكها. أمة متواضعة لكنها مؤمنة، يبقيها. هذه هي السنة، وهذه هي قراءة التاريخ الصحيحة.

ثانياً: المفاهيم والقيم وأبعاد الآية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

المحور الأول: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية

· المفهوم التربوي: التعليم بالاستفهام والمقارنة. الآية تربي فيك عقلية النقد الذاتي من خلال سؤال: (أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ...). هذه أعلى مراتب التربية لأنها تجعل المتعلم شريكاً في استنباط الحكم.

· المفهوم النفسي: كسر الغرور. الآية تحطم الغرور القومي أو الفردي. لا تغتر بقوتك، فالتاريخ مليء بمن هم أقوى منك وقد هلكوا. هذا يورثك اتزاناً نفسياً.

· المفهوم الفكري: فقه السنن والرؤية التوحيدية للتاريخ. الآية تؤسس لعلم كامل هو قراءة التاريخ بعين الله، و الربط بين الأسباب المادية (الإجرام) والنتائج (الإهلاك).

المحور الثاني: أبعاد الآية وآفاقها نفسياً وفكرياً وعقائدياً

· البعد العقائدي: عدل الله المطلق. (إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) تثبت أن الله لا يظلم أحداً، بل هم الذين ظلموا أنفسهم. فالهلاك لم يأتِ جزافاً.

· الأفق الفكري: السنن الاجتماعية. الآية تفتح لك باباً لدراسة علم الاجتماع الإسلامي، الذي يقوم على أن للأ فعال عواقب حتمية، وأن المجتمعات تسير وفق قوانين ثابتة.

· البعد النفسي: الطمأنينة عند رؤية الظلم. إن عاقبهم الله في الدنيا بهلاكهم، فهذا يطمئن قلبك بأن الظلم آيل إلى زوال، وإن لم يروا الهلاك في الدنيا، فهلاك الآخرة أشد.

المحور الثالث: القيم المستنبطة من الآية

· قيمة الاعتبار بالتاريخ: (أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ).

· قيمة التواضع: نفي الخيرية عن النفس.

· قيمة العدل الإلهي: (إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ).

· قيمة فقه السنن: الربط بين الجريمة والعقاب.

المحور الرابع: مفاهيم البناء والتنمية في الآية

· بناء عقلية ناقدة مستوعبة للتاريخ. أمة لا تقرأ تاريخها، ولا تستخلص منه السنن، أمة ميتة لا محالة.

· تنمية الذاكرة الجمعية للأمة: ربط الأجيال بقصص الأولين، ليعلموا أن ما جرى على غيرهم يمكن أن يجري عليهم.

· التحذير من داء "الإجرام" بكل صوره. التنمية الحقيقية لا يمكن أن تقوم على الظلم والفساد.

المحور الخامس: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

· على مستوى الإنسان: انظر إلى نفسك. أأنت خير من فلان؟ هذا السؤال يجعلك دائم الخوف من التقصير، ويحرك فيك دافعاً للعمل الصالح.

· على مستوى المجتمع: مجتمع يدرس تاريخه وتاريخ غيره لاستخلاص السنن، هو مجتمع لا يكرر الأخطاء، ويبني نهضته على أسس متينة.

· على مستوى الحضارة: حضارتنا يجب أن تقوم على درء "الإجرام" بكل صوره (العدل، التوحيد، الأخلاق)، لأن عكس الإجرام هو الإيمان والإصلاح، وهو سبب البقاء والعمران الحقيقي.

ثالثاً: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآية وكيف نطبقها في واقعنا

المحور الأول: إلى ما تدعونا إليه الآية؟

· تدعوك لقراءة التاريخ بعين فاحصة متأملة، باحثاً عن السنن الإلهية.

· تدعوك لئلا تغتر بقوتك أو مالك أو حسبك، فغيرك كان أكثر منك وهلك.

· تدعوك لاستئصال الإجرام من حياتك ومجتمعك، لأنه السبب الوحيد للهلاك.

المحور الثاني: كيف نطبق هذه الآية؟ وماذا نتعلم منها في حياتنا العملية؟

.1تطبيق منهجي في التعلم: اقرأ قصة أمة في القرآن الكريم، وأمامك ورقة وقلم .استخرج منها: ما هو إجرامهم؟ كيف كانت نهايتهم؟ ما هي مقدمات الهلاك؟ طبق هذه المقدمات على واقعك .هذا التمرين يجعلك فقيه سنن.

.2تطبيق نفسي يومي: كلما رأيت نفسك معجباً بقوتك أو ذكائك أو مالك، اسألها:) أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ(؟ هذه

الآية تذيب الكبر في مهده.

.3تطبيق عملي في الدعوة والتربية: استخدم أسلوب السؤال والحوار .قل للناس أو لأبنائك: "هل تعلمون لماذا هلكت تلك الأمة العظيمة؟ إنهم كانوا مجرمين" .هذا الأسلوب يجعلهم يبحثون عن الإجابة بأنفسهم، فيرسخ الإ يمان في قلوبهم.

.4تطبيق في الحياة اليومية: أي مشكلة تواجهك، سل نفسك: "هل هذا بسبب إجرام مني؟" .فقه السببية يجعلك تحل المشاكل من جذورها، ولا تقف عند الأعراض.

الرسالة الخاتمة

ختاماً، هذه الآية الكريمة هي دورة مكثفة في فقه التاريخ والسنن. إنها تعلمك أن التاريخ ليس حكايات للتسلية، وليس مجرد أحداث عشوائية، بل هو مختبر قوانين الله في خلقه. لقد وجهك الله إلى أن تنظر إلى مصارع قوم تبع والذين من قبلهم، لا لتبكي عليهم، بل لترى صورتك أنت فيهم، ولتعلم أن السنن الإلهية لا تحابي أحداً. وكما أهلكهم الله بسبب إجرامهم، فاحذر أن تكون مجرماً فتهلك. المطلوب منك الآن هو أن تخرج من هذه الآية وقد امتلكت "بوصلة السنن" التي تهديك في ظلمات الحوادث والأيام، وتقودك إلى بر الأمان، وتجعلك تعيش حياة هادفة، تستعد بها ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

ثانيا

استشعار المسؤوليه والعيش فى الحياه لغايه وهدف

لقد انتهينا لتوّنا من مشهدٍ تاريخي مهيب، حيث رأينا بأعيننا مصارع قوم تبّع والذين من قبلهم، وكيف أهلكهم الله بسبب إجرامهم. كان ذلك درساً في "فقه السنن". ولكن، يبدو أن هناك من لا ينتفع بالتاريخ! هؤلاء، أين نأخذهم الآن؟ تأخذهم الآيات إلى كتابٍ مفتوح لا يُغلق، كتابٍ يرونه بأعينهم في كل صباح ومساء، ومع ذلك لا يقرؤونه. إنه كتاب الكون المنظور.

دعنا نقف بتأمل عميق مع هاتين الآيتين الكريمتين اللتين تنقلاننا من "آيات التاريخ" إلى "آيات الكون"، لتؤسسا لنقلة نوعية في وعي الإنسان:

(وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (38) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (39))

تخيّل نفسك واقفاً تحت قبة السماء، تنظر إلى إتقانها، وتطأ بقدميك الأرض، وتشعر بدقة نظامها. ثم يستقر في قلبك هذا الإعلان الإلهي: "ما خلقناهما لاعبين". إنها آيتان تقلبان الموازين، وتعيدان تعريف الحياة من العبث إلى الهدف.

أولا ً: تحليل أجزاء الآيتين وربطها بالسياق

بعد الحديث عن الهلاك والعقاب، قد يتساءل سائل: "وما الغاية من كل هذا؟". تأتي هاتان الآيتان لتجيبا عن هذا السؤال الوجودي الكبير، وتربطا بين عظمة الخلق والهدف من وجود الإنسان، وتكشفا عن المرض الفكري

الذي يجعل الأكثرية لا تدرك هذه الحقيقة.

الأمر الأول: تحليل قوله تعالى (وَمَا خَلَقنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ)

.1ما دلالة نفي "اللعب" عن فعل الخلق؟

"لاعبين" أي عابثين، لا لحكمة، ولا لغاية، ولا لهدف. إنه نفي قاطع من الله لنفسه عن صفة النقص هذه. فالله تعالى منزّه عن العبث، لأنه صاحب الكمال المطلق. إذا كان الخلق بكل هذا الإتقان والإبداع المذهل، فهذا وحده دليل على أنه لم يُخلق عبثاً. الدقة والإبداع والاتقان يدل دلالة قطعية على الخالق الحكيم. واللعب لا يصدر إلا عن جاهل أو سفيه أو باطل، والله سبحانه وتعالى هو العليم الحكيم، فكيف يُعقل أن يخلق هذا الكون الفسيح دون غرض؟! هذا النفي هو إثبات للحكمة، وإعلان أن للكون غاية عظمى.

· الرسالة النفسية: أن تملأ قلبك هيبةً وإجلالا ً لله. أن تشعر أن وجودك ليس مصادفة، بل هو جزء من خطة محكمة. هذا الشعور يقتلع من نفسك جذور العبثية والقلق الوجودي، ويمنحك طمأنينة عظيمة بأن لك رباً حكيماً لم يخلقك سدى.

· الرسالة العقلية: الاستدلال بالإتقان على الحكمة. القانون العقلي يقول: "كل صنعة متقنة تدل على صانع حكيم، ولا يمكن أن تكون عبثاً". الساعة الدقيقة تدل على صانع ماهر له هدف. فكيف بالكون المعجز في دقته؟!

· الرسالة التربوية: علموا الأبناء الاستدلال بالنظام على الهدف. حين يرون هاتفاً ذكياً، يسألون: ما فائدته؟ من صممه؟ علموهم أن يسألوا الأسئلة نفسها عن الكون.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: دقة الخلق وإبداعه وإتقانه هو البرهان الأكبر على أن للكون خالقاً حكيماً، وأنه لم يُخلق عبثاً، بل لحكمة وغاية.

· المثال التقريبي: لو دخلت غرفة ووجدت على طاولة قلعة مبنية من ورق الشطرنج بدقة متناهية، هل ستقول: "لقد تجمعت هذه الورق هكذا بالصدفة، وهي مجرد عبث"؟ أم ستسأل فوراً: "من بناها؟ وما هي رسالته من هذا البناء؟". الكون أكبر وأعقد بمليارات المرات، فكيف يُعقل أن يكون عبثاً؟!

· المثال التقريبي الثاني: مصنع ضخم مليء بالآلات الدقيقة التي تتحرك بتناسق. كل آلة تؤدي وظيفة محددة. لا يمكن لعاقل أن يقول إن هذا المصنع وجد صدفة ويدور بلا هدف. هذا هو موقف المؤمن من السماوات والأ رض وما بينهما.

الأمر الثاني: تحليل قوله تعالى (مَا خَلَقنَاهُمَا إلَّا بِالحَقِّ)

.1ما معنى) بِالحَقِّ(؟ وما هو هذا الحق الذي قام عليه الخلق؟

هذا هو الإثبات بعد النفي. (إلَّا بِالحَقِّ) أي خلقناهما خلقاً ملتبساً بالحق، قائماً عليه، وهو ما يستوجبه العدل و الحكمة. "الحق" هنا هو ضد الباطل والعبث والظلم والفساد. فالكون يتحرك بدقة وفق تقدير وتدبير دقيق ومتناسق، وهذا دليل على أن الخلق له غاية وهدف. الحق الذي يقوم عليه الكون يستوجب نفي الباطل، ويستوجب العدل التام. فكما أن السماوات والأرض تتحرك وفق نظام دقيق يحكمها ويصرف أمورها، فكذلك الإ نسان، وهو جزء من هذا الكون، لا بد له من نظام يحكمه ويصرف أموره؛ إنه نظام الحق الذي تقوم عليه حياته.

ولأن الخلق قائم على الحق، فهذا يعني بالضرورة:

· أن هناك إلهاً حقاً يُعبَد (وهو الخالق).

· أن هناك ديناً حقاً يُتَبَع (وهو من عنده).

· أن هناك يوماً حقاً يُجازى فيه الناس (وهو يوم القيامة).

· الرسالة النفسية: أن تستقيم على الحق. إذا كان الكون كله يدور في فلك الحق، فإن خروجك عن الحق يجعلك عنصراً شاذاً في هذا الوجود، متعباً لنفسك، مصطدماً بسنن الكون قبل أن تصطدم بعقاب الآخرة.

· الرسالة العقلية: الربط العقلي بين "خلق الكون بالحق" و"ضرورة الآخرة". إذا كان الله قد خلق الكون بالحق، فمن الحق أن يُجازى المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته. فكما أن للكون سنة ونظام، فللأخلاق سنة ونظام، وجزاؤها يوم القيامة.

· الرسالة التربوية: غرس مفهوم "الحق" كمبدأ مطلق في الحياة. علمهم أن الكون "بالحق"، فالعبوا واجتهدوا، ولكن لا تخرجوا عن الحق، فالظلم والكذب باطل، والباطل فساد وخراب.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الكون قائم على الحق، وبالتالي فحياة الإنسان يجب أن تنبني على الحق، لأن الانحراف عنه شذوذ عن نواميس الوجود.

· المثال التقريبي: سيارة صُنعت لتسير على البنزين وفق نظام معين. هذه هي "الحق" فيها. أن تحاول أن تسيرها على الماء، هو خروج عن الحق، وسيؤدي إلى خرابها. السماوات والأرض خُلقتا بالحق، والله أنزل لنا منهجاً (الحق) لنعيش به. الخروج عن هذا المنهج هو خراب للإنسان والمجتمع.

· المثال التقريبي الثاني: وضعت وزارة الصحة قوانين صحية لحماية الناس. هذه القوانين قائمة على "الحق" العلمي. من يلتزم بها يسلم، ومن يخالفها يهلك نفسه. هكذا، خلق الله الكون بالحق، وشرع لنا شرعه وهو الحق، فمن اتبعه سلم، ومن خالفه هلك.

.2كيف أن الآية تدعو الإنسان ليعيش حياة هادفة بالنظر إلى آيات الله الكونية؟

الآية تعيد صياغة نظرتك للحياة. قبلها، قد تنظر إلى السماء والأرض نظرة ألفة معتادة، فترى زرقة وبحراً وجبا لا ً. أما بعدها، فأنت ترى في كل ذرة آية تدل على الخالق، وتنطق بالحكمة والهدف. هذا الربط بين الإيمان وبين التأمل في الكون هو الذي يصنع الإنسان الهادف. أنت عندما تنظر إلى النظام الدقيق للكون، تعلم أن الله هو المعبود وحده، وأنه لم يخلقك عبثاً. فكما أن للنجوم مداراتها، فلك أنت منهجك. وكما أن الأرض سخّرت لك ، فأنت مكلف بعبادة من سخرها. وهكذا تتحول حياتك من عبث إلى عبادة، ومن عشوائية إلى نظام.

· الرسالة النفسية: تحويل العادة إلى عبادة. أن تأكل وتشرب وتنام وأنت تستشعر أن هذه نعم من الله في كون محكم، هذا هو السمو الروحي الذي يريح النفس ويشعرها بقيمتها.

· الرسالة العقلية: العلم التجريبي إذا قاد إلى الله فهو علم حق. أن تدرس الفيزياء والكيمياء والفلك، وتصل إلى أن هذا النظام لا يمكن إلا أن يكون من عند حكيم، فذلك هو العلم النافع.

· الرسالة التربوية: اصطحب أبناءك إلى الطبيعة. علمهم أن يتأملوا. لا تقل: "انظر، ما أجمل السماء!" فقط، بل أضف: "انظر إلى هذا الإتقان، هذا صنع الله الذي خلقها بالحق. أتظن أنه خلقها عبثاً؟". هكذا تبنى العقيدة حية.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: التأمل في آيات الله الكونية هو الطريق إلى معرفة عظمته، وبالتالي إلى تحقيق معنى العبودية و العيش الهادف.

· المثال التقريبي: إنسان يمشي في الشارع ويسمع موسيقى جميلة من نافذة، فيتوقف منبهراً ويسأل: "من يعزف؟". هذا هو حال المؤمن مع الكون. يرى الجمال فيتذكر خالقه، ويسعى لمعرفة مراده.

· المثال التقريبي الثاني: عالم آثار يجد لوحة أثرية مرسومة بدقة. يقضي عمره في دراستها: من رسمها؟ ماذا أراد أن يقول؟ هكذا يجب أن نكون مع لوحة الكون.

الأمر الثالث: تحليل قوله تعالى (وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ)

.1من هم الأكثرية؟ ولماذا "لا يعلمون" هذه الحقيقة الواضحة؟

"الأكثرية" هنا هم الكفار والغافلون، الذين يمرون على هذه الآيات الكونية وهي في متناول أبصارهم، ومع ذلك لا يدركون الغاية من الخلق (وهي عبادة الله)، ولا يربطون بين دقة الخلق وعظمة الخالق، ولا بين حكمة الخلق وضرورة الجزاء. فمشكلتهم أنهم لا يتأملون، بل ينظرون إلى الكون نظرة الأ ُلفة والإهمال، فلا يستحضرون المشاعر والأحاسيس بقدرة الله الخارقة في الإبداع والخلق والتحكم بالكون. هم مثل من اعتاد رؤية معجزة يومية ففقد إحساسه بها.

وهذا هو المرض نفسه الذي تحدثنا عنه: فقدان العلم. هم لا يملكون العلم الذي يرون به الحقائق، ولا البصيرة

النافذة. إنهم ينظرون إلى آيات الله الكونية نظرة سطحية، تماماً كما يقرؤون التاريخ قراءة مادية لا يربطونها بموقف الناس من الرسل والرسالات. وبالتالي، فهم لا يدركون أن الخالق هو الذي يحدد للإنسان نظام الحياة، مثلما جعل للأرض والسماوات نظاماً وناموساً يديرها.

· الرسالة النفسية: أن تحمد الله أن جعلك من القلة العالمين. أن تدعوه أن لا يجعلك من الأكثرية الغافلين، الذين ألفت قلوبهم أعظم الآيات.

· الرسالة العقلية: سبب ضلالهم ليس نقصان الأدلة، بل "الأ ُلفة" التي تُعطل العقل. العقل قد يصيبه العمى بسبب الاعتياد. فانتبه لهذا المرض.

· الرسالة التربوية: حارب "الأ ُلفة" في نفوس أبنائك. جدد إيمانهم بالآيات الكونية. لا تجعلهم يعتادون رؤية الشمس والقمر، بل ذكرهم دوماً بعظمة من خلقهما.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: كثرة الناس وغرورهم بالظاهر لا يعني أنهم على حق، والأ ُلفة حجاب كثيف يمنع من رؤية الحقائق.

· المثال التقريبي: أناس يعيشون بجوار شلال عظيم (نياجرا). بعد سنوات، لم يعودوا يسمعون هديره حتى! لقد ألفت آذانهم. السياح الذين يأتون من بعيد يقفون مبهورين. الأكثرية (السكان المحليون) لا يعلمون قيمة ما عندهم. البشرية تعيش في جوار معجزة الكون (السماوات والأرض)، وقد ألفتها، فأكثرهم لا يعلمون.

· المثال التقريبي الثاني: طبيب يعاين مئات المرضى يومياً، قد يفقد الإحساس بآلامهم (الألفة). لكن قريبه الذي يمرض فجأة، يتألم كثيراً ويستشعر الخطر. الكفار ألفوا رؤية العالم، فلم يروا الله فيه.

2.كيف أن ذلك يؤدي إلى الخلط بين الحق والباطل وعدم الإيمان بالآخرة؟

هؤلاء الذين لا يعلمون، فقدوا المنطق السليم. فمن الجهل أن يخلط المرء بين الحق والباطل، أو يساوي بينهما. هل من المنطق أن يتساوى المسيء والمحسن، فلا يُعاقب المسيء على إساءته، ولا يُثاب المحسن على إحسانه ؟!

لقد رأوا أن الخلق قائم على الحق، ورأوا العدل في نظام الكون، لكنهم مع ذلك يرفضون الإيمان بالآخرة التي فيها يتحقق العدل المطلق، والتي توافق حكمة خلق الكون والقصد من ذلك. هم يقولون: "لا بعث ولا حساب"، وهذا كلام باطل، لأنه لو كان صحيحاً، لكان خلق الكون عبثاً! وهذا تناقض صريح. إنهم يوقعون أنفسهم في مأزق فكري: يؤمنون بدقة النظام المادي، وينكرون النظام الأخلاقي ونتائجه. وهذا هو منطق الجهلاء الذين لا يرتبون على ما يشاهدون من حقائق ثابتة.

· الرسالة النفسية: أن تفرح بإيمانك. إيمانك بالآخرة هو الذي يعطي لحياتك معنى، وهو الذي يحل العقد المنطقية في عقلك. أنت تعيش في وئام مع الكون، تعبد ربه، وتنتظر عدله.

· الرسالة العقلية: رفض الآخرة هو رفض للعقل والمنطق. فالكون المبني على العدل والنظام "بالحق"، لا بد أن ينتهي إلى محاكمة يتحقق فيها العدل.

· الرسالة التربوية: درب أبناءك على مبدأ "لا تستوي الحسنة ولا السيئة" كقانون كوني. علمهم أن من يزرع الخير يحصد الخير، ومن يزرع الشر يحصد الشر، وهذا يتحقق في الدنيا بقدر، ويتحقق كاملا ً في الآخرة.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: إنكار البعث والجزاء هو خلل فكري وخلط بين الحق والباطل، وهو يتناقض مع الإيمان بأن الكون خُلق بالحق.

· المثال التقريبي: في مدرسة، طالب مجتهد وآخر مهمل. لو أن المدير في نهاية العام، أعطى الاثنين الجائزة نفسها، أو لم يعطِ أياً منهما شيئاً، لقامت الدنيا عليه، ولقالوا: "هذا ظلم! هذا مدير باطل!". فكيف يُعقل أن الله العادل الحكيم يترك الناس سدى بلا جزاء؟! إنكار الآخرة هو اتهام لله بالظلم والعبث، وحاشاه.

· المثال التقريبي الثاني: قاضٍ عادل جداً في إدارة الجلسات، منظم، كلماته موزونة (هذا نظام الدنيا). ولكنه في نهاية كل قضية، يترك الجاني والمجني عليه يخرجان معاً دون أي حكم! هل هذا معقول؟ هذا هو حال من يؤمن بدقة خلق الله ونظامه، ثم ينكر يوم الحساب.

ثانياً: المفاهيم والقيم وأبعاد الآية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

المحور الأول: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآيتين

· المفهوم النفسي: العلاج من العبثية والقلق الوجودي. الإيمان بأن "ما خلقناهما إلا بالحق" هو المضاد الحيوي لـ لاكتئاب والعبثية التي يعاني منها المعاصرون.

· المفهوم الفكري: تأسيس الرؤية التوحيدية للكون. كل شيء في الكون آية، والكون كله يسير إلى الله. العلم التجريبي ليس عدواً للإيمان، بل هو مفتاحه.

· المفهوم التربوي: محاربة "الأ ُلفة" التربوية. (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) هو تحذير من أن نربي جيلا ً يفقد قدرته على الدهشة والتأمل.

المحور الثاني: أبعاد الآية وآفاقها نفسياً وفكرياً وعقائدياً

· البعد العقائدي: تنزيه الله عن العبث وإثبات الكمال. (وَمَا خَلَقْنَا ... لَاعِبِينَ) هو أصل في العقيدة.

· الأفق الفكري: القانون الأخلاقي. كما أن للكون ناموساً مادياً، فإن له ناموساً أخلاقياً. "بالحق" تعني أن الخير

سينتصر والشر سينهزم.

· البعد النفسي: قيمة الإنسان. خلق الكون بالحق يعني أن وجودك له معنى سام، وأنك لست ذرة تافهة.

المحور الثالث: القيم المستنبطة من الآيتين

· قيمة التأمل والتدبر في خلق الله.

· قيمة الحق والعدل.

· قيمة الهدفية والجدية في الحياة.

· قيمة العلم المؤدي إلى الله.

المحور الرابع: مفاهيم البناء والتنمية في الآيتين

· بناء إنسان رسالي هادف. هذا الإنسان يرى نفسه جزءاً من الخطة الكونية العظيمة، فيعمل ليعمر الأرض.

· تنمية حضارية قائمة على العلم بالحق. الحضارة التي لا تقوم على الحق (عبادة الله والعدل) هي حضارة عبثية تؤول إلى الزوال.

المحور الخامس: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

· على مستوى الإنسان: قبل أن تنام، انظر إلى السماء واسأل نفسك: ماذا فعلت اليوم مما يتوافق مع "الحق" الذي خلقت من أجله؟.

· على مستوى المجتمع: تعليم مادة "التأمل الكوني" في المدارس، لربط العلوم بالله، وخلق جيل لا يقع في "أكثرهم لا يعلمون".

· على مستوى الحضارة: حضارتنا يجب أن تقوم على إعلان "الحق" ونفيه للباطل.

ثالثاً: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآيات وكيف نطبقها في واقعنا

المحور الأول: إلى ما تدعونا إليه الآيات؟

· تدعونا للنظر المتأمل في كون الله للوصول إلى عظمته.

· تدعونا لإدراك قيمة الحق والعدل في هذه الحياة.

· تدعونا للخروج من زمرة (الأكثرية) الغافلة إلى زمرة (القلة) العالمة الشاكرة.

المحور الثاني: كيف نطبق هذه الآيات؟ وماذا نتعلم منها في حياتنا العملية؟

.1تطبيق التأمل:

· خصص خمس دقائق يومياً للتأمل في عنصر واحد من الكون (نبات، ماء، نجوم).

· اسأل نفسك: ماذا في هذا الشيء من الإتقان؟ ماذا في هذا من الحق؟.

.2تطبيق محاربة الأ ُلفة:

· غير طريقك للمنزل أو العمل. انظر للسماء في أوقات مختلفة. جدد علاقتك البصرية بالكون.

· إذا شعرت أن صلاتك أصبحت "عادة"، تذكر أنك عبد لله، والعبادة ليست عادة.

.3تطبيق مبدأ الحق:

· في كل قول وفعل، اسأل نفسك: هل هذا حق أم باطل؟ فإن كان حقاً فافعله، وإن كان باطلا ً فاجتنبه. هكذا تتحول حياتك كلها إلى تطبيق لـ (مَا خَلَقنَاهُمَا إلَّا بِالحَقِّ).

.4تطبيق التربية بالآيات:

· أخرج مع أبنائك إلى الطبيعة. قل لهم: "هذه السحابة، هذا الجبل... ما خلقهما الله لاعبين".

الرسالة الخاتمة

ختاماً، هاتان الآيتان الكريمتان هما الميثاق الفكري للإنسان المؤمن. إنهما تعيدان تعريف الحياة: من عبث إلى عبادة، ومن فوضى إلى نظام، ومن باطل إلى حق.

يا من تغرق في تفاصيل الحياة وتظن أنها لا معنى لها... ارفع رأسك! انظر إلى السماوات كيف رُفعت، وإلى الأ رض كيف سُطحت. أتظن أن الذي خلق هذا كله بالحق، قد خلقك أنت عبثاً؟! كلا! أنت جزء من كون "بالحق"، ف لا تكن باطلا ً فيه.

لقد أنعم الله عليك بالعلم الذي حرمه الأكثرين. فلا تكن من الأكثرية الذين ألفوا الآيات فلم يعودوا يرونها. كن من القلة الذين تسير على الأرض، وقد امتلأت قلوبهم هيبة لله، وعلماً بالغاية، واستعداداً ليوم الفصل الذي هو "الحق" عينه.

ثالثا

لقد تحدثت الآيات السابقة عن خلق السماوات والأرض بالحق، ونفت العبث عن فعل الله. والآن، وقد وُضع الأ ساس المنطقي والكوني، تأتي هذه الآيات لتعلن عن الموعد المضروب الذي تتجلى فيه هذه الحقيقة بكل وضوح، وتتحقق فيه الغاية من الخلق بالحق. إنه يوم الفصل الذي طالما أنذروا به وسخروا منه.

دعنا نقف بخشوع وتأمل مع هذه الآيات البينات، التي تنقلنا دفعة واحدة من دار الابتلاء إلى دار الجزاء، وتضع الجميع أمام المشهد الختامي الذي لا مفر منه:

(إِنَّ يَوْمَ الفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ (40) يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (41) إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ (42))

تخيل أن كل ما سبق من قصَص فرعون، وهلاك المجرمين، وإنذار المكذبين، والتأمل في بديع خلق السماوات و الأرض... كل ذلك إنما هو تمهيد لهذا اليوم.

أولا ً: تحليل أجزاء الآيات وربطها بالسياق

نحن الآن في خاتمة المطاف، حيث تصل السورة إلى ذروة حديثها عن الهدف والغاية. لقد بُني السياق كله ليوصلنا إلى هذه النقطة: إنكار البعث والجزاء هو جوهر الضلال، والآن ها هو الجزاء يُفرض فرضًا.

الأمر الأول: تحليل قوله تعالى (إِنَّ يَوْمَ الفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ)

١. ما هو (يَوْمُ الفَصْلِ)؟ وما دلالة هذه التسمية؟

"الفصل" هو القضاء القاطع، والحكم الفاصل بين الحق والباطل، وبين المحسن والمسيء، وبين المؤمن والكافر. إنها تسمية تحمل في طياتها معنى الحسم النهائي. في الدنيا، قد تختلط الأمور، وقد يفلت مجرم، وقد يُظلم بريء. أما في ذلك اليوم، فستفصل القضايا كلها، ويُقضى بين العباد بالحق. إنه اليوم الذي ينتهي فيه زمن "الشك واللعب"، ويبدأ زمن "اليقين والجزاء". إن تسميته بـ "يوم الفصل" تبعث في النفس هيبة ورهبة، وتجعل العقل يستعد لذلك الحكم النهائي الذي لا استئناف بعده.

· الرسالة النفسية: أن تطمئن بأن العدالة قادمة لا محالة. إذا رأيت ظلمًا في الدنيا، فهذا ليس نهاية القصة، فهناك "يوم فصل" سينصفك الله فيه، وسيقضي بينك وبين من ظلمك.

· الرسالة العقلية: أن توقن أن نظام الكون الأخلاقي لا بد أن يكتمل. فكما أن للكون قوانين فيزيائية تحكمه،

فهناك قانون أخلاقي سيطبق يوم الفصل، وإلا لكان الخلق عبثًا.

· الرسالة التربوية: أن تزرع في الأبناء عقيدة أن هناك يومًا سيفصل فيه بينهم. هذا يعلمهم أن الصبر على الحق ليس ضعفًا، بل هو انتظار ليوم الفصل.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: هناك يوم محتوم يفصل الله فيه بين جميع الخلائق بالحق، وهو الغاية من خلق الكون.

· المثال التقريبي: محاكمة طويلة، كلها مرافعات وشهود، والكل في قلق. يأتي اليوم الأخير، يوم النطق بالحكم. هذا هو "يوم الفصل". حياتنا الدنيا هي أيام المرافعة، ويوم القيامة هو يوم النطق بالحكم النهائي.

٢. ما دلالة كلمة (مِيقاتُهُمْ) وإضافة (أَجْمَعِينَ)؟

كلمة "ميقات" مشتقة من الوقت، وهي تعني الموعد المضروب المحدد بوقت معين لا يتقدم ولا يتأخر. فالأمر ليس متروكًا للصدف، بل هو محدود بتاريخ وساعة في علم الله. وإضافة "أجمعين" تؤكد أن هذا الميقات شامل لجميع الخلق، الأولين والآخرين، القوي والضعيف، الغني والفقير، لا يستثنى منه أحد.

· الرسالة النفسية: أن تستعد لذلك اليوم الذي لا مهرب منه. وأن تشعر بالمساواة مع البشر جميعًا في هذا الموقف، فالكل سواء أمام الله.

· الرسالة العقلية: أن الزمن يسير إلى غاية، وأن التاريخ ليس دائرة مغلقة، بل هو خط مستقيم له بداية وله نهاية سيُجمع فيها الناس.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: يوم الفصل موعد محدد لا يتقدم ولا يتأخر، وسيجمع الله فيه جميع الخلق للحساب.

· المثال التقريبي: مطار ضخم، الجميع ينتظر. ثم يُعلن: "موعد إقلاع رحلة الخلود قد حان، وسيصعد إليها جميع الركاب دون استثناء". هذا هو الميقات.

الأمر الثاني: تحليل قوله تعالى (يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ)

١. ما معنى (لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا)؟ وما مفهوم "المولى" هنا؟

"المولى" هو القريب والناصر والحليف والصاحب. والآية تنفي أي إغناء أو مساعدة أو دفع عذاب من أي مولى لأي مولى آخر. في الدنيا، البشر يتكلون على أقاربهم، وعلى أنصارهم. أما في ذلك اليوم، فتنقطع هذه الأواصر تمامًا. لن يدفع صديق عن صديقه، ولا قريب عن قريبه شيئًا. كل إنسان مشغول بنفسه. إنها حالة من التفرد المطلق، وهو ما يمهد للأذهان لاستيعاب حقيقة أن النجاة فردية تمامًا، ومرتبطة بالعمل الصالح.

· الرسالة النفسية: أن تتحرر من التعلق بالأسباب البشرية. ألا تجعل نجاتك مرهونة بفلان أو علان. هذه الآية تدفعك لبناء علاقة شخصية مباشرة مع الله هي رصيدك الوحيد.

· الرسالة العقلية: أن تبني قراراتك على أساس المسؤولية الفردية. أنت المسؤول الأول والأخير عن عملك. لا يمكنك أن تقلد غيرك وتقول: "هم أضلوني"، فكل نفس بما كسبت رهينة.

· الرسالة التربوية: ربّوا أبناءكم على "الاستقلالية الإيمانية". لا تربوهم على أن أسرهم أو قبيلتهم ستدخلهم الجنة. بل ازرعوا فيهم أن علاقتهم بالله هي طريقهم الوحيد.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: في يوم القيامة، تنقطع جميع الصلات والأنساب، ولا تنفع إلا رابطة الإيمان ورحمة الله.

· المثال التقريبي: سفينة تغرق. كل واحد يبحث عن طوق نجاة لنفسه. الصديق لا ينفع صديقه، والأب لا ينفع ابنه. هذا هو حال يوم القيامة.

٢. ما معنى (وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ)؟

بعد أن نفى الإغناء الفردي، نفى الله وجود أي قوة خارجية يمكن أن تنصرهم. "لا هم ينصرون" أي لا يوجد جيش، ولا قبيلة، ولا مملكة، ولا حتى آلهتهم التي عبدوها من دون الله، يمكنها أن تقدم لهم النصر، أو تمنع عنهم العذاب. النصرة التي كانوا يطلبونها في الدنيا، ليس لها أي وجود في ذلك اليوم.

· الرسالة النفسية: أن لا تركن لأي قوة أرضية. لا تنصر إلا بالله.

· الرسالة العقلية: أن تبني ولاءك لله بناءً مطلقاً. لا تنظر إلى القوة والغلبة في الدنيا بعين الانبهار.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: في ذلك اليوم، لا توجد قوة خارجية تقدم النصر، ولا توجد أمة أو قبيلة تنقذ أحداً، فالكل عاجزون.

· المثال التقريبي: مجرم قبض عليه، وهو في المحكمة. كل رجال عصابته الذين كانوا يحرسونه لا يستطيعون

الدخول إلى قاعة المحكمة لإنقاذه. هو الآن وحيد تماماً في قبضة القانون.

الأمر الثالث: تحليل قوله تعالى (إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)

١. ما دلالة الاستثناء (إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ)؟ ومن هم أهل هذه الرحمة؟

بعد هذا المشهد المرعب من انقطاع الأسباب، يأتي هذا الاستثناء ليفتح نافذة الأمل. هناك فئة وحيدة ستنال الغناء والنصر: هم "من رحم الله". هؤلاء هم الذين عبدوا الله، واستعدوا لهذا اليوم، فأدركتهم رحمة الله. لاحظ أن الرحمة هنا أضيفت إلى اسم الجلالة "الله"، الجامع لكل صفات الكمال. فالنجاة لا تكون بجنس أو عرق أو حسب، بل بأن تشملك "رحمة الله".

· الرسالة النفسية: أن تنفض عنك اليأس. مهما عظمت ذنوبك، استثناء رحمة الله موجود ومفتوح. أنت تستطيع أن تكون من "من رحم الله" إذا عملت لمرضاته.

· الرسالة العقلية: أن تفهم معادلة النجاة: لا أعمالك وحدها تدخلك، بل أن تدركك رحمة الله. ولكن رحمة الله تنال بطاعته.

· الرسالة التربوية: علّم الأبناء أن الأمل في رحمة الله هو محرك الإيمان.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: رحمة الله هي وحدها باب النجاة في يوم الفصل، حيث لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

· المثال التقريبي: فيضان عظيم يغرق كل شيء. هناك قارب نجاة واحد لمن "رحمتهم" قوات الإنقاذ وأدخلتهم إليه. هذا القارب هو رحمة الله.

٢. ما دلالة ختم الآية باسمي (الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)؟

هذا الختم البديع يظهر معنى الكمال الإلهي. "العزيز" هو الغالب الذي لا يُغلب، القاهر فوق عباده، فمن لم يرحمه فهو هالك لا محالة. و"الرحيم" هو واسع الرحمة بعباده المؤمنين. الجمع بينهما عجيب: فهو عزيز في انتقامه من المجرمين، رحيم بأوليائه.

· الرسالة النفسية: أن يحيا قلبك بين الخوف والرجاء. خف من "العزيز" أن ينتقم منك، وارجُ "الرحيم" أن

يشملك برحمته.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الجمع بين العزة والرحمة هو كمال الله المطلق، فكل خوف من الله يجب أن يقترن برجاء في رحمته.

· المثال التقريبي: ملك عظيم، عزيز لا يُرد له أمر، حكم على مجرم بالإعدام (العزة). ثم عفا عن مخلص ورفع قدره (الرحمة). الخائف من ذنبه يرجو رحمة العزيز.

ثانياً: المفاهيم والقيم وأبعاد الآية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

المحور الأول: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآيات

· المفهوم النفسي: الاستقلالية والمسؤولية الفردية. الإيمان بأن النجاة فردية يحطم عقلية الاتكال على الجماعة، ويبني إنساناً قوياً معتمداً على عمله.

· المفهوم التربوي: التربية على رحمة الله. الاستثناء يعلمنا أن نغرس في الناشئة الرجاء، فلا ييأسوا.

· المفهوم الفكري: ترسيخ مبدأ العدالة المطلقة. الإيمان بيوم الفصل هو الإيمان بأن التاريخ البشري ليس عبثياً.

المحور الثاني: أبعاد الآية وآفاقها نفسياً وفكرياً وعقائدياً

· البعد العقائدي: توحيد الله في ألوهيته وحده لا شريك له. هو وحده المتفرد بالعزة والرحمة، وهو وحده النافع.

· الأفق الفكري: فكرة التقدم البشري. الإيمان بأن النهاية ستكون بالإحقاق الكامل للحق، يعطي تفاؤلا ً استراتيجياً.

· البعد النفسي: الأمان النفسي. العالم اليوم يعاني من القلق بسبب غياب العدل. الإيمان بيوم الفصل هو العلاج.

المحور الثالث: القيم المستنبطة من الآيات

· قيمة العدل: (يوم الفصل).

· قيمة المسؤولية الفردية: (لا يغني مولى عن مولى).

· قيمة الرجاء في رحمة الله: (إلا من رحم الله).

· قيمة الاستعداد للمستقبل الأبدي.

المحور الرابع: مفاهيم البناء والتنمية في الآيات

· بناء أمة متوازنة: تعمل للدنيا كأنها تعيش أبداً، وتعمل للآخرة كأنها تموت غداً.

· تنمية مجتمعية بالعدل والتراحم: مجتمع يغرس الرحمة، لأن "من رحم الله" هو الرابح.

المحور الخامس: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

· على مستوى الإنسان: "من رحم الله" هدفك، فاسعَ لتكون من المرحومين.

· على مستوى المجتمع: غرس ثقافة المسؤولية، ومحاربة المحسوبية.

ثالثاً: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآيات وكيف نطبقها في واقعنا

المحور الأول: إلى ما تدعونا إليه الآيات؟

· تدعوك للإيمان بيوم الفصل وأنه آتٍ لا ريب فيه.

· تدعوك لتحمل مسؤوليتك الفردية كاملة.

· تدعوك لطلب رحمة الله والخوف من عذابه.

المحور الثاني: كيف نطبق هذه الآيات؟ وماذا نتعلم منها في حياتنا العملية؟

1. تطبيق الاستقلالية: في أي ذنب أو تقصير، قل: "أنا المسؤول". لا ترمِ باللوم على الظروف.

2. تطبيق الرجاء: بعد كل صلاة، ادعُ: "اللّهم إني أسألك رحمتك، فإنه لا يغني عني إلا رحمتك".

3. تطبيق في التربية: علموا أبناءكم أن علاقتهم بـاللّه هي رأس مالهم الأوحد.

الرسالة الخاتمة

ختاماً، هذه الآيات الثلاث هي التي تجيب عن السؤال المصيري: "لماذا نحن هنا؟". لقد خلقنا ليوم الفصل، يوم يفرّ المرء من أخيه وأمه وأبيه، يوم لا ينفع فيه مولى ولا ناصر، يوم لا يبقى إلا رحمة العزيز الرحيم. لقد شهدت قصة فرعون وقوم تبع والذين من قبلهم، وعلمت أن الإجرام سبب الهلاك، ورأيت أن الكون يقوم بالحق، فلا تغترّ بدنياك، ولا تركن إلى حسبك ونسبك، واسعَ أن تكون ممن رحمهم اللّه. يوم الفصل آتٍ، فماذا أعددت له ؟

المبحث الثالث

تنقلنا الايات الى مشهد يوم القيامه لتقول لنا كيف بك ايها الانسان اذا انكشفت لك النار وزالت عنك الاغطيه وشاهدت المصير الذي ينتظرك ان انت أعرضت وجحدت الايمان انظروا ايها العصاه الى ما ينتظركم فقال تعالى

(ان شجره الزقوم طعام الاثيم كالمهل يغلى فى البطون كغلي الحميم خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم ذق انك انت العزيز الكريم ان هذا ما كنتم به تمترون)

اولا

نحن الآن في قلب مشهدٍ مهيب، بعد أن أُعلن عن "يوم الفصل"، ذلك اليوم الذي لا يُغني فيه مولى عن مولى شيئاً. لقد انتهى زمن اللعب واللّهو، وبدأ زمن الحساب والجزاء. والآن، تنقلنا الآيات نقلة نوعية من وصف "المشهد العام" ليوم القيامة إلى وصف "تفصيلي دقيق" لنوع العذاب الذي ينتظر فئة محددة. إنها ليست مجرد آيات تصف عذاباً، بل هي تجسيد مرئي ومادي للجريمة التي ارتكبوها في الدنيا. وكما تحدثنا في المقدمة عن ضرورة تغيير نظرتنا للمادة، ها هو القرآن يرينا كيف تتحول "اللذة المادية" التي كانت غايتهم في الدنيا إلى "عذاب مادي" يلاحقهم في الآخرة.

دعنا نقف بخشوع وتأمل مع هذه الآيات الكريمة التي ترسم مشهداً من مشاهد العدل الإلهي، وتجيب على سؤال: "ماذا أعد اللّه لمن كان طعامه في الدنيا الحرام، ولمن كان همه بطنه؟":

(إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ (43) طَعَامُ الْأَثِيمِ (44) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (45) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (46))

تخيل المشهد: لقد انتهى كل شيء. لا داعي للكلام النظري. ها هو غداء أهل النار يُقدّم لهم، ليكون الجزاء من جنس العمل. لنغص في هذه الصور المادية لنستخرج منها الدلالات العميقة.

أولا ً: تحليل أجزاء الآيات وربطها بالسياق

لقد أخبرنا الله عن يوم الفصل، وعن انعدام النصرة والشفاعة. الآن، وبعد أن أُدخل المجرمون النار، يأتي وقت "الطعام". ولكن أي طعام؟ إنه طعام يتناسب تماماً مع جريمتهم. لقد كانت "النعمة والفاكهين" هي غاية فرعون وقومه، وها هو غاية المجرمين من أمثالهم تتحول إلى زقوم ومهل.

الأمر الأول: تحليل قوله تعالى (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ)

1. ما هو الزقوم؟ ولماذا بدأ السياق ب- (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ)؟

"الزقوم" في أصل اللغة هو كل طعام كريه شديد المرارة، يؤكل على مضض، ويُزقم الإنسان ازدقاماً، أي يبتلعه بصعوبة. أما في السياق القرآني، فهي شجرة خبيثة معروفة تنبت في أصل الجحيم، ثمرها يشبه رؤوس الشياطين في قبح منظرها وبشاعته. وافتتاح الآية ب- (إِنَّ) يفيد التوكيد القاطع لوجودها، وكأنه رد على استهزاء كفار قريش الذين قالوا حين سمعوا بها: "كيف تنبت شجرة في النار؟ إن النار تحرق الشجر!". فجاء الرد الإلهي: نعم، إن شجرة الزقوم حقيقة ثابتة لا ريب فيها، وهي مهيأة ب- "الحق" كما خُلقت السماوات والأرض بالحق. إنها آية من آيات الله في النار، كما أن شجرة الدنيا آية في الأرض.

· الرسالة النفسية: أن تستشعر أن ما أنكره الكفار في الدنيا سخرة وسخرية، ها هو يتحول إلى حقيقة ملموسة لا مفر منها. إن استهزاءك بأوامر الله ونواهيه لن يغير من حقيقة العذاب شيئاً.

· الرسالة العقلية: أن تؤمن بالغيب كما أخبر به الصادق. الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق في النار شجرة لا تحترق. لا تقس قدرة الله بقوانين الدنيا التي ألفتها.

· الرسالة التربوية: علم أبناءك ألا يسخروا من آيات الله وأخباره، فما يرونه اليوم بعيداً أو مستحيلا ً سيكون غداً حقيقة واقعة أمامهم.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: حقيقة العذاب ثابتة ومهيأة بإتقان، والاستهزاء بها في الدنيا لن يغير من وقوعها شيئاً.

· المثال التقريبي: طالب يستهزئ بمادة صعبة ويقول: "هذا كلام مستحيل، كيف يمكن أن ننجح فيها؟!". يأتي يوم الامتحان، ويجد الأسئلة كلها من تلك المادة، فيصعق! الكفار استهزؤوا بشجرة الزقوم، ويوم القيامة سيجدونها أمامهم، وسيُجبرون على الأكل منها.

· المثال التقريبي الثاني: رجل غني بخيل، يضحك على فكرة أن الفقراء سيدخلون الجنة قبله. في الآخرة، يجدهم في النعيم، وهو في العذاب. استهزاؤه بالأمس صار عذابه اليوم.

الأمر الثاني: تحليل قوله تعالى (طَعَامُ الأَثِيمِ)

1. من هو (الأَثِيم)؟ وما دلالة تخصيص هذا الطعام به؟

"الأثيم" هو المتماد في الإثم، كثير الآثام، المنغمس في الذنوب. وهو الذي يأكل ويشرب ولا يبالي أمن حلال أم من حرام، والذي كانت الدنيا كل همه. "طعام الأثيم" تعني أن هذا الزقوم هو غذاؤه المخصص له، جزاء وفاقاً لما كان عليه في الدنيا. فكما كان طعامه في الدنيا قائماً على الإثم (ربا، غش، سرقة، كفر بنعم الله)، كان جزاؤه في الآخرة طعاماً من إثم أيضاً، ولكنه إثم متجسد في شكل مادة مهلكة. إنها عقوبة من جنس العمل: "وكما طاب أكلك في الدنيا بالإثم، فذق هذا الأكل المهلك في الآخرة جزاء إثمك".

· الرسالة النفسية: أن تراجع لقمتك. من أين تأكل؟ وكيف تأكل؟ وهل تشكر الله عليها؟ لقمة الحرام في الدنيا ستتحول إلى زقوم في الآخرة. الخوف هنا يجب أن يصل إلى لقمتك اليومية، فتصبح حريصاً على الحلال أشد الحرص.

· الرسالة العقلية: عدالة الله المطلقة تتجلى في هذا الوصف الدقيق. العذاب ليس عشوائياً، بل هو مرتبط بـ الجريمة. وصف "الأثيم" يشمل كل من كانت حياته قائمة على الإثم والعدوان.

· الرسالة التربوية: ربّوا أبناءكم على عفة المطعم. غذوهم بالحلال، وعلموهم أن لقمة الحرام نار في البطن قبل أن تكون ناراً في الآخرة.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: طعام الآخرة من جنس عمل الدنيا، ولقمة الحرام تتحول إلى عذاب أليم في بطون أهلها.

· المثال التقريبي: مهندس يبني عمارة بمواد فاسدة، ويسكن فيها الناس. بعد سنة، تنهار العمارة فوق رأسه هو بالذات! هذا هو الجزاء من جنس العمل. الأثيم الذي غذى نفسه بالإثم، ها هو يغذى بالزقوم.

· المثال التقريبي الثاني: تاجر يغش في طعام الناس، فيمرضهم. في الآخرة، طعامه هو الذي يمرضه ويعذبه. "طعام الأثيم" تعني أنك ستحصد ما زرعت، وستأكل مما قدمت.

الأمر الثالث: تحليل قوله تعالى (كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ)

1. ما هو (المُهْل)؟ وما سر تشبيه الزقوم به؟

"المهل" هو النحاس المذاب، أو الرصاص المذاب، أو عكر الزيت المغلي في قاع البراميل. إنه سائل معدني حارق، شديد الحرارة، أسود اللون، كريه الرائحة. شبه الله الزقوم بهذا السائل المعدني لعدة أوجه:

· في اللون: أسود قاتم، يثير الغثيان.

· في الكثافة: ثقيل يملأ البطن، لا كالطعام العادي.

· في الحرارة: يغلي ويفور في بطونهم، فيحرق أمعاءهم.

فتأمل! طعام الدنيا كان لذيذاً هنيئاً مريئاً. أما طعام الآخرة فهو معدن مذاب يغلي في الأحشاء! ولِمَ هذا العذاب المحدد في البطون؟ لأن البطن هو موطن اللذة الذي استعبدهم، وهو الذي من أجله كذبوا بالآخرة. فيعذبون من نفس المكان الذي كانوا يتلذذون به.

· الرسالة النفسية: أن تخاف من شهوة البطن. ليست دعوة للحرمان، بل دعوة لأن تتذكر أن التكالب على ملذات الطعام والشراب هو من صفات الكفار: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ).

· الرسالة العقلية: الجريمة والعقاب مرتبطان عضوياً. هم استمتعوا بالأكل الحرام والشهوات الآثمة، فجاءهم العذاب من نفس المدخل، تدبيغاً لبطونهم التي أذنبت.

· الرسالة التربوية: علموا أبناءكم ضبط الشهوات. أن يأكلوا ليعيشوا، لا أن يعيشوا ليأكلوا. ذكروهم أن ما يملؤون به بطونهم اليوم سيسألون عنه غداً.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: العذاب يقع في محل الجريمة، فالبطون التي لم تشبع من الحرام، ستمتلىء بالمهل الحارق.

· المثال التقريبي: مدمن خمر، يشرب الكحول حتى الثمالة، فيدمر كبده. أليس هذا عذاباً في محل النعيم المزعوم؟ هكذا، ولكن عذاب الآخرة أشد وأبقى. البطن الذي شرب الخمر، ها هو يشرب "المهل".

· المثال التقريبي الثاني: لص حاسب آلي، استخدم عينيه ويديه في سرقة المعلومات والمال. في الآخرة، يعذب بعينيه ويديه. هذا هو قانون الجزاء من جنس العمل.

2. ما دلالة وصف (يَغْلِي فِي الْبُطُونِ)؟

الغليان هو شدة اضطراب السائل الحار وتحركه وفورانه. تخيل نحاساً مذاباً في حرارة آلاف الدرجات، ثم صُب في جوف إنسان! إنه لا يستقر، بل يغلي ويفور، فيحرق الأمعاء والمعدة والمريء باستمرار. إنه ليس مجرد ألم ساكن، بل هو عذاب متحرك متجدد كل لحظة. البطون تغلي بما فيها، كما يغلي الماء على النار، وكلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها.

· الرسالة النفسية: أن تتصور هذا المشهد الحي. لا تكن القراءة سطحية، بل تخيل أن بطنك يغلي! هذا هو الخوف الذي يدفعك للتقوى، ويجعلك تتحمل جوع ساعة من الصيام مثلاً، أو جوعاً من لقمة حرام تركتها لله.

· الرسالة العقلية: العذاب ليس مجرد فكرة، بل هو مادة وفيزياء وكيمياء مهلكة. إنها حقيقة علمية ولكن في أبعاد أخروية لا نستطيع الآن إدراكها.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: عذاب النار حقيقي حسي، وليس معنوياً فقط، وهو أشد ما يكون من الألم.

· المثال التقريبي: وضعت إبريقاً على النار ونسيته حتى جف ماؤه. تلمسه بيدك، فتحترق. هذا الألم الذي لا يحتمله مخلوق، لا شيء مقارنة بـ "يغلي في البطون".

الأمر الرابع: تحليل قوله تعالى (كَغَلْيِ الحَمِيمِ)

1. ما هو (الحَمِيمُ)؟ وما فائدة هذا التشبيه الثاني؟

"الحميم" هو الماء الشديد الحرارة الذي يبلغ أقصى درجات الغليان. بعد أن شبه الزقوم بـ "المهل"، عاد فشبهه بـ "الحميم" في حالة غليانه. لماذا هذا التشبيه المزدوج؟ "كالمهل" تصف مادته وجوهره، "يغلي في البطون" تصف حركته وفعله، "كغلي الحميم" تزيد الصورة تفصيلاً وتقريباً لذهن البشر. فغليان الحميم مشاهد ومعروف في الدنيا، فهو شيء يعرفه العربي في قدره ومطعمه. فالتشبيه هنا لشدة الاضطراب وسرعة الفوران والحرارة الشديدة. إنه عذاب مضاعف: حرارة المهل نفسه، وحرارة غليانه. وكلما حاولوا ابتلاعه، ازداد غلياناً في حلوقهم.

· الرسالة النفسية: أن تشعر بشدة بغض الله لأهل الإثم. هذا الوصف المفصل للعذاب ليس للتشفي، بل لتوقن أن غضب الله ليس أمراً هيّناً، فتهرب منه بطاعته.

· الرسالة العقلية: البلاغة القرآنية في تقريب صورة العذاب. القرآن يستخدم التشبيهات الحسية (المهل، الحميم) ليجعل العقل البشري يستوعب قدر المستطاع مشهداً لا يمكن تخيله بالكامل. هذا من رحمة الله، لعلهم يتقون.

· الرسالة التربوية: استخدم أسلوب تشبيه الأمور الغيبية بأمور محسوسة لتقريبها لأذهان الأبناء. قل لهم: "النار مثل الفرن الذي تعرفونه، ولكنها أشد!".

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: القرآن يستعمل التصوير الحسي لتقريب حقائق الآخرة للأذهان، ترغيباً وترهيباً.

· المثال التقريبي: معلم جغرافيا يشرح للتلاميذ شكل الصحراء. يقول: "الصحراء واسعة جداً، وفيها رمال مثل التي ترونها في الشاطئ، ولكنها تمتد لآلاف الكيلومترات". هكذا القرآن، يشبه المهل والحميم بما نعرفه، ليقرب لنا صورة العذاب الأخروي الذي هو أعظم وأفظع.

ثانياً: المفاهيم والقيم وأبعاد الآية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

المحور الأول: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآيات

· المفهوم النفسي: تقنية "التصور" لبناء الرادع الذاتي. الآيات تزرع في قلب المؤمن صورة "الزقوم" و"المهل" و "الحميم"، فلا يهمّ بمعصية إلا وقفزت هذه الصورة إلى ذهنه، فتردعه. هذا هو الإيمان الحي.

· المفهوم الفكري: قانون الجزاء من جنس العمل في المادة. كما قامت حياتهم على التمتع بالماديات المحرمة، قام عذابهم على المادة نفسها ولكن بصورة عذاب. المادة التي كانت مصدر لذتهم أصبحت مصدر ألمهم الأبدي.

· المفهوم التربوي: التربية بضبط الشهوات. الآية تربي فينا "الصوم الحقيقي"، وهو صوم الجوارح عن الآثام، لا سيما ما يتعلق بالبطن والفرج.

المحور الثاني: أبعاد الآية وآفاقها نفسياً وفكرياً وعقائدياً

· البعد العقائدي: تجسيد الإيمان باليوم الآخر. هذه الآيات تحول "يوم الفصل" من مجرد عقيدة نظرية إلى حقيقة محسوسة، مما يزيد الإيمان رسوخاً.

· الأفق الفكري: رؤية المادة على أنها أداة اختبار. الآيات تريح عقلك من هوس الماديات، فأنت ترى ما انتهت إليه لذة الماديين.

· البعد النفسي: قوة الصبر على الجوع الحلال. من استحضر مشهد الزقوم، هانت عليه لقمة الخبز اليابسة، وصبر على جوع الصيام. لأنه أيقن أن من ترك شهوة لله، عوّضه الله خيراً منها.

المحور الثالث: القيم المستنبطة من الآيات

· قيمة أكل الحلال: (لتتجنب طعام الأثيم).

· قيمة ضبط الشهوات: (لئلا تكون البطون هي همك).

· قيمة العدل الإلهي: (الجزاء من جنس العمل).

· قيمة الخوف من الله: (الخوف الذي يدفع للعمل).

المحور الرابع: مفاهيم البناء والتنمية في الآيات

· بناء شخصية سوية في تعاملها مع الملذات. هذه الشخصية تأكل لتقوى على الطاعة، لا لتتلذذ فقط.

· تنمية اقتصاد حلال ونقي. مجتمع يؤمن بأن "طعام الأثيم" هو الزقوم، سيكون أفراده شديدي الحرص على الحلال في أموالهم وأطعمتهم، مما يبني اقتصاداً قوياً مباركاً.

المحور الخامس: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

· على مستوى الإنسان: استحضر "المهل يغلي في البطون" وأنت تهم بمعصية أكل أو شراب. هذه الطاقة الترهيبية ستمنعك عن الحرام.

· على مستوى المجتمع: مجتمع يقدس الحلال، ويمقت الحرام، هو مجتمع تسوده الثقة والأمانة في المعاملات.

· على مستوى الحضارة: قامت الحضارة الإسلامية على أساس: "لا ضرر ولا ضرار". أليس المهل والزقوم ضرراً مطلقاً؟ إن الابتعاد عن كل ما يضر في الدنيا والآخرة هو أساس العمران الحضاري.

ثالثاً: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآيات وكيف نطبقها في واقعنا

المحور الأول: إلى ما تدعونا إليه الآيات؟

· تدعوك لمراقبة مطعمك: من أين تأكل؟ وبمَ تأكل؟

· تدعوك للخوف من أن تكون من "الأثيمين" الذين أعد الله لهم شجرة الزقوم.

· تدعوك لتذكر أن لذة الدنيا زائلة، وعذاب الآخرة دائم، فاختر أهون الضررين.

المحور الثاني: كيف نطبق هذه الآيات؟ وماذا نتعلم منها في حياتنا العملية؟

1. تطبيق عملي في المأكل والمشرب: اخلُ بنفسك واسأل: "هل في مالي حرام؟". قاطع كل طعام أو شراب فيه شبهة. تذكر أن ما يدخل بطنك الآن سيغلي يوم القيامة.

2. تطبيق عملي في التربية: اجلس مع أطفالك، واسألهم: "لماذا خلق الله لنا الطعام؟". علمهم أن الطعام نعمة ل

لاستعانة على الطاعة، لا غاية بذاتها. واحكِ لهم عن شجرة الزقوم ليروا مصير من يسرف ويأكل الحرام.

3. تطبيق روحي: عندما تصوم، أو عندما تشتهي شيئاً وتتركه لله، استحضر هذه الآية. قل: "اللّهم، إني تركت شهوتي لك، فأبدلني بها رحمة، ونجني من الزقوم والمهل".

4. تطبيق اجتماعي: كن داعية للحلال في مجتمعك. حذّر الناس من أكل الحرام. طمئنهم أن لقمة الحلال وإن قلت، خير من لقمة الزقوم.

الرسالة الخاتمة

ختاماً، هذه الآيات الأربع هي درس موضوعي في "المسؤولية عن النعمة". إنها تقول لك: "أنت تأكل في الدنيا، ولكن هل توقن أن الطعام ليس غاية؟". لقد كان الكفار يأكلون كالأنعام، وكانت بطونهم هي أكبر همهم، فصار جزاؤهم أن عُذّبوا من حيث تنعموا.

تأمل في حال فرعون وملئه الذين قال الله عنهم: (وَنَعْمَةٍ كانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ). أين هم الآن؟ لقد تبددت جناتهم وعيونهم، وها هو غداؤهم قد صار زقوماً. أنت الآن مدعو لأن تشكر النعمة، لا أن تكفر بها. أن تأكل الحلال، وأن تستعين به على الطاعة. اجعل طعامك في الدنيا سبباً لدخولك الجنة، لا سبباً لدخولك النار.

تذكر دائماً وأنت ترفع يدك إلى فيك بلقمة: "إنما هي لحظات وتذهب، ولكن مسؤوليتها باقية". فلا تجعل لقمات قصيرة، تكون سبباً في ألم طويل.

ثانيا

نحن الآن في قلب مشهد العذاب المهين، حيث تتجلى حقيقة "الجزاء من جنس العمل" بأوضح صورها. بعد أن قدم لهم "طعام الأثيم" (الزقوم والمهل)، تأتي الآيات الآن لتصف لنا بقية مراسم هذا العذاب، وتكشف عن الخزي النفسي المضاف إلى الألم الجسدي. إنه مشهد يخاطب الوجدان قبل العقل، ويجسد سخرية القدر بمن كانوا في الدنيا عالين متكبرين.

دعنا نقف بخشوع وتأمل مع هذه الآيات الكريمة التي تُسمعنا صراخ الملائكة، وتُشعرنا بذل المجرمين:

(خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ (47) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (48) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (49) إِنَّ هَٰذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ (50))

تخيل المشهد: بعد أن أُدخلوا النار، وأُطعموا الزقوم، يأتي الأمر الإلهي من العلي العظيم إلى ملائكة العذاب. لنغص في كل كلمة من هذه الآيات لنعيش هذا الموقف وكأننا نراه.

أولا ً: تحليل أجزاء الآيات وربطها بالسياق

لقد تحدثنا كثيراً عن "العلو" و"الاستكبار" و"الاغترار بالمادة" كأمراض قلبيّة أودت بفرعون وقومه وكفار قريش. والآن، ها هو العلاج الإلهي يُطبّق. إنهم يُساقون إلى العذاب لا كرماء، بل يُعتلون اعتلالا ً. إنها آيات تؤكد بما لا يدع مجالا ً للشك أن العزة الحقيقية هي عزة الإيمان والتقوى، لا عزة المال والجاه.

الأمر الأول: تحليل قوله تعالى (خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاء الجَحِيم)

1. ما دلالة الأمر (خُذُوهُ)؟ ومن المخاطب بهذا الأمر؟

"خذوه" أمر موجّه من الله العزيز الجبار إلى ملائكة العذاب (الزبانية). إنه أمر قاطع حاسم، لا مردّ له ولا تأخير. لقد انتهى زمن الإنذار، وبدأ زمن التنفيذ. الضمير "الهاء" في (خذوه) يعود على "الأثيم" (الوارد في الآية 44)، وهو كل من اتصف بالإثم والطغيان والكفر. وكأن لسان حال الملائكة يقول: "نحن لا نأخذ أحداً جزافاً، بل نحن مأمورون من الله بأخذ هذا المجرم بعينه، الذي علا في الأرض وأفسد". هذا التخصيص يزيد من رهبة الموقف.

· الرسالة النفسية: أن تستشعر أنك تحت نظر الله. أفعالك مسجلة، وشخصك معروف. إن كنت من الأثيمين، فأنت معني بهذا الأمر الإلهي. هذا الشعور بالمراقبة الفردية يمنعك عن المعصية.

· الرسالة العقلية: إدراك هوان المجرم على الله. لم يقل: "أتوا به"، بل "خُذُوه"، وهي لفظة تستعمل في أخذ الأ شياء والأسرى بالقوة والغلبة. فالمجرم مهما كان عزيزاً في الدنيا، هو حقير مهان في الآخرة.

· الرسالة التربوية: أن تعلم أبناءك أن القوة الظالمة لا تغني عن صاحبها شيئاً. فكل متكبر سيُؤخذ بهذا الأخذ المهين يوم القيامة.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: يوم القيامة، يُنتزع المجرم من كل ما كان يتكل عليه، ويُساق إلى العذاب بقوة وقهر.

· المثال التقريبي: شرطي الجرائم الكبرى، يأتيه نداء من القائد: "أمسكوا فلاناً!". هذا النداء يعني أن كل قوة المجرم المزعومة قد سقطت. هكذا أمر الله للملائكة بـ "خذوه".

2. ما معنى (فَاعْتِلُوهُ)؟ وما دلالة هذا الفعل تحديداً؟

"اعتلوه" من "العَتَلَة"، وهو السوق بعنف ودفع وشدة، والجذب بقسوة بحيث يُزعَج المرء ويُدفع دفعاً وهو ممسوك بتلابيبه. إنه ليس مجرد سوق، بل هو إهانة وإذلال متعمد. هذا الفعل يجسّد لهم نفس ما كانوا يفعلونه بالمؤمنين في الدنيا حين كانوا يطردونهم ويسخرون منهم. والآن، يُفعل بهم ذلك، ولكن بأيدي الملائكة الغلاظ

الشداد. إنه سوق لا كرامة فيه ولا هوادة.

· الرسالة النفسية: أن تشعر بوخز الضمير إن كنت قد أذللت أحداً أو دفعته بغير حق. تذكر أن الأخذ بناصيته يوم القيامة سيكون أشد وأعنف.

· الرسالة العقلية: دقة العدالة الإلهية. الجزاء من جنس العمل. هم دفعوا المؤمنين وطردوهم، فها هم يُدفعون دفعاً إلى النار. هذه هي معادلة الحساب العادلة.

· الرسالة التربوية: أن تعامل من حولك بلين ورفق. لا تعتل ضعيفاً، ولا تنهر سائلا ً. عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: العذاب في الآخرة ليس جسدياً فقط، بل هو مصحوب بإهانة وإذلال يتناسب مع كبر المجرم في الدنيا.

· المثال التقريبي: في الدنيا، قد يُلقى القبض على زعيم مافيا كبير، فيُدفع دفعاً في ظهره إلى سيارة الشرطة، أمام كاميرات العالم. هذا الإذلال العلني جزء من عقوبته. فكيف بمن يُعتل إلى سواء الجحيم أمام الخلائق أجمعين؟!

3. ما هو (سَوَاء الجَحِيم)؟

"سواء الجحيم" أي وسطها ومعظمها. لا يُعتل إلى طرفها أو حافتها، بل إلى صميمها ومركزها، حيث العذاب أشد والحر أقصى. إنه تعذيب مضاعف. فكما كان في الدنيا في صدر المجالس ووسط المحافل متكبراً، فهو في الآخرة في وسط العذاب مهاناً.

· الرسالة النفسية: أن تفر من "الصدارة" في معاصي الله، لئلا تكون في صدارة المعذبين. لا تكن إماماً في الضلا لة.

· الرسالة العقلية: عدل الله في توزيع العقاب. كلما زاد الإجرام، زاد العذاب، وزاد موقعه من النار.

· الرسالة التربوية: علموا الأبناء أن لا يسعوا للشهرة والمكانة بأي ثمن. فمكانة الدنيا الزائفة قد تقود إلى وسط النار.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: مكانة المجرم في الدنيا تتحول إلى مزيد من العذاب في الآخرة، فيكون في وسط النار.

· المثال التقريبي: مريض يرفض الذهاب إلى عيادة الطبيب، فيتفاقم مرضه حتى يُنقل إلى غرفة العناية المركزة في قلب المستشفى. كان يستطيع أن يكون في العيادة، لكنه بتكبره صار في المركز. الكفار رفضوا الإ يمان، فصارت نهايتهم في وسط الجحيم.

الأمر الثاني: تحليل قوله تعالى (ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الحَمِيمِ)

1. لماذا قال (ثمّ)؟ وما دلالة الترتيب؟

"ثم" للترتيب والتراخي الزمني. إنها تدل على أن تعذيبه لا يقتصر على الاعتلال إلى الجحيم وأكل الزقوم، بل بعد أن يستقر في وسط النار، تبدأ مرحلة جديدة من العذاب. إنه عذاب متعدد الأدوار، لا ينقطع. كلما أرادوا أن يخفف عنهم، زيدوا عذاباً.

2. لماذا خص (فَوْقَ رَأْسِهِ)؟ وما دلالة هذا التحديد؟

"فوق رأسه" تحديد دقيق. الرأس هو أشرف أعضاء الجسد، وهو مقر العقل والكبر. الكافر كان يتكبر بعقله الفاسد، ويرفع رأسه متعالياً على عباد الله، ويسجد للبشر والحجر، ويأبى السجود لله. فكان الجزاء أن يُصب فوق رأسه الحميم، ليذل ذلك المقام الذي استكبر به. إنه إذلال لمحل الكبرياء تحديداً.

· الرسالة النفسية: أن تضع رأسك لله سجوداً. السجود هو طأطأة لهذا العضو الشريف لله. فمن لم يفعل ذلك طوعاً في الدنيا، أذِل رأسه بالحميم في الآخرة.

· الرسالة العقلية: دقة العذاب وحكمته. ليس عشوائياً، بل هو مقصود لموضع مخصوص، فيه شفاء لغيظ المؤمنين، وانتقام من الجارحة التي أذنبت.

· الرسالة التربوية: يا معلم الخير، ذكر تلاميذك بهذه الآية. علمهم التواضع، ونهاهم عن رفع الرأس كبراً.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الله يعذب المجرم من الموضع الذي كان مصدر كبره وعلوه في الدنيا، وهو الرأس.

· المثال التقريبي: مغرور يقف أمام المرآة كل يوم متباهياً بشعره وجماله. يصاب بحادث، فيحترق وجهه ورأسه، فيصير عبرة للناس. هذا عقاب في الدنيا. أما في الآخرة، فـ "فوق رأسه" يُصب الحميم. كان شعره ورأسه مصدر فخر، فصار مصدر عذاب.

3. ما هو (عَذابِ الحَمِيم)؟ وما الفرق بينه وبين "المهل" و"طعام الزقوم"؟

كما سبق، الحميم هو الماء الشديد الحرارة الذي بلغ الغاية في الغليان. لكن لاحظ التكامل في أنواع العذاب: الباطن يُعذّب بالمهل، والظاهر (الرأس) يُعذّب بالحميم. إنها إحاطة شاملة للإنسان من كل جانب. "عذاب الحميم" يعني أن الماء الحار نفسه هو عذاب، بخلاف الحميم العادي. إنه شيء لا يمكن تصوّر ألمه.

· الرسالة النفسية: تذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم: "اتقوا النار ولو بشق تمرة". واستحضر هذا المشهد: حميم يُصب على رأسك، فيذيب جلدتك، ويصل إلى عظم جمجمتك، ثم يُعاد خلقك من جديد! هذا هو الخوف المحمود.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: عذاب الآخرة شامل ومتنوع، يحيط بالمجرم من كل مكان، جزاء وفاقاً.

· المثال التقريبي: في الدنيا، مريض يعاني من قرحة في المعدة، وفوقها صداع نصفي. عذابان متزامنان، واحد في الباطن وآخر في الرأس. هذا مثال ضعيف جداً لما سيجده الكافر من "المهل" في بطنه و"الحميم" على رأسه.

الأمر الثالث: تحليل قوله تعالى (ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ)

1. ما معنى (ذُقْ)؟ وما هي دلالة هذا الأمر؟

"ذق" فعل أمر من "الذوق"، وهو تجربة الطعم. لكن هنا هو أمر إهانة وتحقير، بمعنى: "تجرّع العذاب، وكابده، وأحسّه". إنه خطاب مباشر للمجرم، يزيد العذاب على العذاب. فبينما هو في العذاب، يُقال له: "ذق". هذه الكلمة وحدها إيلام نفسي. هي بمثابة إعلان بأن كل ما هو آتٍ من العذاب هو له وحده.

2. ما سر وصفه بـ (العَزِيزُ الكَرِيمُ) في هذا الموقف بالذات؟ ولماذا هو من أبلغ أنواع العذاب؟

هنا تتجلى ذروة البلاغة القرآنية، وأبلغ أنواع التهكم والسخرية المؤلمة! في الدنيا، كان يُقال له: "يا عزيز، يا كريم"، إجلالا ً وتعظيماً له، أو كان هو بنفسه يقول ذلك متكبراً. وكان كفار قريش يقولون: "نحن أعز أهل مكة، وأكرم الناس نسباً ومالا ً".

والآن في الآخرة، وهم في وسط الجحيم، يُصب الحميم على رؤوسهم، ويُقال لهم: (ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ)! أين العزة يا من كنت تتكبر في الأرض بغير الحق؟ أين الكرم يا من كنت تبخل بالمال عن المستحقين؟ أين عزتك التي كانت تمنعك من الانقياد للحق؟ أين كرمك الذي كنت تتفاخر به؟

إن هذا القول ليس مدحاً، بل هو تقريع وتوبيخ وتهكم يزيد من ألمهم النفسي أضعافاً مضاعفة. إنه تذكير لهم بما كانوا يزعمونه في الدنيا، في وقت هم فيه أحقر خلق الله وأذلهم. قال بعض المفسرين: "والله ما عَزّ ولا كرُم، ولكن وبخ بهذا". إنه كمن يضرب شخصاً متكبراً ضرباً مبرحاً، ويقول له مع كل ضربة: "تفضل يا صاحب السعادة! تفضل يا صاحب المقام الرفيع!". إن هذا التوبيخ أشد على نفس الكافر من الحميم نفسه.

· الرسالة النفسية: أن تستبدل كبر الدنيا بتواضع الآخرة. أن تعلم أن العزة الحقيقية هي في طاعة الله. هذا النداء يهز أعماق النفس، ويجعلها تنفض عنها أي ذرة كبر، خوفاً من أن تسمع هذا النداء يوم القيامة.

· الرسالة العقلية: إدراك قانون "انقلاب المقاييس". ما كان عزة في الدنيا صار ذلة في الآخرة، وما كان ذلة في الدنيا (كفقر المؤمنين وضعفهم) صار عزاً. إنها رؤية فلسفية عميقة تعيد تعريف القيم.

· الرسالة التربوية: من أعظم الدروس التربوية في القرآن. علموا أبناءكم أن يرفضوا منطق "العزة بالمال و الجاه"، وازرعوا فيهم أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين. لا تعلموهم الكبر، بل التواضع.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: أشد أنواع العذاب هو التوبيخ النفسي الذي يذكر الإنسان بنعم أنعمها الله عليه فكفر بها، وبصفات ادعاها زوراً فانكشفت يوم القيامة.

· المثال التقريبي: وزير كبير كان يصول ويجول، ويُستقبل بالحفاوة. سقط وسجن. كلما دخل عليه السجان ومعه كسرة الخبز، قال له: "تفضل يا معالي الوزير! هذا هو غداؤك اليوم!". هذه الكلمات أشد عليه من السجن نفسه. هذا هو معنى (إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ).

· المثال التقريبي الثاني: طالب كان يتفاخر بذكائه، ويحقر زملاءه. في الامتحان رسب، بل صار الأخير. قال له المراقب أمام الجميع بسخرية: "أين ذكاؤك يا نابغة؟!". هذه الكلمة أحرقته من الداخل. فكيف بمن يوبخه رب العزة جل جلاله؟!

الأمر الرابع: تحليل قوله تعالى (إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ)

1. ما معنى (تَمْتَرُونَ)؟ وما دلالة هذا التذكير الأخير؟

"تمترون" أي تشكون فيه وتجادلون فيه. كانوا في الدنيا في شك من أمر البعث والجزاء، بل كانوا يسخرون من الآيات التي تنذرهم به. والآن، يرون العذاب رأي العين. يأتيهم هذا التذكير المهين: "هذا الذي ترونه الآن بأعينكم، هو الذي كنتم تكذبون به، وتقولون إنه أساطير الأولين". إنه إغلاق لكل باب من أبواب العذر، وتأكيد على أنهم قد نزل بهم العذاب بسبب شكهم وتكذيبهم. وكما قال قائلهم: (وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ)، يُقال لهم الآن: (إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ). لقد تحول الشك إلى يقين، ولكن يقيناً لا ينفع.

· الرسالة النفسية: أن تبادر بالتوبة قبل أن يأتي يوم التذكير. أن تعمل لتكون في الجنة، حيث لا توبيخ ولا تقريع. أن تفر من الشك إلى اليقين بالإيمان الصحيح.

· الرسالة العقلية: الدليل الحسي قاطع. هؤلاء رأوا بأعينهم ما كانوا يكذبون به. هذه خاتمة من يكابر في عقله ولا يسلم للحق.

· الرسالة التربوية: أن تربط قلبك وقلوب أبنائك باليقين. ألا تكونوا من "الممترين" الذين يتذبذبون. بل قفوا على الثوابت القرآنية لا تتزحزحون.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: التذكير بالذنب وقت العقاب هو جزء من العذاب النفسي، وهو يثبت عدل الله المطلق، حيث أقام الحجة عليهم في الدنيا، وذكرهم بها في الآخرة.

· المثال التقريبي: طبيب حذر مريضه من التدخين، والمرض ينكر. أصابه سرطان الرئة، وفي غرفة الإنعاش، وقف الطبيب وقال: "هل رأيت؟ هذا ما كنت أنكرته!". هذا هو موقف الملائكة. أنذرونا، فكذبتم. ها هو الإنذار قد وقع.

ثانياً: المفاهيم والقيم وأبعاد الآية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

المحور الأول: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآيات

· المفهوم النفسي: كسر الأنا وتفكيك النرجسية. الآيات تعالج تضخم الأنا بأسلوب عملي: إهانة الجسد، وإهانة النفس بالكلمة (يا عزيز يا كريم). هذا علاج جذري لداء الكبر.

· المفهوم الفكري: العدل الإلهي أعمق من العقاب الجسدي. الآية تؤكد أن العقاب ليس انتقاماً أعمى، بل هو تطهير كوني وإحقاق للحق، يشمل التأنيب النفسي الذي لا يقل عن الجسدي.

· المفهوم التربوي: التربية بالصدمة العكسية. الأسلوب القرآني في (إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ) هو أسلوب تربوي بـ الغ التأثير. إنه يعلمنا أن نستخدم التذكير اللاذع أحياناً لردع المغرور، ولكن في حدود الحكمة.

المحور الثاني: أبعاد الآية وآفاقها نفسياً وفكرياً وعقائدياً

· البعد العقائدي: توحيد القهر والجبروت. الآيات تكرس عقيدة أن القاهر فوق عباده هو الله. "خُذُوه" أمر لا يرد ولا يستأنف. وهذا يملأ القلب إجلالا ً لله.

· الأفق الفكري: زيف القيم المادية. ما كانوا يعدونه عزاً وكرماً في الدنيا، صار سبباً للخزي في الآخرة. هذه رؤية فكرية تغيّر مقاييس النجاح.

· البعد النفسي: الأمان للمؤمن المتواضع. في مقابل هذا العذاب للمتكبر، يجد المؤمن المتواضع طمأنينة بأنه في حفظ الله، وأن تواضعه سيُجزى به عزاً في الآخرة.

المحور الثالث: القيم المستنبطة من الآيات

· قيمة التواضع ونبذ الكبر.

· قيمة الإيمان بيوم الفصل والاستعداد له.

· قيمة الحذر من الشك والامتراء.

· قيمة الثقة بعدالة الله المطلقة.

المحور الرابع: مفاهيم البناء والتنمية في الآيات

· بناء مجتمع متواضع متين. مجتمع يسوده التواضع، وتختفي منه لغة "العزة بالإثم"، هو مجتمع متماسك.

· التنمية بالرجال الصادقين. رجالا ً لا يطلبون كلمة "عزيز" و"كريم" في الدنيا، بل يعملون للآخرة.

المحور الخامس: تحويل المفاهيم إلى طاقة

· على مستوى الإنسان: كلما أحسست بذرة كبر في قلبك، قل لنفسك: "اتق أن تُعتل إلى سواء الجحيم، وأن يُصب فوق رأسك الحميم، وأن يُقال لك: ذق إنك أنت العزيز الكريم".

· على مستوى المجتمع: علموا الأمة أن أبطالها هم المتواضعون، لا المتكبرون.

ثالثاً: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآيات وكيف نطبقها في واقعنا

المحور الأول: إلى ما تدعونا إليه الآيات؟

· تدعوك للتواضع التام لله ولعباده.

· تدعوك لليقين بالآخرة وعدم الامتراء فيها.

· تدعوك لمراقبة عملك اليوم، خوفاً من عذاب الغد.

المحور الثاني: كيف نطبق هذه الآيات؟ وماذا نتعلم منها في حياتنا العملية؟

1. تطبيق التواضع: عوّد نفسك على خدمة أهلك بنفسك. نظف، احمل، لا تتكبر على أي عمل.

2. تطبيق التذكير: إذا رأيت من يتكبر ويغتر، فذكره بلطف بقوله تعالى: (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ). واسأله: هل تريد أن تقال لك هذه الكلمة في الآخرة؟

3. تطبيق الحذر من مدح الناس: لا تغتر بمدح الناس. إذا مدحك أحدهم بـ "عزيز" و"كريم"، تذكر هذه الآية، وقل: "اللّهم لا تؤاخذني بما يقولون، واغفر لي ما لا يعلمون".

الرسالة الخاتمة

ختاماً، هذه الآيات الأربع هي رسالة قوية لكل من يقرأ كتاب الله. إنها تصرخ فينا: "لا تغتروا بعزة الدنيا وكرمها!". إن العزة الحقيقية هي الطاعة، والكرم الحقيقي هو التقوى. أما عزة المال والسلطان، فهي التي ستجر صاحبها إلى العذاب، وتجعله يُساق إلى وسط النار، ويُصب فوق رأسه الحميم، ويُقال له: "أهذه هي عزتك التي كنت تتباهى بها في الدنيا؟".

اسمع يا عبد الله، القرار قرارك الآن. إما أن تسجد لله طوعاً، فيرفع رأسك في الآخرة. وإما أن ترفع رأسك عن السجود كبراً في الدنيا، فيُعتَل برأسك إلى سواء الجحيم. فاختر لنفسك أي الخاتمتين تريد.

المبحث الرابع

. بعد أن عرضت السورة مشهد العذاب المهين للكافرين المتكبرين، تنتقل بنا الآن إلى الضفة الأخرى، حيث الأ مان المطلق والنعيم المقيم.تنقلتا الايات الى مشهد حال المتقين المؤمنين في الجنه لتدعونا الى الاستثمار في الاخره لتصحح لنا مفهوم النجاح الحقيقي بانه النجاح في الاخره والفوز بالجنه إنها الآيات التي تجيب على السؤال الكبير: "إذا كانت تلك نهاية من اغتر بالدنيا، فما هي نهاية من آمن بالآخرة وعمل صالحاً؟". إنها ترجمة عملية لمعنى الفوز الحقيقي الذي سعت السورة كلها لتقريره.

دعنا نقف بخشوع وتأمل مع هذه الآيات الكريمة التي تسكب الطمأنينة في قلب كل مؤمن، وتصور له مستقبله الذي ينتظره جزاءً لإيمانه وتقواه:

(إِنَّ المُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (51) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (52) يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ (53) كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (54) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (55) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا المَوْتَ إِلَّا المَوْتَةَ الأُولَىٰ ۖ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الجَحِيمِ (56) فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ (57))

تخيّل أنك قد عبرت الصراط، وأغلقت خلفك أبواب النار، وفتحت لك أبواب الجنة. هذه الآيات تطوف بك في رحاب النعيم الخالد.

أولا ً: تحليل أجزاء الآيات وربطها بالسياق

بعد الحديث الطويل المليء بالإنذار والتخويف عن الكافرين وعاقبتهم، يأتي الحديث عن المتقين ونعيمهم. هذا من سنن القرآن الكريم: المقابلة بين مصير الفريقين ليكتمل التصور، وليكون المؤمن بين الخوف والرجاء. لاحظ أن حديث النعيم بدأ بـ (إنّ) المؤكدة، ليطمئن قلب كل مؤمن بأن هذا الوعد حق ثابت لا شك فيه.

الأمر الأول: تحليل قوله تعالى (إنّ المُتّقِينَ في مَقامٍ أَمِين)

.١من هم) المُتّقِينَ(؟ ولماذا افتتحت الآية بهم؟

"المتقون" هم الذين جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. هم الذين عاشوا في الدنيا وفق "الكتاب المبين"، فآمنوا بالغيب، وأقاموا الصلاة، وأنفقوا مما رزقناهم. تأتي صفة "المتقين" هنا لتكون المفتاح الذهبي لكل ما يأتي بعدها. إنها تقول لك بوضوح: "إن أردت هذا النعيم، فكن من المتقين". إنها تحدد سبب الفوز العظيم: ليس بالمال ولا بالجاه ولا بالنسب، بل بالتقوى وحدها.

· الرسالة النفسية: أن تجعل التقوى غايتك ومنتهى أملك. أن تراجع نفسك في كل لحظة: هل أنا من المتقين؟ هذا السؤال هو وقود العمل الصالح. والشعور بأنك تسير في ركب "المتقين" يملأ قلبك فرحاً وسكينة، ويجعلك تستصغر أي مشقة في طاعة الله.

· الرسالة العقلية: أن تدرك أن الجزاء من جنس العمل. هم اتقوا النار في الدنيا بترك المعاصي، فأمنهم الله منها في الآخرة. إنها معادلة منطقية عادلة تماماً.

· الرسالة التربوية: أن تزرع في أبنائك حب التقوى، وأن تجعلها مقياس التفاضل بينهم. لا تقل: "فلان أفضل لأ نه أغنى"، بل قل: "فلان أفضل لأنه أتقى لله".

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: التقوى هي سبب الأمان المطلق في الدنيا والآخرة، وهي الطريق الوحيد إلى دار الكرامة.

· المثال التقريبي: موظفان في مصنع، أحدهما يلتزم بتعليمات الأمن والسلامة بكل دقة (متق)، والآخر متهور لا يبالي. وقع حريق في المصنع، الملتزم نجا، والمتهور هلك. هكذا التقوى، هي تعليمات الأمان للنجاة من نار الآ خرة.

.٢ما هو) مَقامٍ أمِين(؟ وما دلالة وصفه بـ "الأمين"؟

"مقام" أي موضع الإقامة والاستقرار، وهو اسم مكان يدل على الدوام والثبات والرفعة. ووصف بأنه "أمين" أي آمن من كل خوف، فلا زوال ولا فناء ولا موت ولا مرض ولا هم ولا غم ولا عدو ولا شيطان. إنه المكان الذي يأمن فيه صاحبه من كل ما يخافه ويرهبه. هذه الكلمة وحدها تكفي لتطمئن قلب المؤمن. في الدنيا، لا مكان آمناً على الإطلاق، حتى القصور والحصون. أما في الآخرة، فالمقام أمين كل الأمان.

· الرسالة النفسية: أن تشتاق لهذا المقام. أن تعيش في الدنيا وأنت تعلم أن لك في الآخرة مقاماً أميناً، يهوّن عليك كل مقامات الخوف والقلق في الدنيا.

· الرسالة العقلية: معرفة الفرق بين دار الفناء (الدنيا) ودار البقاء (الآخرة). العاقل يسعى لدار البقاء، ويجعل الدنيا مزرعة لها.

· الرسالة التربوية: أن تربي أبناءك على عدم الخوف من المستقبل، لأن لهم عند الله مقاماً أميناً إن هم اتقوا.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الأمان المطلق والنفسي لا يتحقق إلا في الجنة، وهي دار المقام الأمين الذي لا خوف فيه ولا حزن.

· المثال التقريبي: إنسان يعيش في خيمة وسط العواصف، ويعلم يقيناً أنه سيرث قصراً منيعاً دافئاً آمناً. هذا القصر هو "المقام الأمين". فكيف سيكون شعوره وهو في خيمته؟ سيكون صابراً مطمئناً، بل فرحاً بما ينتظره.

الأمر الثاني: تحليل قوله تعالى (فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ)

.١لماذا كرر ذكر) جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (هنا، وقد سبق ذكرها في وصف ما تركه آل فرعون؟

هذه مقابلة عجيبة ومذهلة! فرعون وقومه تركوا (جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) إلى العذاب، والمتقون دخلوا (جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) في النعيم. إنها نفس الكلمات، لكنها تعبر عن واقعين مختلفين تماماً. جنات فرعون كانت فتنة ومتاعاً زائلا ً، بينما جنات المتقين هي جزاء ونعيم دائم. في الأولى كانت سبباً للهلاك، وفي الثانية هي جزاء الطاعة. وهذا يعلمك أن وجود الشيء في ذاته ليس هو المهم، بل موقفك أنت منه. المال والقصور (الجنات والعيون) إن شكرتها وأطعت الله، كانت نعمة في الدنيا وبشارة بجنات الآخرة. وإن كفرتها، كانت استدراجاً وسبباً للهلاك.

· الرسالة النفسية: أن تفرح بنعم الله عليك، وتجعلها معبراً إلى شكره، لا جسراً إلى معصيته. أن تنظر إلى جنات الدنيا على أنها أنموذج مصغر ومؤقت لجنات الآخرة.

· الرسالة العقلية: المقارنة بين ما عند فرعون وما عند المتقين تريك أن المضمون يختلف باختلاف مصدره وغايته وكيفية التعامل معه.

· الرسالة التربوية: علم أبناءك أن المال ليس مذموماً لذاته، بل المذموم هو أن يطغيك ويلهيك عن الآخرة.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: المؤمن يُعطى من النعيم ما يشبه ما أعطاه الله للكافرين في الدنيا، ولكن بفارق أنه نعيم دائم وكرامة ، ونعيمهم زائل واستدراج.

· المثال التقريبي: طالبان، كلاهما يملك قلماً فاخراً، لكن الأول سرقه، والثاني أهداه له أبوه مكافأة على تفوقه. كلاهما يكتب بالقلم، لكن شعور الأول بالخوف والذنب، وشعور الثاني بالفرح والفخر. جنات فرعون مسروقة با لإثم، وجنات المتقين هدية من الرحمن.

الأمر الثالث: تحليل قوله تعالى (يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ)

.١ما هو) سُنْدُسٍ (و) إِسْتَبْرَقٍ(؟ ولماذا خصهما بالذكر؟

"السندس" هو الحرير الرقيق الناعم الذي يلي الجسد، و"الإستبرق" هو الحرير السميك المزين بالرسوم الذهبية. هذان النوعان هما أفخر أنواع الحرير وأغلاها. كانوا يرون مثلها أو يحلمون بها في الدنيا، وها هم يلبسونها في الآخرة، ولكن بلا تعب ولا مشقة. إنه وصف يخاطب النفس البشرية بما تعرفه من لذة. اللباس الحسن زينة وكرامة، والله يلبسهم أفضل اللباس.

· الرسالة النفسية: أن تعلم أن الله كريم. لا يعطي عباده الضروري فقط، بل يعطيهم الكمالي والزائد. هذا يجعلك تحبه وتثق به.

· الرسالة العقلية: فقه الأولويات: اللباس في الدنيا للستر والتجمل، وهو نعمة. أما في الآخرة فهو محض كرامة ولذة.

· الرسالة التربوية: علم أبناءك أن يلبسوا الجميل شاكرين، لا متكبرين، وأن يكون أملهم في لباس الجنة.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: في الجنة، يلبس المؤمن أفخر أنواع الحلل والثياب، جزاءً لصبره عن محارم الله في الدنيا.

· المثال التقريبي: بطل أولمبي يفوز بالميدالية الذهبية، فيُلبس في حفل التتويج بذلة خاصة فاخرة، ويمنح وساماً. هذا اللباس علامة تشريف وتكريم. أما في الجنة، فاللباس نفسه مملكة من النعيم.

.٢ما دلالة وصفهم بـ) مُتَقابِلِينَ(؟

أي يجلس بعضهم مقابل بعض، ينظر بعضهم إلى وجوه بعض، لا أحد يدير ظهره لأحد. هذا التصوير ينفي أي هم أو غم أو حزن. الجلوس المتقابل يدل على الألفة والمحبة والمؤانسة وصفاء القلوب. لا أحقاد بينهم، ولا ضغائن. إنه مجلس أنس دائم، لا مقاطعة فيه ولا كراهية. وهذا جزاء ما كانوا عليه في الدنيا من التواد و التحاب في الله.

· الرسالة النفسية: أن تعلم أن الوحدة مؤلمة حتى في النعيم. فلذة الجنة الحقيقية أن تكون مع أحبابك "متقابلين". هذا يشوقك للجنة ويجعلك تصبر على فراق الأحبة في الدنيا.

· الرسالة العقلية: صفاء الصدور في الآخرة جزاء للتواد في الله في الدنيا.

· الرسالة التربوية: أن تعوّد أبناءك على إفشاء السلام والمجالسة بالمعروف والصفح عن الزلات، لتكون مجالسهم في الدنيا تمهيداً لمجالس الآخرة.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الجنة دار أُنس وسكينة، حيث يجتمع الأحباب على سرر متقابلين، لا كدر بينهم ولا تنغيص.

· المثال التقريبي: عائلة كبيرة، بعد سنوات طويلة من التعب والغربة والفراق، تجتمع أخيراً في بيت واحد جميل، وتجلس حول مائدة واحدة، متقابلين، يضحكون ويتجاذبون أطراف الحديث. هذا شعور ضئيل جداً بمشهد المتقين في الجنة.

الأمر الرابع: تحليل قوله تعالى (كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ)

.١ما معنى) كَذَٰلِكَ(؟

أي مثل ذلك العطاء الجزيل في المسكن واللباس والمجالس. إنها تشير إلى أن ما سبق من النعيم ليس بالقليل،

بل هو عظيم جداً.

.٢من هن) حُورٌ عِينٌ(؟ وما سر هذا الزواج؟

"الحور" جمع حوراء، وهي المرأة الشديدة بياض العين في شدة سوادها. "العِين" جمع عيناء، وهي واسعة العين جميلتها. هؤلاء نساء الجنة، خُلقن من غير ولادة في الدنيا، فهن أبكار. هذا الزواج هو إتمام للنعيم وكمال للذة. فبعد أن طمأنهم الله على مسكنهم ولباسهم وجلساتهم، أتم نعيمهم بالأهل والزوجات. لاحظ أن الله لم يقل: "وأعطيناهم حوراً عيناً"، بل قال: (وَزَوَّجْنَاهُمْ)، ليدل على العلاقة الدائمة المستقرة، لا مجرد العطاء المؤقت. وهذا جزاء لمن غض بصره في الدنيا عن الحرام، وصان فرجه، وطلب الحلال.

· الرسالة النفسية: أن تصبر عن الشهوات المحرمة. هذه الآية تقول لك: "لا تنظر للحرام، فالله سيزوجك بـ الحور العين". هذا الصبر يُستعاض عنه بنعيم لا يوصف.

· الرسالة العقلية: كمال النعيم الإنساني هو باجتماع النعم المادية والروحية والاجتماعية. هذا قانون فطري، وا لإسلام يعترف به ويلبيه في الجنة.

· الرسالة التربوية: تربية الشباب على العفاف والصبر، وربط ذلك بالوعد القرآني بالحور العين. قل لهم: "غضوا أبصاركم، تصبروا على الحرام، يزوجكم الله بالحور العين في الجنان".

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: من نعيم الجنة أن يزوج الله المؤمنين بالحور العين، وهو كمال للذة التي أعدها للصابرين عن الحرام في الدنيا.

· المثال التقريبي: جندي في مهمة طويلة وشاقة على الحدود، يبقى يقظاً في ليل البرد القارس. يقول له قائده: "اصبر قليلا ً، ففي نهاية المهمة، ستعود إلى وطنك، وسأزف لك أجمل عروس، وأعطيك بيتاً جميلا ً ". هذا الوعد يهون عليه كل صعوبة.

الأمر الخامس: تحليل قوله تعالى (يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ)

.١ما دلالة) يَدْعُونَ(؟ ولماذا خص الفاكهة بالذكر؟

"يدعون" أي يطلبون ويسألون ويشتهون. الفاكهة هي رمز الترف واللذة في الطعام. في الدنيا، قد تخاف من ضرر الفاكهة، أو تحتاج لمال لتشتريها، أو قد لا تجد ما تشتهي. أما في الجنة، فما عليك إلا أن تدعوَ بها، أي تطلبها بمجرد الشهوة والاشتهاء، فتأتيك فوراً. إنه منتهى العزة والكفاية والغنى.

· الرسالة النفسية: أن تشعر بأنك في منزلة الملوك. أن تشتهي فتقول: "أريد كذا"، فيأتيك دون جهد أو تعب. هذا الشعور بالغنى المطلق يريح النفس.

· الرسالة العقلية: كمال النعيم في زوال التعب والمشقة. إنها حياة لا عمل فيها إلا التنعم.

· الرسالة التربوية: أن تشتاق للجنة. كلما رأيت فاكهة جميلة وأعجبتك، قل: "اللّهم إني أسألك هذه الفاكهة في الجنة آمناً".

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: في الجنة، تتحقق الأمنيات بمجرد الاشتهاء، بلا تعب ولا خوف من ضرر، في جو من الأمان المطلق.

· المثال التقريبي: ضيوف في أفضل فندق في العالم، أمامهم بوفيه مفتوح، وكل ما يشتهونه يطلبونه من رئيس الخدم فيحضر فوراً. هذا ليس شيئاً أمام جنات النعيم.

.٢ما دلالة وصفهم بـ) آمِنِينَ (هنا؟

ذكر الأمان بعد الفاكهة لسبب خاص. العرب في الجاهلية كانوا يخافون من الفاكهة لأنها قد تكون مسمومة، أو لأنها سريعة التلف وتسبب المرض. فجاء الوصف بأنهم "آمنين" من كل ذلك. لا مرض، ولا ألم، ولا ضرر، ولا تلف ، ولا انقطاع. الأمان هنا متعدٍّ لكل شيء يخطر على البال.

· الرسالة النفسية: تأكيد الطمأنينة التامة، فلا خوف من المستقبل ولا من تغير الحال.

· الرسالة العقلية: رفع كل شوائب النعيم البشري الناقص عن النعيم الأخروي الكامل.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الأمان التام من كل مكروه هو السياج الذي يحيط بكل نعيم الجنة.

· المثال التقريبي: طفل يأكل قطعة شوكولاتة وهو خائف من أمه أن تراه وتعاقبه. إنه ليس آمناً! أما في الجنة، فأنت تأكل وتشرب بدون خوف من ضرر ولا من انقطاع ولا من حساب.

الأمر السادس: تحليل قوله تعالى (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ۖ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ)

.١ما معنى) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ(؟

هذا هو التاج الذي فوق كل النعيم! لقد ذاقوا الموتة الأولى في الدنيا، ولن يذوقوا بعدها موتاً أبداً. إنه الخلود المطلق. هذا رد مباشر على قول الكفار: (إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ). فالمؤمنون يذوقون الموتة الأولى، ثم يبعثون وينعمون بلا موت. والكفار أيضاً يذوقون الموتة الأولى، ثم يبعثون ويعذبون بلا موت. الفرق هو حالهم بعدها. فانظر كيف أن إنكار الكفار للبعث قادهم للعذاب، وإيمان المؤمنين به قادهم للنعيم.

· الرسالة النفسية: أعظم ما يكدّر صفو الإنسان في الدنيا هو الخوف من الموت. في الجنة، لا موت! هذا الخبر وحده يملأ القلب بالشوق العظيم، ويجعلك لا تهاب الموت في الدنيا، بل تراه جسراً إلى هذا النعيم الخالد.

· الرسالة العقلية: الخلود هو الترجمة الحقيقية لـ "دار القرار". إنها دار لا رحيل عنها ولا فناء بعدها.

· الرسالة التربوية: إذا شعرت باليأس من طول البلاء، تذكر أن الموتة الأولى هي آخر أحزانك، وأن الخلود في النعيم قادم لا محالة.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الخلود هو أعظم نعيم، والموت لا يدخل الجنة، فالمؤمن سيعيش أبداً بلا موت ولا فناء ولا مرض.

· المثال التقريبي: مريض بالسرطان في مرحلة متأخرة، قال له الطبيب: "هذه آخر جرعة علاج كيماوي، وهي مؤلمة جداً، لكن احتملها، فبعدها ستشفى تماماً، ولن يعود المرض أبداً!". هو يتحمل ألم الجرعة، ولكنه فرح جداً. "الموتة الأولى" هي آخر جرعة ألم، وبعدها النعيم المطلق.

.٢ما دلالة إفراد) وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (بالذكر بعد كل هذا النعيم؟

بعد ذكر كل هذا النعيم العظيم، يعود السياق ليذكر أنهم وُقوا عذاب الجحيم. لماذا؟ لتكتمل الصورة، ولتكون النعمة تامة. النعيم وحده لا يكفي إن كان هناك خوف من زواله أو من عذاب آخر. فجاء هذا التأكيد: أنتم في هذا النعيم، وقد أمنتم من ضده تماماً وهو عذاب الجحيم. إنها مقابلة أخرى بين حالهم وحال الكفار الذين يُسحبون إلى سواء الجحيم.

· الرسالة النفسية: أن تعيش بين الخوف والرجاء. تفرح بالنعيم الموعود، وتشكر الله أن وقاك مما وقع فيه الكفار.

· الرسالة العقلية: تمام النعمة يكون بالأمن من ضدها. نعمة الجنة لا تكتمل إلا بالنجاة من النار.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: النجاة من النار هي أكبر نعمة بعد رضا الله، وهي تزيد من لذة النعيم في الجنة.

· المثال التقريبي: رجل غرق في بحر هائج، وأنقذته فرقة الإنقاذ في آخر لحظة. البحر الذي كان سيغرقه، أصبح الآن مشهداً يذكره كل يوم بقيمة الحياة والنجاة. أهل الجنة يرون النار، فيزداد نعيمهم شكراً وحمداً لله.

الأمر السابع: تحليل قوله تعالى (فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)

.١ما دلالة كلمة) فَضْلًا(؟

كل ما سبق من النعيم، هو "فضل من ربك"، أي عطاء وتكرم وإحسان من الله، وليس عن استحقاق ذاتي منا. لو حاسبنا الله بعدله المطلق، لهلكنا جميعاً. ولكن هذا كله بفضله وكرمه ومنّه. إنها تذكرة للمؤمن ألا يعجب بعمله، وألا يغتر بطاعته، بل يوقن أن الجنة فضل من الله. ومع ذلك، فالفضل الإلهي له أسباب، منها التقوى والعمل الصالح.

· الرسالة النفسية: أن تشعر بغاية التواضع حتى وأنت في أعلى مراتب النعيم. أن تعلم أنك هناك بفضل الله، لا بعملك فقط. هذا يمنع العُجب والكبر، ويجعل المؤمن دائم الشكر.

· الرسالة العقلية: أن توقن أن الجنة رحمة محضة من الله، وأن العمل الصالح سبب لها لا ثمناً لها.

· الرسالة التربوية: لا تُعجب بعملك، ولا تمنّ به على الله، وادعُ الله أن يدخلك الجنة بفضله لا بعملك.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: دخول الجنة ونيل كل هذا النعيم هو فضل من الله وكرم، لا يستحقه أحد بعمله، ولكن الله تفضل به على عباده المتقين.

· المثال التقريبي: عامل فقير لا يملك شيئاً، عمل عند سيد كريم جداً. في نهاية العام، أعطاه السيد قصراً وملكاً. قال العامل: "يا سيدي، هذا كثير جداً، أنا لم أعمل ما يساوي هذا". قال السيد: "صدقت، لكن هذا فضل مني وتكرم، أدخلك به النعيم". هذه هي الجنة، فضل من ربك.

.٢ختمت الآيات بقوله:) ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .(ما هو الفوز العظيم؟

"ذلك" إشارة لكل ما ذكر من النعيم والأمان والخلود والوقاية من العذاب. "هو" ضمير فصل يفيد التوكيد و الحصر. "الفوز العظيم" أي النجاح الذي لا نجاح بعده، والربح الذي لا خسارة معه. كل ما يسميه الناس "فوزاً"

في الدنيا هو فوز صغير مؤقت أو زائف. أما هذا فهو الفوز الحقيقي والعظيم. هذه هي الآية التي تصحح مفهوم النجاح الحقيقي كما تحدثنا في المقدمة، وتجيب عن غاية الوجود: السعي لهذا الفوز.

· الرسالة النفسية: أن تغير نظرتك للنجاح تماماً. النجاح الحقيقي هو هذا. لا تنظر للنجاح على أنه سيارة وبيت ومركز، بل انظر له على أنه رضا الله ودخول الجنة. هذا التصور الجديد يريحك من سباق الفئران المادي.

· الرسالة العقلية: معايير النجاح والفشل يجب أن تُستمد من القرآن، لا من إعلام المادة.

· الرسالة التربوية: ربوا أبناءكم على أن "الفوز العظيم" هو الجنة. اجعلوا هذا الهدف الأسمى نصب أعينهم، ووزنوا به كل نجاحاتهم.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الفوز الحقيقي والنجاح المطلق هو في دخول الجنة والنجاة من النار، وما عدا ذلك فهو فوز مؤقت أو موهوم.

· المثال التقريبي: طالب في المدرسة، حصل على جائزة في مسابقة الرسم، ففرح جداً. قال له أبوه: "هذا جميل، لكن الفوز العظيم هو حصولك على الشهادة النهائية، ودخولك الجامعة!". أما الجنة، فهي "الشهادة النهائية" للوجود البشري كله، التي لا يساوي فوز الدنيا كله ذرة منها.

ثانياً: المفاهيم والقيم وأبعاد الآية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

المحور الأول: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآيات

· المفهوم النفسي: سيكولوجية الأمل والمستقبل المشرق. الآيات ترسم صورة تفصيلية غامرة للنعيم، فتملأ قلب المؤمن أملاً وتفاؤلاً وشوقاً، مما يدفعه للعمل بلا كلل.

· المفهوم الفكري: تصحيح معايير الفوز والنجاح في الحياة. (ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) هي ثورة فكرية ضد قيم المادية الجوفاء.

· المفهوم التربوي: التربية بالترغيب أصل من أصول المنهج القرآني. هذه الآيات هي قمة التربية بالترغيب وتقديم النماذج الإيجابية المحفزة.

المحور الثاني: أبعاد الآية وآفاقها نفسياً وفكرياً وعقائدياً

· البعد العقائدي: رحمة الله وفضله هما أساس النجاة. النعيم فضل من الله لا يستحقه أحد بعمله، وهذا يرسخ

التوحيد.

· الأفق الفكري: بناء الحضارة الإنسانية على مفهوم الخلود. حضارة المسلمين تقوم على بناء ما يبقى ويدوم، لا ما يفنى ويزول، لأن بوصلتهم هي "المقام الأمين".

· البعد النفسي: تحقيق الأمان الوجودي المطلق. "لا يذوقون فيها الموت" تعالج أعظم قلق إنساني، وهو الخوف من الفناء، وتقدم له الحل اليقيني.

المحور الثالث: القيم المستنبطة من الآيات

· قيمة التقوى: فهي مفتاح كل هذا النعيم (إن المتقين).

· قيمة الأمل والرجاء: فـالله هو الكريم صاحب الفضل (فضل من ربك).

· قيمة الأمان والطمأنينة: (في مقام أمين).

· قيمة الاعتراف بالفضل وعدم الاغترار بالعمل: (فضل من ربك).

المحور الرابع: مفاهيم البناء والتنمية في الآيات

· بناء الإنسان المتيقن بالآخرة. هذا الإنسان يعمل للدنيا بسخاء وإتقان، ويرجو الآخرة بصدق وإيمان.

· تنمية مجتمعية بالوعد الإلهي. مجتمع يوقن بأن له مستقبلا ً أبديا ً في الجنة، لن يقنط من رحمة الله أبدا ً، وسيبقى متطلعا ً متفائلا ً.

المحور الخامس: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

· على مستوى الإنسان: في كل صباح، قل: "أنا ساع إلى مقام أمين، في جنات وعيون، فلا يغرنكم دنياكم الزائلة".

· على مستوى المجتمع: مجتمع يجعل الجنة غايته، هو مجتمع نظيف، آمن، أخلاقي، منتج للحق والخير.

· على مستوى الحضارة: حضارة "الفوز العظيم" هي حضارة قيم وعدل وأخلاق، لا حضارة مادة واستهلاك وعُلوّ.

ثالثا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآيات وكيف نطبقها في واقعنا

المحور الأول: إلى ما تدعونا إليه الآيات؟

· تدعوك لتحقيق التقوى في كل حياتك لتستحق هذا النعيم.

· تدعوك لتغيير بوصلتك بالكامل نحو "الفوز العظيم".

· تدعوك لتعيش في الدنيا بأمل ورجاء وشوق، لا بيأس وقنوط وخوف.

المحور الثاني: كيف نطبق هذه الآيات؟ وماذا نتعلم منها في حياتنا العملية؟

.1تطبيق التقوى: ضع قائمة بـ "تقوى الجوارح": غض بصر، حفظ لسان عن الغيبة والنميمة، أكل حلال . حاسب نفسك يومياً على هذه القائمة.

.2تطبيق الفوز العظيم: عند كل نجاح دنيوي) تخرج، ترقية، ربح(، تذكر أن "الفوز العظيم" هو ما ينتظرك عند الله، فافرح بالدنيا ولكن لا تجعلها غايتك.

.3تطبيق التربية بالشوق: اقرأ هذه الآيات على أبنائك بصوت مسموع، واسألهم: "أين تريدون أن تكونوا؟ في جنات وعيون، أم في سواء الجحيم؟" .ازرعوا فيهم الشوق للجنة.

الرسالة الخاتمة

ختاماً، هذه الآيات السبع هي جوهرة السورة وخلاصتها. لقد قارنت السورة بين النهايتين، ورسمت لنا الطريقين. الكافرون المتكبرون في "سواء الجحيم" يصب فوق رؤوسهم الحميم، ويقال لهم: "ذق إنك أنت العزيز الكريم". أما أنتم، معشر المتقين، ففي "مقام أمين"، في "جنات وعيون"، تلبسون السندس والإستبرق، متقابلين متحابين، ومعكم الحور العين، تأكلون من كل فاكهة آمنين، وقد وقاكم الله عذاب الجحيم، وكل ذلك "فضل من ربك... ذلك هو الفوز العظيم".

اسأل نفسك الآن، وقد وقفتَ على ختام المشهدين: في أي المشهدين تريد أن تكون؟ إذا أردت الثاني، فاعلم أن ثمنه هو التقوى. عش لله، واتق الله، واجعل "تلك هي الغاية" دليلك وبوصلتك في هذه الحياة.

المبحث الاخير

تفسير خاتمة سورة الدخان: الآيتان (58-59)

ها هي رحلتنا مع سورة الدخان توشك على نهايتها. لقد بدأناها معًا بطلب اليقين من "الكتاب المبين" لمواجهة "دخان" الغفلة والمادة، وها نحن في ختامها نقف على شاطئ الأمان، حيث تودعنا السورة بهاتين الآيتين

الجامعتين. إنهما خاتمة تليق برحلة إيمانية عميقة، وتجيب على السؤال الأخير: "وماذا بعد كل هذا الذي سمعناه من قصص ومواعظ وأحداث؟".

دعنا نقف بخشوع وتأمل مع هاتين الآيتين الكريمتين اللتين تختمان هذه السورة العظيمة:

(فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (58) فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ (59))

تخيل أن السورة التي بدأت بـ (حم، وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ) تختم الآن بهذا الإعلان عن تيسير الكتاب، وتأمر النبي و المؤمنين بالارتقاب. إنها لحمة وسدا، بداية ونهاية متناغمتان.

أولا ً: تحليل أجزاء الآيتين وربطها بالسياق

لقد طوفت بنا السورة في رحلة مذهلة: من إنذار قوم فرعون، إلى بيان مصارع المجرمين كقوم تبع، إلى التأمل في خلق السماوات والأرض بالحق، إلى وصف أهوال يوم الفصل، ثم مشاهد العذاب المهين للمجرمين، ثم النعيم المقيم للمتقين. والآن، وبعد كل هذا البيان، يأتي دور الجواب العملي: "ماذا نصنع بهذا الكتاب؟ وكيف نتعامل مع من يكذب به بعد كل هذه الحجج؟".

الأمر الأول: تحليل قوله تعالى (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)

1. ما معنى (يَسَّرْنَاهُ)؟ ومن الميسِّر؟ ومن الميسّر له؟

"يسرناه" أي سهلناه وذللناه وجعلناه سهلا ً واضحاً قريب المتناول، لا تعقيد فيه ولا غموض يمنع من فهمه وا لانتفاع به. الفعل مسند إلى ضمير الجمع للعظمة "نا" أي الله سبحانه وتعالى. والضمير المنصوب "الهاء" يعود على "الكتاب المبين" الذي بدأت به السورة. إنه القرآن الكريم. فالله العظيم هو الذي تكفل بتيسير هذا القرآن، وتذليل ألفاظه ومعانيه، وجعله على لسان النبي العربي الأمي، ليكون سهلا ً على الناس حفظه وتلاوته وفهمه وتدبره والعمل به. إنها رسالة لكل من يظن أن القرآن بعيد المنال: "بل هو ميسر لمن أراد".

· الرسالة النفسية: أن تشعر بفضل الله عليك ورحمته. القرآن ليس كتاباً معقداً مغلقاً لا يفهمه إلا الراسخون، بل هو ميسر لك أنت أيها القارئ، أياً كان مستواك العلمي. لا تقل: "القرآن صعب، ولن أفهمه أبداً". هذا من تلبيس إبليس. الله يقول لك: "يسرناه". اقرأه وستجد أثره في قلبك. هذا الشعور يجعلك تقبل عليه بحب وشغف.

· الرسالة العقلية: أن تدرك أن فهم القرآن وتدبره في متناول كل أحد بشرط الإخلاص والتقوى. ليست العبرة بعلو الدرجة العلمية أو الشهادات، بل بصفاء القلب والنية. آلاف من البسطاء والأميين فهموا القرآن وعملوا به، لأنه "ميسر" من الله.

· الرسالة التربوية: لا تستكثر على أحد أن يفهم القرآن. شجع أبناءك وطلابك، وقل لهم: "اقرؤوا، فالله قد يسره. لا تحتاجون إلى أن تكونوا علماء كباراً لتتدبروه". افتح الباب للجميع، ويسّر العلم ولا تعسره.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: القرآن الكريم، رغم عظمته وأسراره اللامتناهية، ميسر من الله للحفظ والتلاوة والتدبر، وهو في متناول كل مخلص طالب للهدى.

· المثال التقريبي: تقنية معقدة جداً، كالهاتف الذكي، بداخلها مليارات الدوائر الإلكترونية التي لا يفهمها إلا مهندس مختص. لكن صانعها جعلها سهلة الاستخدام جداً، لدرجة أن طفلاً في الثالثة من عمره يستطيع أن يفتحه ويلعب عليه. صعوبة الصنع لا تعني صعوبة الاستعمال. القرآن معانيه عظيمة جداً، لكن الله جعله "ميسراً" للاستعمال والانتفاع اليومي.

· المثال التقريبي الثاني: دواء مركب وصفه طبيب لمرض مستعص. الطبيب يشرح طريقة الاستعمال بأبسط عبارة: "خذ حبة صباحاً ومساءً". المريض لا يحتاج أن يفهم التركيبة الكيميائية. هو فقط يأخذ الدواء ويشفى. القرآن "دواء شافٍ" يسره الله للاستخدام.

2. لماذا قال (بِلِسَانِكَ)؟

"بلسانك" أي بلسانك العربي المبين يا محمد. هذا تكريم للنبي صلى الله عليه وسلم، وتشريف للغة العربية، بأن جعلها لسان آخر الوحي. وفي نفس الوقت، هو إعذار لقريش، فلا عذر لهم بعد اليوم. "بلسانك" أي بلسان عربي قح، لا أعجمية فيه ولا لكنة، فتفهمونه بأدنى تأمل. إنه تذكير بأن نزول القرآن بلغتهم هو من تمام التيسير. فلم يرسل الله كتاباً بلغة غريبة عنهم ثم يكلفهم بفهمه، بل أرسله بلغتهم التي يتحدثون بها كل يوم. وهذه حجة بالغة عليهم.

· الرسالة النفسية: أن تشعر بعمق الارتباط بينك وبين كتاب الله، لأنه نزل بلغتك التي تفكر بها وتتحدث. وهذا يجعل تدبره أعمق وأيسر.

· الرسالة العقلية: أن تفهم أن اللغة العربية هي أداة أساسية لفهم القرآن. فتعلمها وتعلم قواعدها من وسائل التدبر.

· الرسالة التربوية: شجعوا على تعلم اللغة العربية الفصحى، فهي مفتاح الكتاب المبين.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: من رحمة الله وتيسيره أنه أنزل القرآن بلسان العرب، ليكون واضحاً بيناً لقوم النبي صلى الله عليه وسلم أولا ً، ولكل من تعلم العربية إلى يوم الدين.

· المثال التقريبي: ملك أرسل تعليمات لشعوب مختلفة، فأرسل لكل شعب رسالة بلغته الأم. هذا هو غاية الإ عذار والرحمة. الله أرسل للعرب القرآن بلسانهم، فانقطعت حجتهم.

3. ما دلالة (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)؟

هذه هي الغاية من كل ما سبق! "لعلهم يتذكرون" أي لكي يذكروا ويعوا ويتعظوا ويرجعوا إلى فطرتهم. "لعل" هنا للتعليل، أي أن الحكمة من تيسير القرآن هي أن يتذكر الناس عهد الله الذي فطرهم عليه، فيؤمنوا ويعملوا. والغاية ليست مجرد المعرفة المجردة، بل "التذكر" أي تحويل العلم إلى عمل، وتحويل المعلومات إلى إيمان حي. فالقرآن يُلقي بالنور على الفطرة المغطاة بغبار الغفلة، فيتذكر الإنسان من هو، ومن خلقه، وإلى أين هو ذاهب. إنه كتاب تذكرة وذكرى.

· الرسالة النفسية: أن تقرأ القرآن بنية التذكر لا بنية تجميع المعلومات فقط. أن تسأل نفسك بعد كل آية: "ماذا تذكرت؟ وماذا غيرت في حياتي؟". هذه القراءة "التذكرية" هي التي يصنع بها القرآن أثره.

· الرسالة العقلية: أن المعرفة وحدها لا تكفي، فقد كان كفار قريش يعرفون الحق لكنهم لا يتذكرون. التذكر هو الذي يقود إلى الإيمان.

· الرسالة التربوية: لا تكتفِ في تربية أبنائك على تحفيظهم القرآن فقط، بل أضف إلى ذلك "التذكر". قل لهم: "ما الذي فهمتموه من الآية؟ وماذا سنعمل به اليوم؟".

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الغاية العظمى من تيسير القرآن هي إحداث "التذكر" في النفوس، الذي يفضي إلى الإيمان والعمل الصالح.

· المثال التقريبي: إنذار الحريق في بناية. هو ليس مجرد صوت مزعج، بل هو ميسر (صوته واضح ومرتفع)، لكي "يتذكر" الناس الخطر فيهربوا. القرآن إنذار إلهي ميسر، لكي نتذكر الآخرة ونعمل لها.

الأمر الثاني: تحليل قوله تعالى (فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ)

1. ما معنى (فَارْتَقِبْ)؟ ومن المخاطب؟

"فارتقب" فعل أمر من الرقبة، وهي الانتظار والترقب والمراقبة. المخاطب هو النبي صلى الله عليه وسلم

بصفته رسولا ً، ويدخل معه كل من ينهج نهجه من الدعاة والمؤمنين. إنه أمر بالصبر والتريث والاستعداد، لا أمراً بالقعود والكسل. لقد بذل النبي أقصى ما في وسعه، والآن يأتيه الأمر: "فارتقب". أي انتظر ما وعدتك به من النصر والفرج، وانتظر العاقبة، وراقب أحداث الدنيا ببصيرة الوحي، فسترى أن العاقبة للمتقين.

· الرسالة النفسية: أن تطمئن وتثبت. ربك لم ينسك، ولن يخلف وعده. ما عليك إلا أن تصبر وتترقب وعد الله. هذا الأمر يملأ القلب باليقين والثبات.

· الرسالة العقلية: أن "الارتقاب" هنا ليس سلبياً، بل هو موقف استراتيجي قائم على اليقين. هو ترقب إيجابي يدفع للاستعداد المتواصل.

· الرسالة التربوية: علموا الأبناء أن النجاح يحتاج إلى صبر وترقب، وأن نتائج العمل الصالح قد تتأخر، لكنها آتية لا محالة.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: بعد التبليغ والتذكرة، يأتي دور الصبر والثقة بوعد الله، وانتظار العاقبة الحميدة التي وعد الله بها عباده.

· المثال التقريبي: فلاح يبذر أرضه ويسقيها، ثم ماذا يفعل؟ "يرتقب" موسم الحصاد. هو لا ينام ويتركها، لكنه يطمئن أن بعد البذور حصاداً، وبعد العمل نتيجة. الداعية يزرع كلمة الحق، ثم "يرتقب" نصر الله، ولا ييأس إن طال الزمن.

2. ما دلالة قوله (إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ)؟

هنا تتجلى روعة الختام! "إنهم" أي الكفار المكذبون، "مرتقبون" أي منتظرون أيضاً! ولكنهم ينتظرون ماذا؟ إنهم ينتظرون هلاك النبي والمؤمنين، أو ينتظرون موت النبي، أو ينتظرون أن تحل بهم قارعة. الجملة تفيد التوكيد والواقع المرير. فالكل في حالة ترقب: المؤمن يترقب نصر الله، والكافر يترقب نهايته هو غافلا ً عما يُنتظره. وهذا السجال قائم إلى أن يحكم الله بينهما. إنها كلمة مخيفة للكافرين، ومطمئنة للمؤمنين. "ارتقب يا محمد، فهؤلاء الكفرة يرتقبون بك الدوائر، ولكنهم لا يدرون أن ما يترقبونه هو هلاكهم هم، وسيأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون".

· الرسالة النفسية: أن تبتسم في وجه البلاء. أنت تعلم أن أعداءك "مرتقبون" أيضاً، ولكنهم يترقبون شيئاً لن ينالوه أبداً، بينما أنت على يقين من وعد الله.

· الرسالة العقلية: التاريخ صراع. الكل يترقب. الفرق هو أن المؤمن يترقب وعد ربه، والكافر يترقب بجهله مصيره الأسود.

· الرسالة التربوية: هذا أسلوب قرآني في تثبيت المؤمنين. لا تخافوا من ترقب أعدائكم، فهم أيضاً في موقف ترقب، لكنهم على شفا جرف هار.

الدروس المستفادة وأمثلتها التقريبية:

· الدرس: الجميع في حالة ترقب وانتظار، ولكن المؤمن ينتظر وعد ربه بالحق، والكافر ينتظر هلاك المؤمنين باطلا ً، ولن يضيره ترقبهم شيئاً.

· المثال التقريبي: طرفان في مبارزة قانونية. كلاهما "مرتقب" حكم القاضي. الأول متأكد من براءته لأن معه كل الأدلة، فيرتقب البراءة. والثاني خائف متوتر لأنه مجرم، فيرتقب العقاب. كلاهما "مرتقب"، ولكن شتان بين الترقبين! (فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ) تعني: أنت منتظر الفوز، وهم منتظرون ما يسوءهم.

ثانياً: المفاهيم والقيم وأبعاد الآية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

المحور الأول: أهم المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآيتين

· المفهوم النفسي: إزالة الرهبة من القرآن. الإيمان بأن الله يسره يجعل المسلم لا يخاف من التعامل مع كتاب الله، ويدفعه لحفظه وتدبره براحة نفس.

· المفهوم الفكري: إغلاق باب الأعذار. الآية تؤكد أن الحجة قد قامت على الناس بإنزال الكتاب بلغتهم وتيسيره ، فلم يعد هناك عذر لأحد في عدم فهمه.

· المفهوم التربوي: التربية على التريث والصبر الاستراتيجي. "فارتقب" يعلمنا أن نزرع في النفوس قيمة الصبر والترقب الإيجابي لنتائج الأعمال، بدلا ً من الاستعجال واليأس السريع.

المحور الثاني: أبعاد الآية وآفاقها نفسياً وفكرياً وعقائدياً

· البعد العقائدي: كمال البيان الإلهي. هذه الآية تثبت صفة الكمال لله في إيصال رسالته، حيث أرسلها بلسان عربي مبين وميسر.

· الأفق الفكري: الثقة في مستقبل الدعوة. الآية تفتح أفقاً واسعاً للمؤمن ليرى أن صراع الحق والباطل متجه نحو غاية محددة، وأن العاقبة للمتقين.

· البعد النفسي: الطمأنينة والثبات في وجه التحديات. معرفة أن الكفار "مرتقبون" أيضاً ولكن بانتظار هلاكهم، يمنح المؤمن ثباتاً ورباطة جأش.

المحور الثالث: القيم المستنبطة من الآيتين

· قيمة العلم الميسر: وهو شكر نعمة تيسير القرآن.

· قيمة التذكر الدائم: جعل القرآن منهج حياة.

· قيمة الصبر والارتقاب: انتظار وعد الله بيقين.

· قيمة التوكل: تفويض النتائج لله بعد العمل.

المحور الرابع: مفاهيم البناء والتنمية في الآيتين

· بناء مجتمع متعلم: عبر نشر ثقافة تيسير القرآن، يصبح التدبر والتعلم في متناول الجميع.

· تنمية عقلية الصبر والاستبصار: مجتمع يربى على "الارتقاب" هو مجتمع لا تنهار عزيمته بسرعة، بل يخطط ويصبر ويعمل.

المحور الخامس: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

· على مستوى الإنسان: اجعل علاقتك بالقرآن علاقة "تذكر" يومي. اقرأ وردًا يسيرًا بتدبر، واجعل منه وقودًا لتغيير حياتك.

· على مستوى المجتمع: مجتمع يتعامل مع القرآن على أنه كتاب ميسر وليس حكرًا على فئة، سيكون مجتمعًا قرآنيًا فريدًا.

· على مستوى الحضارة: الحضارة التي أخرجت القرآن للعالم، هي حضارة قامت على مبدأ "التيسير" لا التعسير ، في كل مجالات الحياة.

ثالثًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل من الآيات وكيف نطبقها في واقعنا

المحور الأول: إلى ما تدعونا إليه الآيات؟

· تدعوك للإقبال على القرآن بتذكره وتدبره، فهو ميسر لك.

· تدعوك للصبر والتريث والثقة بوعد الله، وألا تستعجل النتائج.

· تدعوك لتعليم الناس أن القرآن سهل وميسر، وإزالة الحواجز النفسية بينهم وبينه.

المحور الثاني: كيف نطبق هذه الآيات؟ وماذا نتعلم منها في حياتنا العملية؟

1. تطبيق التيسير: افتح المصحف اليوم واقرأ خمس آيات. اقرأ تفسيرها الميسر. لا تقل إن الوقت لا يسعفك. الوقت ميسر لمن أراد.

2. تطبيق التذكر: بعد كل فريضة، اقرأ آية واحدة وتفكر فيها واسأل: ما الذي تذكرته؟ ودوّنه في مذكرة صغيرة.

3. تطبيق الارتقاب: إذا كنت تمر بظلم أو محنة، أو تنتظر فرجاً. قل لنفسك: "سأرتقب وعد ربي. سيثبتني الله. المهم أن أقوم بواجبي الآن".

4. تطبيق في التربية: لا تعنف أبناءك إذا أخطأوا في تلاوة القرآن. يسّر لهم، شجعهم، وقل: "إن الله يسره، وأنا أيسره لكم".

رابعاً: دلالة اختتام سورة الدخان بهاتين الآيتين

بعد أن قامت السورة بعرض طويل لإنذار الكافرين، وبيان نهايتهم، وترغيب المتقين، وبيان مآلهم، فإنها تختم بهاتين الآيتين لتؤكد أن "الكتاب المبين" الذي بُدئت به السورة هو محور كل شيء. إن الاختتام هنا يحمل دلالا ت عميقة:

1. الالتفاف البديع: السورة بدأت بـ (وَالكِتَابِ المُبِينِ) وختمت بـ (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ) . هذا يخبرك أن الكتاب هو المحور، وهو النور الذي بددت به السورة "دخان" الغفلة.

2. القرآن هو الثمرة: كل ما سمعته من قصص فرعون وقوم تبع والذين من قبلهم، وكل ما رأيته من أهوال يوم الفصل، ونعيم المتقين، إنما هو في "الكتاب المبين" الذي يسره الله لك لتتعظ وتتذكر.

3. النهاية لله: بعد أن قامت الحجة، ووضحت الأدلة، ويسر الكتاب، لم يبقَ إلا التسليم، والصبر، وانتظار وعد الله. فمن لم ينتفع بهذا الكتاب بعد تيسيره، فقد قامت عليه الحجة، وما على الرسول إلا البلاغ المبين.

الرسالة الخاتمة

ختاماً، هاتان الآيتان هما خير ما نختم به رحلتنا في سورة الدخان. إنهما رسالة الله الأخيرة في هذه السورة إليك: "لقد يسّرتُ لك كتابي، وجعلته بلسان عربي مبين، لتتذكر وتتعظ. وكل ما سمعته من آياتي في هذه السورة هو لك لتنتفع به. لم يبقَ بعد ذلك إلا أن ترتقب وعدي، مصدقاً يقيّناً. أما المكذبون، فهم أيضاً مرتقبون، ينتظرون ما لا يحمدون عاقبته".

فاختر لنفسك، في أي الفريقين تريد أن تكون؟ في فريق المؤمنين المرتقبين رحمة الله وفضله، أم في فريق الكافرين المرتقبين عذابه؟ الكتاب بين يديك، ميسر، والطريق واضح، فاسلكه.

بسم الله الرحمن الرحيم
المراجع والمصادر
مراجع التفسير والبيان القرآني

· التفاسير التراثية: اعتمدت على عدد من أمهات كتب التفسير التي تجمع بين الأثر والنظر، ومن أهمها:
· تفسير القرآن العظيم) تفسير ابن كثير (للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي.
· الجامع لأحكام القرآن) تفسير القرطبي (للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي.
· جامع البيان عن تأويل آي القرآن) تفسير الطبري (لإمام المفسرين محمد بن جرير الطبري.
· معالم التنزيل) تفسير البغوي (للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي.
· روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي.
· التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور.
· التفاسير الموضوعية والمنهجية: التي تعنى باستخراج الهدايات والمقاصد، ومنها:
· في ظلال القرآن لسيد قطب، خاصة في إبراز إيحاءات النص وتصويره الفني.
· تفسير المنار لمحمد رشيد رضا.
· محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي.
· التفاسير البلاغية واللغوية: لفهم أسرار النظم والإعجاز، اعتمدت على:
· الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام الزمخشري.
· مفاتيح الغيب) التفسير الكبير (للإمام فخر الدين الرازي.
· البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي.

مراجع اللغة والبلاغة والإعجاز

· المراجع اللغوية والمعاجم: أساس التحليل اللغوي قام على:
· لسان العرب لابن منظور، والقاموس المحيط للفيروزآبادي، وتاج العروس للزبيدي، ومقاييس اللغة لا بن فارس، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني.
· المراجع البلاغية: لتحليل الصور الفنية والأساليب البيانية، اعتمدت على:
· دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، فهما عمدة في فهم النظم القرآني.
· البرهان في علوم القرآن للزركشي، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي.
· مصادر الإعجاز البياني: لفهم دلالات الحروف المقطعة، وأسرار التقديم والتأخير، وغريب التصوير.

مراجع الأحاديث والسيرة والسنن

· مراجع الحديث النبوي: اعتمدت على كتب الصحاح والسنن، مثل صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن الترمذي، ومسند الإمام أحمد، لتوثيق ما ورد من أحاديث، كحديث جبريل في أركان الدين، وحديث الدخان، وأحاديث في وصف الجنة والنار.
· مراجع السيرة النبوية: مثل السيرة النبوية لابن هشام، والرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري، وذلك في سياق ربط الآيات بحياة النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته.
· مراجع فقه السنن: قام هذا التحليل على مبدأ "فقه السنن" المستنبط من القرآن والسيرة، كما نجده في كتابات ابن تيمية) مثل السياسة الشرعية (وابن القيم) مثل مدارج السالكين وإعلام الموقعين.(

مراجع الفقه وأصوله

· مراجع أصول الفقه: لبيان دلالات الألفاظ) الأمر، النهي، الاستفهام، القسم(، اعتمدت على كتب أصول الفقه الكلاسيكية، مثل الموافقات للإمام الشاطبي، والبحر المحيط في أصول الفقه للزركشي، وإرشاد الفحول للشوكاني.

مراجع التربية والتزكية وبناء الإنسان

· كتب التزكية وبناء الإنسان: التحليل يعتمد بشكل كبير على منهجية "التزكية"، ومن أبرز مراجعه:
· إحياء علوم الدين للإمام الغزالي.
· مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي.
· مدارج السالكين وطريق الهجرتين لابن القيم الجوزية.
· كتب التربية الإسلامية: التي تعنى بربط النص القرآني بالجانب التربوي العملي، مثل كتابات الشيخ

محمد قطب، وسعيد حوى، وعبد الرحمن النحلاوي.

مراجع التنمية وبناء الحضارة

· مراجع البناء الحضاري: لاستنباط مفاهيم النهضة والاستخلاف، اعتمدت على تحليلات الحضارة في ا لإسلام مثل:
· مقدمة ابن خلدون) في تحليل قوانين العمران البشري.(
· معالم في الطريق لسيد قطب) في بناء الجيل المؤمن.(
· كتابات مالك بن نبي، مثل شروط النهضة ومشكلة الثقافة.
· مراجع التخطيط الاستراتيجي: في تحليل "الأخذ بالأسباب" والتخطيط للخروج ليلا ً، استخدمت مفاهيم من الفكر الإداري والاستراتيجي المعاصر، التي تنسجم مع فقه السنن.

مراجع الخطاب الدعوي والحوار

· مراجع أصول الدعوة وفقهها: اعتمدت على كتب تحلل منهج الأنبياء في الدعوة، مثل فقه الدعوة إلى الله ودراسات في أساليب الخطاب القرآني، للاستفادة من منهج موسى عليه السلام في الحوار، وكيفية تقديم الحجة.

مراجع ومصادر عامة

· كتب في الفكر الإسلامي العام: مثل كتابات الدكتور مصطفى محمود) مثل حوار مع صديقي الملحد(، التي تمتاز بقدرتها على مخاطبة العقل والوجدان معاً.
· مواقع إلكترونية موثوقة: للرجوع السريع لنصوص التفاسير والمعاجم، مثل موقع المكتبة الشاملة، وموقع الدرر السنية) للموسوعة الحديثية(، وموقع إسلام ويب.

إن هذه القائمة تبيّن لك أن هذا التفسير ليس وليد مصدر واحد، بل هو محاولة لتوظيف موسوعي لمناهج متكاملة، تهدف كلها إلى استخراج النور من كتاب الله لبناء الإنسان الهادف في زمن الغفلة المحامي احمد عبد الرزاق مربوش.